الوصايا المنبرية

شرح أربعين حديثاً من

الوصايا النبوية

تأليف
عبد العظيم بن بدوي

دار ابن رجب

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الناشر
دار ابن رجب
للنشر والتوزيع
فارسكور ت : ٤٤١٥٥٠
المنصورة محطة الأتوبيس الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾

[الأحزاب : ٧٠ و ٧١]

أمـا بعـد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار * .

وبعد : فهذه هى « الأربعون المنبرية (الثانية) » ، خطبت بها أربعين خطبة فى مسجدنا العامر مسجد النور بالشين مركز قطور فى الفترة من (عيد الفطر المبارك سنة ١٤١٦ هـ الموافق الثلاثاء ٢٠/ ٢/ ١٩٩٦م إلى يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ١٤١٧ هـ الموافق ١٥/ ١١/ ١٩٩٦م) .

(*) هذه خطبة الحاجة التى كان رسول الله ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه فالاستفتاح بها سنة يستحب للخطباء والمدرسين أن يحيوها .

وقد رأيت أن أبيّضها وأقدمها للطبع عسى الله أن ينفع بها مقروءة ومسموعة ، وعسى قارئ كريم ، أو أخ خطيب يخطب بها فيكتب الله لى مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ .

وقد اخترت هذه « الأربعون المنبرية الثانية » من وصايا الرسول ﷺ ، وما أعظم وصاياه ، فإن الله قد بعثه رحمة للعالمين ، ووصفه بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ففى التمسك بوصاياه سعادة الداريْن ، وقرة العينين . ولذلك سميت هذه الأربعين .

الوصايا المنبرية

شرح أربعين حديثاً من الوصايا النبوية

تمييزاً لها عن « الأربعين المنبرية » الأولى التى قدمتها لإخوانى من قبل .

واللَّهَ عزّ وجلّ أسأل أن ينفع بكل كلمة كتبتُها ، أو قلتُها فى خطبة أو موعظة أو درس أو محاضرة ، وأن يكتب لى بها أجراً ، ويحطّ عنى بها وزرا ، وأن يجعلها لى عنده ذخراً ، أجد برّها وثوابها :

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأنبه القارئ الكريم أننى قد خرجت الأحاديث كلها ، وكتبت درجة كل حديث من الصحة والحسن أمامه ، معتمداً فى ذلك على كتب شيخنا الجليل علامة الزمان ومحدّث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى أطال الله بقاءه .

الشين فى ضحى الأحد ٢٧/ ١٢/ ١٤١٧ هـ

الموافق ٤/ ٥/ ١٩٩٧ م

وكتبــه

عبد العظيم بن بدوى الخلفى

الحديث الأول

من وصايــاه الجــامعــة ﷺ

عَنْ أَبى الدَّرْدَاء رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِى رَسُولُ اللَّه ﷺ بتسْع : « **لا تُشْرِكْ بِاللَّه شَيْئاً وإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْت ، وَلا تَتْرُكَنَّ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّداً ، وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّداً بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَلا تَشْرَبَنَّ الخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ ، وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُمَا ، وَلا تُنَازِعَنَّ وُلاَةَ الأَمْرِ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ ، وَلا تَفِرَّ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكْتَ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ ، وَأَنْفِقْ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِكَ ، وَلا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخِفْهُمْ فى اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ .** »(١) .

هذه وصايا جامعة ، من وصايا من بعثه ربُّه رحمةً للعالمين ، ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم ، في التمسك بها سعادة الداريْن ، وقرّة العينيْن ، وكل وصية منها جديرة بأن تفرد وحدها بشرح ، ولكننا سنحاول الإلمام بها دون خلل ولا تقصير :

الوصية الأولى : " لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطِّعت أو حُرِّقت " ، فإن الشرك • ظلم عظيم ، وضلال مبين ، يحبط الأعمال ويوجب الذل والخسران ،

---

(١) **حسن** : [ص . خد : ١٤] وهذه لفظه ، أ (١٥٥/ ٢٩٨ / ١٩) عن معاذ بزيادة فيه ، وروى ابن ماجة عن أبي الدرداء بعضه [٤٠٣٦ / ١٣٣٩ / ٢] .

ويحرّم على صاحبه الجنان ، ويُدخله النيران ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً (٢٢) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ (٥) .

والشرك نوعان : شرك أصغر ، وشرك أكبر .

فأما الأصغر فمنه الرياء ، كما قال ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ **قال : الرياء** » (٦) .

ومنه الحلف بغير الله ، قال ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » (٧) . يعنى الشرك الأصغر والكفر الأصغر .

وأما الشرك الأكبر فهو اتخاذ العبد نداً من دون الله ، يواليه موالاة الله ، ويحبه كحب الله ، يرجوه فى السرّاء ، ويلجأ إليه فى الضّراء ، ويتقرّب إليه بأنواع العبادة التى لا تجوز إلا لله ، فنذره له ، وذبحه له ، ودعاؤه له ، ونداؤه

---

(١) لقمان : ١٣ . (٢) النساء : ١١٦ . (٣) الإسراء : ٢٢ .
(٤) الزمر : ٦٥ ، ٦٦ (٥) المائدة : ٧٢ .
(٦) **صحيح** : [ص ج ١٥٥١] : أ (٤٢٨ / ٥) ، بغ (٤١٣٥ / ٣٢٣ / ١٤) ، طب (٤٣٠١ / ٢٥٣ / ٤)
(٧) **صحيح** : [أ ٢٥٦١] : ت (١٥٧٤ / ٤٥ ,٤٦ / ٣) د . (٣٢٣٥ / ٩١٧٨) ، حب (١١٧٧ / ٢٨٦) ، كم (٢٩٧ / ٤) ، هق (٢٩ / ١٠) ، أ (٨ / ١٦٥ / ١٤) .

له ، إذا وقع في كربة قال يا فلان ، وإذا ضاقت به الأمور لجأ إلى أصحاب القبور ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ (١) ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (٢) .

فيا أيها المسلم الموحِّد : إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا نَزَلَت بك نازلة فقل يا الله ، وإذا ضاقت عليك الدنيا بأسرها ففر إلى الله ، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٣) .

الوصية الثانية : "ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمداً ، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة "، أي العهد .

فإن الله أخذ العهد على نفسه لكل مسلم يحافظ على الصلاة أن يدخله الجنة ، فمن ترك الصلاة متعمداً فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة ، وخذله الله ، ولم يكن له عند الله عهد ، كما قال ﷺ **« خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد ، من أتى بهنّ لم يضيّع منهنّ شيئاً استخفافاً بحقهنّ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له »** (٤) .

---

(١) الحج : ١٢ . (٢) الأحقاف : ٥ ، ٦ . (٣) النمل : ٦٢ - ٦٤

(٤) صحيح : [ص . جـه ١١٥٠] ، ومـا (٢٦٦ / ٩٠) ، أ (٨٢ / ٢٣٤ / ٢) ، د (٤٢١ / ٩٣ / ٢) ، جه (١٤٠١ / ٤٤٩ / ١) نس (٢٣٠ / ١) .

فحافظ – رحمك الله – على الصلاة فإنها عمود الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيّعها فقد ضيّع الدين ، وهى أول ما فُرض من العبادات ، وأول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال ، وقد مدح الله المحافظين عليها ، ووعدهم الفردوس، أعلى درجات الجنة ، وسقفه عرش الرحمن ، فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾[1] .

وذمّ مضيّعها فقال : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ⑲ ﴾[2] ، وليست إضاعتها تركها بالكلية بل السهو عنها والغفلة عن أوقاتها ، كما قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴾[3] .

أما الذين لا يصلّون أبداً فقد توعدهم الله بسقر ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ㉗ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ㉘ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ㉙ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ㉚ ﴾[4] .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ㊳ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ㊴ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ㊵ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ㊶ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ㊷ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ㊸ ﴾[5] .

فحافظوا عباد الله على الصلاة كما أمركم الله ، واعلموا أن المحافظة على الصلاة تكون بإسباغ وضوئها ، والحرص على أول وقتها ، وشهود الجماعة فيها، والخشوع ، وإتمام الركوع والسجود ، وحسن التلاوة وتدبر معانيها ، فمن

---

(١) المؤمنين : ٩ - ١١ .
(٢) مريم : ٥٩ .
(٣) الماعون : ٤ ، ٥ .
(٤) المدثر : ٢٧-٣٠ .
(٥) المدثر : ٣٨-٤٣ .

فعل ذلك كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن ترك الصلاة متعمداً فليس له عند الله عهد .

الوصية الثالثة : "ولا تشربنّ الخمر فإنها مفتاح كل شر " :

قد بينّ النبى ﷺ ما يترتب على شربها من الشرّ فقال : « **الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، من شربها وقع على أمّه ، وخالته ، وعمته** » (١)

لأنها تخمّر العقل أى تغطيه ، فيكون هو والبهيمة سواء ، فلا يفرق بين امرأة وامرأة ، ولا بين زوجته وأمّه وخالته وعمته .

وعن عثمان رضى الله عنه أنه كان يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة غويّة ، فأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة فدخل معها ، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطنة خمر ، فقالت إنى والله ما دعوتك لشهادة ، وقد دعوتك لتقع علىّ ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر ، فاختار الخمر ، فسقته كأساً ، فقال زيدوه ، فلم يزل حتى وقع عليها وقتل الغلام ، فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هى والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه (٢) .

لذلك قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ

---

(١) **حسن** : [ص . ح : ٣٣٤] ، طب (١١٣٧٢ / ١٦٤ ، ١١٤٩٨ / ٢٠٣ / ١١) .
(٢) **صحيح** : موقوفاً [ص . نس ٥٢٦] ، نس (٨/٣١٥) .

أنتم مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] يعنى وقد أدّاه ، فقد حذر ﷺ من الخمر وبالغ فى التخويف من مغبتها ، ومن أقواله فى ذلك : « **الخمر أم الخبائث ، فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما ، فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية** » [2] .

« **مدمن الخمر كعابد وثن** » [3] .

« **ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، والعاقّ لوالديه ، والمنان بما أعطى** » [4]

« **إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال** . قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : « **عرق أهل النار** » . [5] .

فهل يشرب بعد ذلك إلا من سفه نفسه ؟!

الوصية الرابعة : "وأطع والديك" .

فإن الله أمرك بطاعتهما فى كل برّ ما لم يكن إثماً ، وفى كل مباح مالم تكن معصية ، فإن فضلهما عليك عظيم ، وحقهما عليك كبير ، ومن فى الدنيا قدّم لك ما قدّمه أبوك ، ومن فى الدنيا خدمك كما خدمتك أمّك ؟! لذلك فرَضَ الله طاعتهما ، وأمر ببرّهما ، فقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ

---

(١) المائدة : ٩٠ - ٩٢ .

(٢) حسن : [ص ج : ٣٣٣٩] ، طس (٣٨١٠) والواحدى فى الوسيط (١/ ٢٢٤) ، ذكره الألبانى فى " الصحيحة " (١٨٥٤) .

(٣) حسن : [ص.جه : ٢٧٢٠] ، جه (٣٣٧٥ ، ١٢٢٠ / ٢) .

(٤) صحيح : [ص.ج : ٣٠٦٦] ، نس (٨٠ / ٥) .

(٥) صحيح : م (٢٠٠٢ / ١٥٨٧ / ٣) ، نس (٣٢٧ / ٨) .

عَلَىٰ أن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)

فأطع والديك " وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما " ، يعنى لو أرادا مالك كله فلا تمنعهما ، فأنت ومالك لأبيك ، كما قال ﷺ ، فمهما طلبا فأعطهما ، وأنت معتقدٌ حق الإعتقاد أنك مقصّر فى حقهما ، ولم تجزهما منه شيئا ، كما قال ﷺ : « **لا يجزى ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه** » (٣)

الوصية الخامسة : "**ولا تُنازعنّ وُلاة الأمر وإن رأيت أنك أنت**" :

يعنى لو رأيت أنك أفضل من ولىّ الأمر الموجود ، وأحق منه بالولاية فلا تنازعه فيها ، ولا تخرج عليه ، ولا تنزع يداً من طاعته ، فإن استتباب الأمن ، واستقرار الأمر ، من أسباب التمكن من العبادة ، والقيام بالوظيفة التى خلق اللهُ الخلق من أجلها ، ومنازعة ولاة الأمر فيها مافيها من الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار ، بحيث لا يتمكن الإنسان من القيام بحق الله عزّ وجل ، ولذلك كثرت الأحاديث فى الحث على طاعة أولى الأمر – وإن جاروا – والنهى عن الخروج عليهم ، ومنها قوله ﷺ « **إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة**

---

(١) لقمان : ١٤ ، ١٥ . (٢) الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) **صحيح** : م (١٥١٠/١١٤٨/٢) ، د (٥١١٥/ ٤٦/ ١٤) ، ت (١٩٧١/ ٢١٠/ ٣) ، جه (٣٦٥٩/ ١٢٠٧/ ٢) .

يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» .

وقوله ﷺ : **« اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله »** [١] . وقيل يا نبى الله ! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ثلاثا ، فقال : **« اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم »** [٢] .

وقوله ﷺ : **« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبىّ خلفه نبىّ ، وإنه لا نبىّ بعدى ، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون " ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : أوفوا ببيعة الأول ، ثم اعطوهم حقهم واسألوا الله الذى لكم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم »** [٣] .

وقوله ﷺ : **« إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »** [٤] .

وقوله ﷺ : **« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه »** . [٥] .

الوصية السادسة : " ولا تفرّ من الزحف وإن هلكت وإن فر أصحابك " .

لقد وصف اللهُ الكفارَ بالجبن فقال : ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ** ﴾ [٦] . والعلة : ﴿ **لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [٧] ، وأعلمنا الله تعالى أن المؤمن الصابر يغلب عشرة من الكفار ، ثم خفف عنا فجعل

---

(١) **صحيح** : خ (٧١٤٨/ ١٢٥ / ١٣) ، نس (٢٢٥ / ٨) .
(٢) **صحيح** : م (١٨٤٦ / ١٤٧٤/ ٣) ، ت (٢٢٩٥ / ٣٣١/ ٣) .
(٣) **متفق عليه** : خ (٣٤٥٥/ ٤٩٥ / ٦) ، م (١٨٤٢ / ١٤٧١ / ٣) .
(٤) **صحيح** : م (١٨٥٣ / ١٤٨٠ / ٣) .
(٥) **صحيح** : م (١٨٥٢ - ٦٠ - / ١٤٨٠ / ٣) .
(٦) الحشر : ١٤ . (٧) الحشر : ١٣ .

المؤمن الصابر يغلب اثنين من الكفار ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [١] .

ثم أعلمنا الله أن عاقبتنا دائما إلى خير ، فقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [٢] أي النصر أو الشهادة ، فنحن دائما فائزون ، فلا داعي للفرار إذن ، ولذلك نهانا الله عنه فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [٣] .

وعدّ النبي ﷺ الفرار من الزحف من المهلكات ، فقال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا : وما هنّ يا رسول الله ؟ فذكرهنّ وعدّ منهن « **الفرار يوم الزحف** » [٤] .

ولقد ضرب رجال من أصحاب النبي ﷺ المثل الأعلى في الثبات أمام العدو ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ! غبتُ عن أوّل قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينّ اللهُ ما أصنع ، فلما كان يومُ أُحد انكشف

---

(١) الأنفال : ٦٥ ، ٦٦ . (٢) التوبة : ٥٢ . (٣) الأنفال : ١٥ ، ١٦ .

(٤) متفق عليه : خ (٢٧٦٦ / ٣٩٣ / ٥) ، م (٨٩ / ٩٢ / ١) ، د (٢٨٥٧ / ٨/٧٧) ، نس (٢٥٧ / ٦) .

المسلمون فقال : اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد ابن معاذ : الجنةُ وربّ الكعبة إنى أجد ريحها من دون أُحد . قال سعد فما استطعت يارسول الله ما صنع ! قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برُمح ، أو رميةً بسهم ، ووجدناه قد قُتل ومَثَّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)﴾ . (الأحزاب : ٢٣) [١]

الوصية السابعة : « وأنفق من طوْلك على أهلك » :

الطَوْل معناه السعة والخير ، ونفقة الأهل من الزوجة والأولاد ونحوهم واجبة ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٢] .

وقال ﷺ : **« كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل فى بيته راعٍ وهو مسئول عن رعيته »** [٣] فيجب عليه القيام بهذه المسئولية خير قيام ، ومنها النفقة على أهله مما آتاه الله ، فإن حبس عنهم النفقة وبخل بها فقد أثم ، كما قال ﷺ : **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »** [٤] . وإن أنفق عليهم أُجِر ، كما قال ﷺ : **«إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة »** [٥] .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٢٨٠٥/ ٢١/ ٦)وهذا لفظه، م(١٩٠٣/ ١٥١٢/ ٣)، ت (٣٢٥٤/ ٢٨/ ٥)
(٢) البقرة : ٢٣٣ .
(٣) **متفق عليه** : خ (٧١٣٨/ ١١١ / ١٣) ، م (١٨٢٩ / ١٤٥٩ / ٣) ، ت(١٧٥٧ / ١٢٤ / ٣) ، د (٢٩١٢ / ١٤٦ / ٨) .
(٤) **حسن** :[ص.د ١٤٨٤] (٥) **متفق عليه** : خ (٥٥/ ١٣٦/ ١)، م(١٠٠٢/ ٦٩٥/ ٢)

وقال لسعد بن أبى وقاص : « **إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل فى فىّ امرأتك** »(١) .

وكان ﷺ يرغب فى النفقة على الأهل والعيال فيقول : « **دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك** » (٢)

وكان ﷺ يقول : « **أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله** » (٣)

ولا بد هنا من التنبيه على أدب من آداب النفقه وهو الاعتدال فيها بين البخل والإسراف ، كما قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴿٦٧﴾﴾ (٤). فالبخل الذى يفضى بالزوجة والأولاد إلى الخيانة بل إلى ارتكاب الجريمة أحيانا ممنوع ، وكذلك الإسراف والتبذير الذى يفضى بالأولاد إلى الفساد من التدخين وغيره ممنوع ، فلا بد أن يكون العائل عاقلاً يعطى بحذر ، ويراقب عن كثب ، ليعرف أين تذهب هذه الأموال ؟ وماذا يصنع الولد بما يعطى من مال أبيه ، حتى لا يفسده المال ولا يطغيه .

الوصية الثامنة : "ولا ترفع عصاك عن أهلك" :

و « **علّق سوطك حيث يراه أهلك** » (٥) حتى ينزجروا ، فلا يتهاونوا بواجب ، ولا يقعوا فى محرّم .

---

(٦) **متفق عليه**: خ(١٢٩٥/ ١٦٤/ ٣)، م(١٦٢٨/ ١٢٥٠/ ٣)، د(٢٨٤٧/ ٦٤/ ٨)، نس(٢٤١/ ٦)

(٢) **صحيح** : م(٩٩٥/ ٦٩٢/ ٢) .

(٣) **صحيح** : م(٩٩٤/ ٦٩١/ ٢) ، ت(٢٠٣٢/ ٢٣٢/ ٣) .

(٤) الفرقان : ٦٧ .

(٥) **حسن** : [الصحيحة : ١٤٤٧] بلفظ الجمع : « علقوا الصوت حيث يراه أهل البيت » .

الوصية التاسعة : "وأخفهم فى الله عز وجل" :

فإن الخوف سَوْط يُساق به الإنسان نحو طاعة الله عز وجل ، والابتعاد عن معصيته ، فاحرص دائماً أيها الأب على أن تكون مهاباً فى بيتك ، يهابك الصغير والكبير ، ويخافون عقابك ، فلا يفرطون فى فريضة ، ولا يرتكبون معصية .

إن ربّ الأسرة كقائد السفينة ، هو المسئول عن وصولها إلى برّ الأمان بسلام ، والناس فى هذه الدنيا مسافرون إلى الآخرة فإما نجاة تستقر بهم فى دار السلام ، وإما هلكة تفضى بهم إلى دار البوار ، وربّ الأسرة مكّلف بالحرص على نجاتها ، ووقايتها من التهلكة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (٦) ﴾ (١) ووقايتهم إنما تكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ومعاقبتهم على ترك المعروف وفعل المنكر .

قال تعالى :﴿ **وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ (٢)

وقال النبى ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم فى المضاجع** » (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ** ﴾ (٤) . وهذا الضرب ضرب تأديب وتربية لا ضرب تشفّى وانتقام ، ضرب تقتضيه الرحمة وتدفع إليه الشفقة حتى يصل الرجل بأهله إلى دار السلام

---

(١) التحريم : ٦ . (٢) طه : ١٣٢ .

(٣) حسن : [ص. ح : ٥٨٦٨]، د (٤٩١/ ١٦٢/ ٢) وهذا لفظه ، أ(٨٤/ ٢٣٧/ ٢)، كم(١٩٧/ ١)

(٤) النساء : ٣٤ .

بسلام ، كما قال القائل :

قسى ليزدجروا ومن يك راحماً   فليقس أحياناً على من يرحم

وهكذا جمعت هذه الوصايا فأوعت ، فصلى الله وسلم على من وصانا بها ، ونسأله سبحانه التوفيق للعمل بها .

الحديث الثـــانى

سبيـــل النجـــاة

عَنْ عُقبةَ بن عامر رضىَ اللهُ عنه قال : لقيتُ رسولُ الله ﷺ فابتَدأْتُه فأخذتُ بيده فقلتُ يا رسولَ الله ما نجاةُ المسلم ؟ قال : « ياعُقبةُ أملكْ عليك لسانَك ، وليسَعْكَ بيتُكَ ، وابك على خطيئتك » .

قال : ثم لقينى رسولُ الله ﷺ فابتدأنى فأخذَ بيدى فقال : «ياعقبةَ بنَ عامر ! ألا أُعلمُكَ خيرَ ثلاث سُور أُنزلتْ فى التوراة والأنجيلِ والزبورِ والفُرقان العظيم ؟ » قال : قلتُ بلى جعلنى اللهُ فداك . قال : فأقرأنى : قُلْ هو اللهُ أحد . وقُلْ أعوذُ بربِّ الفلق . وقُلْ أعوذُ بربِّ النَّاس .

ثم قال : « ياعقبةُ لا تنساهُنَّ ، ولا تبيتَنَّ ليلةً حتى تقرأهنَّ » قال : فما نسيتُهن منْ مُنْذُ قالَ لا تَنساهُنَّ ، وما بتُّ ليلةً قط حتى أقْرأهنّ .

قال عقبةُ : ثم لقيتُ رسولَ الله ﷺ فابتَدأتُه فأخذْتُ بيده فقلتُ يا رسولَ الله أخْبرْنى بفواضلْ الأعْمال ، فقالَ يا عقبةُ صِلْ مَنْ قطَعك ، وأعْطِ مَنْ حَرَمكَ ، واعفُ عَمَّنْ ظلَمك » . (١)

راوى الحديث هو عقبة بن عامر الجهنى ، الصحابى المشهور ، لقى رسول الله ﷺ فأخذ بيده وسأله عن قرب : ما نجاة المؤمن ؟ وهكذا كان ديدن الصحابة

---

(١) صحيح :[الصحيحة : ٨٩٠ ، ٨٩١] : أ (٣٥/ ١٨٤/ ١٩)

أجمعين رضي الله عنهم ، كانوا دائماً يسألون عن سبيل النجاة ، عما يدخلهم الجنة ، وينجيهم من النار ، فقال رسول ﷺ : « **أملك لسانك** » أي كن أنت المالك للسانك ، يتكلم بما تشاء متى تشاء ، ولا يملكك لسانك ، فيتكلم بغير ما تشاء ومتى يشاء ، أملك لسانك فكفّه عن الشرّ ، وأطلقه في الخير ، « **فإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها فى الجنة ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم** » (١) .

ومن هنا كثرت وصايا رسول الله ﷺ بصيانة اللسان وحفظه ، منها قوله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » (٢) .

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ! حدثنى بأمر أعتصم به ، قال : « **قل ربى الله ثم استقم** » ، قال : قلت يارسول الله ! ما أخوف ماتخاف علىّ ؟ فأخذ بلسان نفسه وقال :« **هذا** » . (٣)

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله دلّنى على عمل يُدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . فأرشده ﷺ إلى الواجبات والمندوبات من الأعمال، ثم قال له : « **ألا أدلك على مــلاك ذلك كله** » ؟ قال : بلى يا رسول الله، قال :« **أمسك عليك لسانك** » . وتعجب معاذ فقال: يا رسول الله ! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ﷺ: « **ثكلتك أمك يا معـاذ ؟ وهل يكبّ الناس فى**

---

(١) **صحيح** :خ (٦٤٧٨ / ٣٠٨/ ١١) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٦٠١٨ / ٤٤٥ / ١٠) ، م (٤٧ /٦٨/ ١) ، د (٥١٣٢/ ٦٢/ ١٤) جـه (٣٩٧١/ ١٣١٣ / ٢) ولفظه (أو ليسكت) .

(٣) **صحيح** : [ص . جه : ٣٢٠٨]، جه (٣٩٧٢ / ١٣١٤ /٢) ، ت (٢٥٢٢ / ٣٢ / ٤) .

النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » .[١] فأملك لسانك يا عبد الله ، وصُنْه عما حرّم الله من الحلف بغير الله ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وشهادة الزور ، والقول على الله بغير علم ، وتذكر دائماً قوله تعالى : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (١٨) ﴾ [٢]، وأكثر من ذكر الله ومن قراءة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، « **ولا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله** » [٣] .

« **وليسعْك بيتك** » فلن تزال بخير ما أغلقت عليك بابك ، وخلوْت بربك ، وتعوّدت الأنس به ، والفرار إليه ، ولقد سئل ﷺ : أى الناس أفضل ؟ فقال « **رجل يجاهد بنفسه وماله ، ورجل فى شِعْب من الشِعاب يعبد ربه ويدع الناسَ من شرّه** » [٤] .

وقد ذكر العلماء لاعتزال الناس فوائد : [٥]

منها : التفرغ للعبادة ، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه ، فإن الواجبات أكثر من الأوقات ، والاختلاط يضيّع الأوقات ، فالعزلة وسيلة من وسائل المحافظة على الوقت .

ومنها : التخلص من المعاصى التى يرتكبها الإنسان بسبب الخلطة ، كالغيبة ، والنميمة ، والنظرة المحرمة ، وسماع المعازف والقيْنات ، وترك الأمر بالمعروف

---

(١) **صحيح** : [ص جه ٣٢٠٩] ، جه (٣٩٧٣/ ١٣١٤ / ٢) ، ت (٢٧٤٩/ ١٢٤ / ٤) .

(٢) سورة ق ١٨ .

(٣) **صحيح** : [ص جه ٣٠٦٠] ، جه (٣٧٩٣/ ١٢٤٦ / ٢) ، ت (٣٤٣٥/ ١٢٦ / ٥) .

(٤) **متفق عليه** : خ (٦٤٩٤ / ٣٣١ / ١١) ، م (١٨٨٨ / ١٥٠٣ / ٣) ، ت(١١٧١١/ ١٠٥/ ٣) ، نس (١١ / ٦)

(٥) انظر « مختصر منهاج القاصدين » (١١١) ، وفتح البارى (٣٣١ - ٣٣٣/ ١١) و(٦ ، ٧)

والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من المعاصى التى يُبتلى الإنسان بها بالمخالطة ، ولذلك قال أبو الدرداء : نعم صومعة المرء المسلم بيته ، يكف لسانه وفرجه وبصره

ومنها : كفّ شرّه عن الناس ، فإنه لا يأمن على نفسه عند المخالطة أن يؤذى هذا بلسانه وذلك بيده .

ومنها : السلامة من شرّ الناس وأذاهم ، فإن الذى يخالط الناس لا يكاد يسلم مما يؤذيه .

ومنها : القيام بواجب الزوجة والأولاد من تربية وتعليم وغير ذلك مما يجب لهم عليه ، فإن الاختلاط يتسبب فى تضييع كثير من حق المرأة والأولاد .

وإن تعجب فاعجب من رجل يخرج مبكراً ويعود متأخراً ، يخرج والأولاد نائمون!! ويعود وهم نائمون !! أين ذهبوا فى غيابه وماذا عملوا ؟ لا يدرى !! من دخل عليهم ومن خرج من عندهم ؟ لا يدرى !! هل أقاموا الصلاة أم ضيعوها ؟ لا يدرى !!

فاتقوا الله عباد الله فى أولادكم ، واتقوا الله فى بيوتكم ، فإن لهم عليكم حق فلا تبخسوهم حقهم ، ولا تهربوا من البيت فراراً من المسئولية ، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته .

فمن جاهد نفسه واستطاع لزوم بيته فعليه أن ينوى بعزلته تحصيل هذه الفوائد ، ثم ليكن فى خلوته مواظباً على طلب العلم والاجتهاد فى العمل ، مكثراً من قراءة القرآن وذكر الله ، حتى يتعود الأنس بالله عزّ وجل .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العزلة المقصودة من لزوم البيت إنما تكون مع المحافظة على الجُمَعْ والجماعات ، وحضور حلقات العلم ، وشهود مجالس الخير ، التى لا يستغنى عنها الإنسان ، وهو مع ذلك قائم بما يجب عليه من صلة

رحم ، وعيادة مريض ، واتباع جنازة ، ومشى فى حاجة .

وخلاصة القول أن على المرء أن يعتزل متى كانت العزلة خيراً له ، وأن يخالط متى كان الاختلاط خيراً له ، ولا يجوز له أن يعتزل الناس حتى من الخير ، ولا أن ينفتح عليهم حتى يخالطهم فى الشرّ .

ولذلك قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبة للسوء ، فكن بين القبض والبسط .

« وابك على خطيئتك » « فكل بنى آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون» (١)

فاذا اجتالتك الشياطين وأغوتك فأبعدتك عن سواء السبيل ، ففرّ إلى الله بالتوبة والإنابة ، والندم والاستغفار ، وابْك على خطيئتك التى ارتكبتها خوفاً من عذاب الله عز وجل ، فإن الخطايا سبب العذاب والعقاب ، قال تعالى : ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾ (٢) وقال تعالى عن صاحب الشمال : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ۝٣٧ ﴾ (٣) .

فإذا أخطأت فاستشعر موجبات الخطيئة ، ثم الجأ إلى ربك مستعتبا ، وابك على خطيئتك نادماً ، فإن ذلك من موجبات الرحمة والمغفرة ، قال ﷺ : **« عينان لن تمسهما النار، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »**(٤)
وقال ﷺ: **« لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع»**(٥)

---

(١) حسن : [ص ج ٤٣٩١] ، ت (٢٦١٦ / ٧٠ / ٤) ، جه (٤٢٥١ / ١٤٢٠ / ٢) .
(٢) الحاقة : ٩ ، ١٠ . (٣) الحاقة : ٣٥ - ٣٧
(٤) صحيح : [ص ج ٣٩٩١] ، ت (١٦٩٠ / ٩٦ / ٣) .
(٥) صحيح : [ص ج ٧٦٥٥] ، ت (١٦٨٣ / ٩٣ / ٣)، نس (٣١٢) ، كم (٢٦٠ / ٤)

وقال ﷺ : « **سبعة يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه** » وذكر منهم « **ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** » (١) . يعنى خلا بنفسه فتذكر ذنبه ، وتذكر ربه ، فبكى من خشية المقام بين يدى الله ، نادما على ما اقترفت يداه .

والبكاء من خشية الله دأب النبيين وعباد الله الصالحين ، قال تعالى بعد ذكر كوكبة من الأنبياء فى سورة مريم : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** (٥٨) ﴾ (٢) .

وقال تعالى عن عبادة الصالحين : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** (١٠٦) **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** (١٠٧) **وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا** (١٠٨) **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** (١٠٩) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** (٨٣) ﴾ (٤) .

وكان النبى ﷺ يبكى من خشية الله ، وكان يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (٥)

وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قام فى الصلاة يبكى حتى لا يكاد يُسمع الناس . (٦)

---

(١) **متفق عليه** : خ [٦٦٠ / ٢/١٤٣] ، م (١٠٣١ / ٢/٧١٥) ، ت (٢٥٠٠ / ٢٤ / ٤) ، نس (٨/٢٢٢)

(٢) مريم : ٥٨ . (٣) الإسراء : ١٠٦ - ١٠٩ . (٤) المائدة : ٨٣ .

(٥) **صحيح** : [ص . د : ٧٩٩] ، د (٨٩٠ / ١٧٢ / ٣) ، نس (١٣ / ٣) .

(٦) **متفق عليه** : خ (٦٧٩ / ١٦٤ / ٢) ، م (٤١٨ - ٩٥ - / ٣١٣ / ١) ، ت (٣٧٥٤/ ٢٧٥/ ٥) ، نس (٩٩ / ٢)

ولقد عاب اللهُ تعالى أهل اللهو واللعب الذين يضحكون ولا يبكون ، فقال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) ثم أخبر أنهم سيبكون كثيراً فقال : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢)

قال عقبة : ثم لقينى رسول الله ﷺ فابتدأنى فأخذ بيدى فقال : « **ياعقبة بن عامر! ألا أعلمك خير ثلاث سور أُنزلت فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم ؟** » قال : قلت بلى جعلنى الله فداك . قال : **فأقرأنى : قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفلق. وقل أعوذ برب الناس . ثم قال : ياعقبة لا تنساهن ، ولا تبيتن ليلة حتى تقرأهن** » . قال : فما نسيتهن من منذ قال لا تنساهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن » .

فهذه وصية لكل مسلم أن يذكر هذه السور الثلاث ولا ينساهن ، فإنهن خير ثلاث سور أُنزلت من عند الله عز وجل ، وأن يقرأهن كل ليلة قبل أن ينام ، ويستحب أن يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ ثم يمسح بكفيه مااستطاع من جسده ويكرر ذلك ثلاثا . (٣)

ويستحب أن يفعل ذلك عند المرض (٤) .

كما يستحب قراءة هذه السور الثلاث دبر كل صلاة مكتوبة (٥) ، وكلما أصبح وأمسى قرأهن ثلاثا ثلاثا . (٦)

---

(١) النجم : ٥٩ ، ٦٠ . (٢) التوبة : ٨٢ .

(٣) **صحيح** : خ[٥٠١٧ / ٦٢ / ٩) ، ت (٣٤٦٢ / ١٣٩ / ٥).

(٤) **صحيح** : م(٢١٩٢-٥١-/ ١٧٢٣ / ٤) ، ما (١٧١٠ / ٦٧٣)، د(٣٨٨٤ / ٣٩٥ / ١٠)

(٥) **صحيح** : [ص.د : ١٣٤٨] ، د(١٥٠٩ / ٣٨٥ / ٤) ، نس (٦٨ / ٣) .

(٦) **حسن** : [ص.د : ٤٢٤١]، د (٥٠٦١ / ٤٢٧ / ١٣) ، ت(٣٦٤٦ / ٢٢٧ / ٥) .

قال عقبة : ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال ، فقال « **يا عقبة صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك** » .

هذه الوصايا الثلاث داخلة ضمن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ . (١) .

« **إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون بجزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم** » (٢) فبسبب هذا التحريش تقع العدواة والبغضاء وتكون الخصومة والهجر ، الإسلام حرّم الهجر والقطيعة ، وحرّم المتهاجرين من رحمة الله حتى يصطلحا ، قال ﷺ : « **تُعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس ، فيغفر الله لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئاً ، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا** » (٣)

لذلك وصّى النبيُّ ﷺ خير الرجلين بأن يبدأ بالصلة وقطع هذه الخصومة فقال ﷺ : « **لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » (٤) .

وقال ﷺ لعقبة : « **صل من قطعك** » ، تخرج من الوزر إلى الأجر ، وتعمل

---

(١) فصلت : ٣٤ .

(٢) **صحيح** : م (٢٨١٢/٢١٦٦/٤) ، ت (٢٠٠٢ ٢٢١/ ٣) .

(٣) **صحيح** : م (٢٥٦٥/١٩٨٧/٤) وهذا لفظه ، مـا (١٦٤٣/ ٦٥٣) ، د (٤٨٩٥/ ١٣/٢٥٨) ، ت (٢٠٩٢/ ٢٥١/ ٣) .

(٤) **متفق عليه** : خ (٦٠٧٧/ ٤٩٢/ ١٠) ، م (٢٥٦٠/ ١٩٨٤/ ٤) ، ما (١٦٣٩/ ٦٥٢) ، د (٤٨٩٠/ ٢٥٦/ ١٣) ، ت (١٩٩٧/ ٢١٩/ ٣) .

بهذا الوصل على تطهير قلب أخيك وسلامة صدره منك حتى تعود المياه إلى مجاريها ، فإن عاد وإلا بؤت بالأجر ، وباء هو بالوزر ، كما فى الحديث «أن رجلاً قال يا رسول الله ! إن لى قرابةً ، أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ ، فقال ﷺ : « **لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك** » [١] .

« **واعط من حرمك** » أى اجعل عطاءك لله ولا تكافئ ، بل اعط لله من غير تفريق بين من أعطاك ومن حرمك ، فهذا هو هدى النبيين وعباد الله الصالحين ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ⑥ ﴾ [٢] أى ولا تعط العطاء ترجوا أن تعطى به أكثر ، بل اجعل عطاءك لله من غير انتظار من أحد أن يكافئك عليه ، وقال تعالى فى معرض المدح : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ⑤ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ⑥ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ⑦ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيراً ⑩ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ⑪ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ⑫** ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ **فأنذرتكم ناراً تلظى ⑤ لا يصلاها إلا الأشقى ⑥ الذى كذب وتولى ⑦ وسيجنبها الأتقى ⑧ الذى يؤتى ماله يتزكى ⑨ وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى⑩ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ⑪ ولسوف يرضى ⑫** ﴾ [٤]

---

(١) صحيح : م (٢٥٥٨ / ١٩٨٢ / ٤) . (٢) المدثر : ٦ .
(٣) الإنسان : ٥ - ١٢ . (٤) الليل : ١٤ - ٢١ .

« واعف عمن ظلمك » فإن العفو عند المقدرة من مكارم الأخلاق ، وجميل الصفات وموجبات الجنات ، قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (١) .

وقـــال تعالـى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

وقـال تعـالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٣) . فمن أحب أن يعفو الله عنه فليعف عمن ظلمه .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى العفو عن الظالمين : عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد ؟ قال : **لقد لقيت من قومك ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عَرَضتُ نفسى على ابن عبد ياليْل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلا ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلّتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قولَ قومكَ لك وماردّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فنادانى مَلَكُ الجبال فسلّم علىّ ثم قال : يا محمد ! إن الله قد سمع قول قومكَ لك ، وأنا مَلَكُ الجبال قد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت : إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين . فقال ﷺ : بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»** (٤) .

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ . (٢) الشورى : ٤٠ .

(٣) النور : ٢٢ .

(٤) متفق عليه : خ (٣٢٣١/ ٣١٢/٦) ، م (١٧٩٥/ ١٤٢٠/ ٤)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس بالعضاه يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمُرة فعلّق بها سيفه . قال جابر : فنمنا نومة فإذا رسول الله يدعونا ، فجئناه ، فإذا عنده أعرابى جالس ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يده صلتاً ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ** » (١)

وكتب السيرة مليئة بنماذج كثيرة من عفوه ﷺ عمن ظلمه ، كعفوه عن ابن أبىّ، وعفوه عن أهل مكة يوم الفتح ، وغير ذلك .

ولقد كان لذلك العفو الكريم من النبى ﷺ أكبر الأثر فى نفوس أصحابة ، فهاهو أبو بكر لما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها من فوق سبع سموات قال أبوبكر : والله لا أعود أنفق على مسطح بن أثاثة ، وكان ممن خاض فى حديث الإفك ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)** ﴾ (٢) .

فلما تلاها رسول ﷺ على أبى بكر قال : بلى ! والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، ثم أعاد على مسطح ماكان قطعه عنه . (٣) .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٤١٣٩ / ٤٢٩ / ٧) ، م (٨٤٣ / ١٧٨٦ / ٤) .
(٢) النور : ٢٢ .
(٣) **متفق عليه** : خ (٢٦٦١/٢٦٩/٥) ، م (٢٧٧٠/٢١٢٩/٤) ، ت(٣٢٣٠/١٣ / ٥)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم عُيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كُهولا كانو أوْ شبانا ، فقال عُينيةُ لابن أخيه : يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستّأذن لى عليه ، فاستأذن له فأذن له عمر رضى الله عنه ، فلما دخل قال هيْ ياابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل ، فغضب عمر رضى الله عنه حتى همّ أن يوقع به ، فقال له الحرّ : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (١) وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ماجاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقّافاً عند كتاب الله تعالى » (٢) .

وبمثل هذا العفو تدوم الألفة والمحبة بين المسلمين .

---

(١) الأعراف : ١٩٩.

(٢) صحيح : خ (٤٦٤٢ / ٣٠٤ / ٨)

من وصاياه الجامعة ﷺ

* عَنْ معاذ بن جبل رضيَ اللهُ عنه قال : أردتُ سفراً ، فقلتُ يا رسولَ الله أوْصني ، **فقال : « اعبد اللهَ ولا تشركْ به شيئاً ، واعملْ لله كأنَّكَ تراه ، واعدُدْ نفسَك في الموتَى ، واذكُر اللهَ تعالى عندَ كلِّ حجرٍ وكلِّ شجرٍ ، وإذا عملتَ سيئةً فاعملْ بجنبها حسنةً ، السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانيَة »** (١) .

* وعن أبي الدرداء رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : **« اعبد اللهَ كأنَّك تراه ، وعُدَّ نفسَك في الموتَى ، وإيَّاك ودعواتِ المظلوم فإنَّهنَّ مجابات ، وعليكَ بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهَدْهُما ، فلو تعلَمُونَ ما فيهما لأتيتُموهُما ولو حَبْواً »** (٢).

* وعن أبي المنتَفق أنَّ رسولَ الله ﷺ **قال : « اعبد اللهَ لا تشركْ به شيئاً ، وأقم الصلاةَ المكتوبةَ ، وأدِّ الزكاةَ المفروضة ، وحُجَّ واعتمرْ ، وصمْ رمضانَ ، وانظُر ما تُحبّ للناسِ أن يأتُوه إليكَ فافعله بهم ، وما تكرهُ أن يأتُوه إليكَ فذَرْهم منه »** (٣)

---

(١) حسن : [ص ج : ١٠٥١] ، طب (٣٧٤ / ١٧٥ / ٢٠) بدون الجملة الأولى .

(٢) حسن : [ص ج : ١٠٤٩] ، وانظر تخريجه في " الصحيحة " (١٤٧٤)

(٣) حسن : [ص ج : ١٠٥٠] ، طب (٤٧٤ / ٢١٠ / ١٩) .

هذه ثلاثة أحاديث من أحاديث النبى ﷺ ، اتفقت فى بعض الوصايا ، وانفرد كل حديث ببعض آخر ، وتحصّل من مجموعها هذه الوصايا :

١ - اعبد الله لا تشرك به شيئا .

٢ - واعمل له كأنك تراه .

٣ - وعدّ نفسك فى الموتى .

٤ - وإياك ودعوة المظلوم .

٥ - واذكر الله عند كل حجر وشجر .

٦ - وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء .

٧ - وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بهم ، وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه .

٨ - وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة ، السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية .

الوصية الأولى : « اعبد الله لا تشرك به شيئا » .

وهى لفظ آيه من سورة النساء ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (١) .

وعبادة الله هى الغاية من خلق الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) أى إلا لآمرهم بعبادتى ، وقد فعل سبحانه قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٣) .

ومن أجل هذه الغاية خلق الله الجنة والنار ، فجعل الجنة دار العابدين ،

---

(١) النساء : ٣٦ . (٢) الذريات : ٥٦ .

(٣) البقرة : ٢١ .

وجعل النار دار المستكبرين .

قال تعالى ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ (١) .

والعبادةُ اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، وكالخشية والإنابة ، والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة .

والظاهرة كالشهادتين ، والصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، وبرّ الوالديْن والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . (٢)

وللعبادة أركان وشروط (٣) ، فأركانها ثلاثة : المحبة ، والرجاء والخوف .

وقد دلّ على هذه الثلاثة النصف الأول من سورة الفاتحة :

فقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ دليل المحبة ، لأن الحمد لايكون إلا عن حب ، فغير المحبوب لا يُمدح ولا يُحمد .

وقوله تعالى : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ دليل الرجاء ، لأن من علم أن الله رحمن رحيم طمع فى رحمته ، ولذلك قال النبى ﷺ : « **لو يعلم الكافرون ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد** » (٤) .

---

(١) النساء : ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) انظر " مجموع فتاوى ابن تيمية " (١٤٩ - ١٥٠ / ١٠)
(٣) انظر " معارج القبول " (٣٢٣ - ٣٢٨ / ١) .
(٤) **صحيح** : خ (٦٠٠٠ / ٤٣١ / ١٠) ، ت (٣٦١٠ / ٢٠٩ / ٥) ، واللفظ له .

وقوله تعالى : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ كان النبى ﷺ يقرؤه أحيانا ﴿ **ملك يوم الدين** ﴾ [(١)]، والملك والمملكة توجب الرهبة والخوف .

ثم قال : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ أى بهذه الثلاثة مجتمعة : بالمحبة والرجاء والخوف ، لا نعبدك بالمحبة وحدها ، فإن من ادعى المحبة من غير قيام بخدمة سيده ووفاء بحقه فهو كاذب ، ولا نعبدك بالرجاء وحده ، فإن من قوى رجاؤه من غير عمل أمن مكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ولا نعبدك بالخوف وحده ، فإن من قوى خوفه مع العمل فقد يئس من رحمة الله ، ولا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون .

وإنما نعبدك بالمحبة والرجاء والخوف ، فنحبّك لما انعمت به وتفضلت ، ونعمل بطاعتك نرجو رحمتك ، ونترك معصيتك نخشى عقابك .

وأما شروط العبادة فشرطان : الإخلاص والمتابعة .

فلا بدّ من اخلاص النية لله ، ولا بدّ من متابعة رسول الله ﷺ .

قال تعالى ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [(٢)].

وقال سبحانه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ [(٣)] .

وقال النبى ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى** » [(٤)].

---

(١) **صحيح** : [صفة الصلاة ٩٦] وقال شيخنا : أخرجه : تمام الرازى فى "الفوائد" ، وابن أبى داود فى "المصاحف" (٧/ ٢) وأبو نعيم فى "أخبار أصفهان" (١/ ١٠٤) والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى ، وهذه القراءة متواترة كالأولى " مالك "

(٢) الزمر : ٢, ٣ .

(٣) آل عمران : ٣١ .

(٤) **متفق عليه** : خ (١/٩/١) ، م (١٩٠٧ / ١٥١٥/٣) ، د (٢١٨٦/ ٢٨٤/٦) ، ت (١٦٩٨/ ١٠٠/٣) ، نس (٥٩ / ١) جه (٤٢٢٧ / ١٤١٣ / ٢) .

وقال ﷺ : « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ** » [1].

وقال ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » [2]

الوصية الثانية : « واعمل لله كأنك تراه » :

هذا اللفظ أعم من اللفظ الثانى وهو « اعبد الله كأنك تراه » ، فالعمل عام يشمل العبادة وغيرها .

فأنت أيها المسلم مطالب بمراقبة الله عزّ وجل فى كل ما تأتى من أعمال ، أنت مطالب بأن تعمل العمل كأنك ترى الله وتنظر إليه أثناء العمل ، فيحملك هذا على بذل الجهد فى تحسين العمل وإخلاصه وإتقانه .

أرأيت أجيراً يعمل عند صاحب عمل وهو قائم على رأسه يراقبه ولا يفارقه ، هل يكون من ذاك العامل تقصير أوْ ملل أو فتور ؟ كلا . فإذا أنت عملت لله فكن كالأجير الذى يعمل بحضرة صاحب العمل ، اعمل لله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

والمقصود من ذلك كله التفانى فى العمل ، وعدم التوانى فيه ، وبذل الجهد فى تحسينه وإتقانه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [3] ولم يقل أكثر عملا ، حيث يهتم العامل بتحسين العمل وإتقانه قبل أن يهتم بعدده وكثرته .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٢٦٩٧/ ٣٠١/ ١/ ٥)، م (١٧١٨/ ١٣٤٣/ ٣) ، د (٤٥٨٢/ ٣٥٨/ ١٢) ، جه (١٤/ ٧/ ١) .

(٢) **صحيح** : م (١٧١٨ -١٨-١٣٤٣/ ٣) ، خ تعليقا (٣٥٥/ ٤) بزيادة فى أوله .

(٣) الملك : ٢ .

الوصية الثالثة : « وعُدّ نفسك فى الموتى » :

أى : اترك الحرص على الدنيا والطمع فيها ، والتكالب عليها ، ولا تفرح بما آتاك الله منها ، ولا تحزن على ما فاتك ، واحرص على العمل ، فإن الموتى يتمنون أن يردّوا إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحا ، وها أنت فيما فاتهم ، فاحرص على العمل قبل أن يصيبك ما أصابهم فتقول : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (١).

فيأتيك الجواب : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (٢) .

عن على رضى الله عنه قال : إن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكلٍّ منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولاعمل . (٣) .

الوصية الرابعة : « وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات » :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنم

ترفع دعوة المظلوم إلى السماء فلا يحجبها عن الله شئ ، فيقول لها : « وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين ، « **فاتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** »(٤) ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىَ منقلب ينقلبون ﴾ (٥) .

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ . (٢) المؤمنون : ١٠٠ .
(٣) خ تعليقا (٢٣٥ / ١١) موقوفا على علىّ .
(٤) **صحيح** : م (٢٥٧٨ / ١٩٩٦ / ٤) .
(٥) الشعراء : ٢٢٧ .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) ﴾ (١) .

فمن ظلم مظلمة فليتحلل ممن ظلمه اليوم قبل الغد ، فإن دواوين المظالم ستنشر يوم القيامة ، وسينظر الله فيها ، ويقتص للمظلوم من الظالم ، قال النبى ﷺ : « **لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقتصّ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** » (٢) .

وقال ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه ، من عرضه أو من شئ ، فليتحلّله اليوم قبل أن لايكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه** » (٣) .

الوصية الخامسة : « واذكر الله عند كل حجر وشجر » :

المراد الإكثار من ذكر الله عزّ وجل فى السفر ، لأن المسافر عُرضة للغفلة بسبب مشاغله ، فوصَّاه النبى ﷺ بكثرة الذكر ، لعموم قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ (٤) .

وذكر الله يذهب الهم والغم و يشرح الصدر ويطمئن القلب ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾ (٥) .

---

(١) إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .
(٢) **صحيح** : م (٢٥٨٢ / ١٩٩٧ / ٤) ، ت (٢٥٣٥ / ٣٧ / ٤) .
(٣) **صحيح** : خ (٢٤٤٩ / ١٠١/ ٥) وهذا لفظه ، ت (٢٥٣٤ / ٣٧ / ٤) بمعناه .
(٤) الأحزاب : ٤١ ، ٤٢ .
(٥) الرعد : ٢٨ .

ولعل المراد بذكر الله عند كل حجر، وشجر، تجاوب الحجر والشجر معه بذكر الله، وشهاداتها له يوم القيامة، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ما من مُسلم يلبّى إلا لبّى ما عن يمينه وعن شماله من حجر وشجر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا** » [1]، يعنى عن يمينه وشماله.

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة « أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال له: « **إنى أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذّنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لايسمع مدى صوت المؤذن جنٌ ولا إنسٌ، ولا شئٌ، إلا شهد له يوم القيامة** ». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ » [2]

الوصية السادسة: « **وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما** » و « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » [3].

وصلاة الفجر مشهودة، كما قال تعالى: ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ [4].

وقال النبى ﷺ: « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله – وهو**

---

(١) صحيح: [ص. ج: ٥٦٤٦]، ت (٨٢٨/ ١٦٢/ ٢)، جه(٢٩٢١/ ٩٧٤/ ٢)، كم (٤٥١/ ١)

(٢) صحيح: خ (٦٠٩/ ٨٧/ ٢)، نس (١٢/ ٢)

(٣) صحيح: م (٦٥٦/ ٤٥٤/ ١)، وهذا لفظه، ت (٢٢١/ ١٤١/ ١)، د (٥٥١/ ٢٦١/ ٢)

(٤) الإسراء: ٧٨.

أعلم - كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون» [١] .

وفى المحافظة على صلاة الغداة وصلاة العشاء خروج من التشبه بالمنافقين فإنهم لا يشهدونهما ، كما قال ﷺ : **« أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما حبواً »** . [٢]

الوصية السابعة : « وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بهم ، وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه » :

فكما تدين تدان ، والجزاء من جنس العمل ، فما تحب أن يفعله الناس معك فافعله معهم ، فإن قصّرت فلا تلومّن إلا نفسك ، ولا تطمع أن يفعل الناس لك مالم تفعله لهم ، وإلا كنت من المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [٣]

وما تكره أن يفعله الناس معك فلا تفعله معهم ، فإن فعلت فلا تلومّن إلا نفسك، فمن أحسن إلى الناس أحسنوا إليه ، ومن أساء إليهم أساءوا إليه ، وبالكيل الذى تكيل به يكال لك ، قال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ۝٦٠ ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [٥] .

فاحترم الآخرين حتى يحترموك ، وأكرم الناس حتى يكرموك ، وتذكر أنه دائماً كما تدين تدان .

---

(١) **متفق عليه** : خ(١٥٥٥/ ٣٣/ ٢)،م(٦٣٢/ ٤٣٩/ ١)، ما(٤١١/ ١١٨)، نس(٢٤٠/ ١) .
(٢) **متفق عليه** : خ(٦٥٧/ ١٤١/ ٢)،م(٦٥١/ ٤٥١/ ١) .
(٣) المطففين : ١-٣.
(٤) الرحمن : ٦٠ .
(٥) الشورى : ٤٠ .

الوصية الثامنة : « وإذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة »

فـ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١) ، فإذا أسأت فيما بينك وبين ربك فأحسن ، وإذا قصرت فاجتهد ، وقاوم السيئات بأضدادها :

فإذا شُغلت بسماع الأغاني والعازف والمعازف فأكثر من سماع القرآن الكريم ، وإذا شُغلت باللغو والباطل فأكثر من الذكر وقول الحق ، وإذا قطعت رحمك فصلها ، وإذا أسأت إلى جيرانك فأحسن إليهم ، وهكذا ، قاوم السيئات بأضدادها : السرّ بالسرّ ، والعلانية بالعلانية ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾ (٢)

---

(١) هود : ١١٤ .

(٢) هود : ١١٤ .

الحديث السادس

من وصايـاه النافعة ﷺ

عن أبى ذرٍّ رضى الله عنه قال : أَوْصَانى خليلى ﷺ بسَبْعٍ : **بحُبِّ المَسَاكين وأَنْ أَدْنو منهُمْ ، وأَنْ أَنْظُرَ إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ منِّى ولاَ أَنْظُرَ إلى مَنْ هُوَ فَوْقى ، وأَنْ أَصِلَ رَحِمى وإِنْ جَفَانى ، وأَنْ أُكْثِرَ منْ لاحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه ، وأنْ أَتَكَلَّمَ بمُرِّ الحَقِّ ، ولا تَأْخُذنى فى اللَّه لَوْمَةَ لائم ، وأنْ لا أسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً » (1).**

الوصية الأولى : «أوصانى بحب المساكين وأن أدنو منهم » .

إنما أوصاه النبى ﷺ بذلك لينفى عن نفسه صفة الكبر ويرغمها على التواضع ، فإن الكبر لا يليق بمن أوله نطفة قذرة ، وآخره جيفة نتنة ، ، وهو بين ذلك يمشى وبين جنبيه الأقذار .

عن الحسن أنه كان يقول : عجباً لك يابن آدم تغسل الخرء كل يوم بيدك مرتين أو ثلاثاً ثم تتكبر على عباد الله .

والكبر حرام ، نهى الله تعالى عنه فقال : **﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) ﴾** (2) .

وقال : **﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) ﴾** (3) .

---

(١) **صحيح** :[س . ص:٢١٦٦]،أ(١٩/١٩٩/٨٧)،حب(٢٠٤١/ ٥٠٠)،طب(٢/١٥٦/١٦٤٩)

(٢) الإسراء : ٣٧ . (٣) لقمان : ١٨ .

وقد توعّد الله المتكبرين بأنواع من العقوبات :

منها : صرفهم عن الهدى ، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ﴾[1]

ومنها : الطبع على القلوب ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾[2] .

ومنها : الحرمان من الجنة ، قال ﷺ : « **لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر** »[3] .

ومنها : استحقاق العذاب ، قال ﷺ : « **إن الله تعالى يقول العز إزارى والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى شيئاً منهما علّبته** »[4] .

ومنها : الذّل والهوان ، قال ﷺ : « **يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ فى صور الرجال ، يغشاهم الذلّ من كل مكان ، يساقون إلى سجن فى جهنم يسمّى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال** »[5] .

وقد أمر الله بالتواضع بعد أن نهى عن الكبر ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾[6] .

---

(١) الأعراف : ١٤٦ . (٢) غافر : ٣٥ .

(٣) **صحيح** : م(٩١/ ٩٣/ ١)، ت(٢٠٦٧/ ٢٤٣/ ٣)د(٤٠٧٣/ ١٥٠/ ١١)جه(٤١٧٣/ ١٣٩٧/ ٢).

(٤) **صحيح** : م(٢٦٢٠/ ٢٠٢٣/ ٤) ، د(٤٠٧٢ / ١٥٠ / ١١) وعنده "العظمة" بدل "العزة"

(٥) **حسن** : [ص . ج : ٧٨٩٦] ، أ(٦٠/ ٢٢٤/ ١٩) ، ت(٢٦١٠/ ٦٦/ ٤) .

(٦) الحجر : ٨٨ .

ومدح أولياءه على تواضعهم فقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾ [١] .

وقال محذّراً من الكبر حاثّاً على التواضع : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٢] .

ومما ينفى عن الإنسان صفة الكبر الدنوّ من المساكين والتقرب منهم ومجالستهم ، وبهذا أمر الله رسوله ﷺ فقال : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٤] ، وكان المشركون سألوا رسول الله ﷺ أن يطرد عن مجلسه الفقراء والمساكين حتى يجلسوا إليه وحدهم .[٥] .

ولقد كان من جملة دعاء النبى ﷺ : « **اللهم أحينى مسكينا ، وتوفنى مسكينا واحشرنى فى زُمرة المساكين** »[٦] وهذا منه ﷺ دعاء أن يرزقه الله التواضع والخضوع ، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبرين ، والأغنياء المترفين ، وليس معناه طلب المسكنة التى هى نوع من الفقر ، فقد كان ﷺ يستعيذ بالله من الفقر

---

(١) الفرقان : ٦٣ . (٢) المائدة : ٥٤ . (٣) الكهف : ٢٨ .

(٤) الأنعام : ٥٢ .

(٥) **صحيح** : م (٢٤١٣/١٨٧٨/٤) ، جه (٤١٢٨/١٣٨٣/٢) .

(٦) **صحيح** : [ص ج١٢٧٢] ، جـه(٤١٢٦/١٣٨١/٢) ، وانظر "الإرواء" (٨٦١) ، و"الصحيحة" (٣٠٨)

والكفر [١] ، ولقد امتنّ الله عليه بما أنعم عليه من الغنى ، فقال : ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ [٢] .

وعلّم الله نبيهﷺ أن يدعو بهذا الدعاء : « **اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين** »[٣] .

الوصية الثانية : « وأن أنظر إلى من هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى »

المراد أن ينظر إلى من هو أسفل منه فى الدينا والمعيشة ، ولا ينظر إلى من هو فوقه فيها ، فإن الله قسم الأرزاق وفاوت بين الناس فيها لحكم كثيرة ، كما قال تعالى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)** ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)** ﴾ [٥]

وقد نهى الله تعالى عن النظر إلى زينـــة الحياة الدنيــا والتطـلع إليهـا فقال : ﴿ **ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾ [٦] ، فمن أطاع أراح بدنه وقلبه وشكر ربه ، كما قال النبى ﷺ : « **انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن تزدروا نعمة الله عليكم** » [٦] .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ١٢٩٦]، كم (٥٣٠/١) .
(٢) الضحى : ٦-٨ .
(٣) **صحيح** : [ص ج ٥٩] ، ت (٣٢٨٨/٤٦, ٤٧/٥) .
(٤) الزخرف : ٣٢ . (٥) الإسراء : ٢٠, ٢١ . (٦) طه : ١٣١ .
(٦) **صحيح** : م(٢٩٦٣/ ٢٢٧٥/ ٤)،ت (٢٦٣٢/ ٧٥/ ٤) ، جه (٤١٤٢/ ١٣٨٧/ ٢) .

فمن نظر إلى من هو أسفل منه رأى نفسه ملكاً ، فحمد اللّهَ ، وقنع بما آتاه ، ومن نظر إلى من هو فوقه أتعب بدنه وقلبه ، وأجهد نفسه فى محاولة الوصول إلى ماعليه غيره ، وهيهات هيهات أن ينتهى إلى قناعة أوْ رضى ، أو يريح بدنه يوماً ما ، ففوق كل غنىٍّ غنىٌّ ، فمهما استغنى فسيرى دائماً من هو أغنى منه ، والنبى ﷺ يقول : « **ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس** » (١) .

ولذلك قال القائل :

هى القناعة فاحفظها تكن ملكـا لو لم يكن لك منها إلا راحة البدن

وانظر إلى من ملك الدنيا بأجمعها هـل راح منها بغير الطيب والكفن

وقال النبى ﷺ : « **من أصبح منكم آمنا فى سِرْبه ، معافاً فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » (٢) .

وقال ﷺ : « **قد أفلح من أسلم ، ورُزق كفافاً ، وقَنَّعه اللّهُ بما آتاه** » (٣) .

الوصية الثالثة : « وأن أصل رحمى وإن جفانى »

إن الله تعالى خلق الرحم واشتق لها اسماً من أسمائه ، فهو الرحمن وهى الرحم ، وقد أمر الله تعالى بوصلها ، وحذّر من قطعها ، فقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا

---

(١) **متفق عليه** : خ (٦٤٤٦ / ٢٧١ / ١١) ، م (١٠٥١/ ٦٧٢/ ٢) ، ت (٢٤٧٩/ ١٥/ ٤) ، جه(٤١٣٧/ ١٣٨٦/ ٢) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ٥٩١٨] ، ت (٢٤٤٩/ ٥/ ٤) ، جه (٤١٤١/ ١٣٨٧/ ٢) .

(٣) **صحيح** : م (١٠٥٤/ ٧٣٠/ ٢) ، ت (٢٤٥٢/ ٦/ ٤) ، جه (٤١٣٨/ ١٣٨٦/ ٢)

(٤) النساء : ١ .

أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ (١)

وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** » (٢).

وقال ﷺ « **إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : نعم . أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك لك** » (٣).

وقال ﷺ : « **من أحبّ أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه** » (٤).

وقال ﷺ : « **الرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله** » (٥).

وصلة الرحم مطلوبة وإن قطعت الرحمُ ، وهذا معنى وصيته ﷺ : « **وأن أصل رحمي وإن جفاني** » ، فليس عذراً في القطيعة أن تقطعك رحمك ، ولذا قال ﷺ : «**ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمهُ وصلها** » (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلُم عنهم ويجهلون عليّ فقال ﷺ : « **لئن كنت كما قلت فكأنما تسفّهم الملّ ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك** » (٧).

---

(١) محمد : ٢٢ ، ٢٣ . (٢) صحيح : خ (٦١٣٨/ ١٠/٥٣٢)
(٣) صحيح : م (٢٥٥٤/ ١٩٨٠/ ٤) (٤) صحيح : خ (٥٩٨٥/٤١٥/١٠) .
(٥) صحيح : م : ٢٥٥٥/ ١٩٨١/ ٤) .
(٦) صحيح : خ (٥٩٩١/٤٢٣/١٠) ، د(١٦٨١/ ١١٤/ ٥) ، ت (١٩٧٣/ ٢١١/ ٣) .
(٧) صحيح : م(٢٥٥٨/١٩٨٢/ ٤) .

ثم إن النفس مجبولة على حبّ من أحسن إليها ، فإذا أساءت رحمك وأحسنت ، وقطعتْ ووصلت ، فلابد أنهم سيُقلعون عما هم عليه من نتيجة صبرك عليهم وحلمك عليهم وإحسانك إليهم ، وهذا ما قرّره ربُّنا سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴿٣٤﴾﴾[1] .

الوصية الرابعة : « **وأن أكثر من لا حول ولاقوة إلا بالله** » .

فإنها كنز من كنوز الجنة ، كما قال ﷺ[2]، وفيها تبرؤ العبد من حوله وقوته واستعانته بحول الله وقوّته ، فإن معناها لا حيلة لأحد ، ولا تحّول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ، ولا قدرة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله[3] ، وهذا معنى قولنا فى كل صلاة : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[4] ، وهو أيضاً معنى قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « **لاتدع دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »[5] .

الوصية الخامسة : « **وأن أتكلّم بمرّ الحق** »

سواء كان أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو شهادة عدل وصدق ، فإن الأمر بالمعروف تكرهه النفس المريضة كراهيتها للدواء المرّ ، وكذلك النهى عن المنكر ، فالنفس المريضة لاتحب أن تؤمر بالمعروف ، ولا أن تُنهى عن المنكر ،

---

(١) فصلت : ٣٤ .

(٢) **متفق عليه** :خ (٦٣٨٤/ ١٨٧/ ١١) ، م(٢٧٠٤/ ٢٠٧٦/ ٤) ، ت(٣٥٢٨/ ١٧٢/ ٥)، د(١٥١٢/ ٣٨٦/ ٤) .

(٣) انظر " شرح الطحاوية " (٥٠٢)

(٤) الفاتحة : ٥ .

(٥) **صحيح** : [ص . ج : ٧٨٤٦] ، د (١٥٠٨ / ٣٨٤/ ٤) ، نس (٥٣ / ٣) .

والنفس المريضة لاتحب العدل وكلمة الحق، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بكلمة الحق والعدل بغض النظر عما يترتب عليها ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)** ﴾[2] .

فمن تعيّنت عليه شهادة وجب عليه أن يُقيمها لله خالصة من غير مَيْل ولاجَوْر ولاحيف، فالله أولى بالناس جميعاً من الناس جميعاً ، ﴿ **إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا** ﴾[3] .

أما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا بدّ منه شريطة أن يكون الأمر بالمعروف بالمعروف ، وأن يؤدى إلى معروف ، وأن يكون النهى عن المنكر أيضاً بالمعروف ولايؤدى إلى منكر أعظم منه .

فمن الخطأ اعتقاد أنك مطالب بقول الحق المرّ مطلقاً بدون نظر فى عواقبه ، فإن النظر فى العواقب أمر ضرورى فإذا أردت أن تأمر بالمعروف فلا يكن همّك أن تأمر وليكن ما يكون ، وإذا أردت أن تنهى عن منكر فلا يكن همّك أن تنهى وليكن ما يكون ، بل لابد من موازنة الأمور وقياسها ، والتأكد من تحقيق المصلحة الراجحة على المفسدة المتوقعة بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن **قواعد الأصول** : الضرر لايُزال بالضرر ، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح

---

(١) النساء : ١٣٥ . (٢) المائدة : ٨ . (٣) النساء : ١٣٥ .

الوصية السادسة : « ولاتأخذنى فى الله لومة لائم »

فلا بد أن يكون الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر شجاعاً جريئاً ، لا يخشى إلاّ الله ، كما قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً (٣٩)** ﴾(١) .

﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيراً (٤٥)** ﴾(٢) .

لكن لابدّ أن تكون هذه الشجاعة مقيّدة بالحكمة واللين والرفق ، أما الشجاعة المتهورة الغير منضبطة بالضوابط الشرعية فإنها تؤذى صاحبها ، وتُلقى به إلى التهلكة وهو يظن أنه مفضٍ إلى النجاة .

الوصية السابعة : « وأن لا أسأل الناس شيئا » .

فإن أحبّ الناس إلى الناس من استغنى عنهم ، ولا يزال الرجل يسأل أخاه حتى يكرهه ، وحتى يفرّ منه إذا لقيه ، ويُنكرَ نفسه إذا سأل عنه ، ومن هنا قال جبريل للنبى ﷺ :

« واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزّه استغناؤه عن الناس»(٣)

ولقد حذّر ﷺ من المسألة ، ورغّب فى العمل والسعى والكسب ، فقال ﷺ :

«لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » (٤)

وقال ﷺ : « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه** » (٥)

---

(١) الأحزاب : ٣٩

(٢) النساء : ٤٥ .

(٣) **حسن** : [ص . ج : ٧٣] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٨٣١)

(٤) **متفق عليه** : خ (١٤٧٤/٣٣٨/٣) ، م (١٠٤٠/ ٧٢٠/ ٢) .

(٥) **صحيح** : خ (١٤٧١/ ٣٣٥/ ٣) .

الحديث السابع

حقُّ المسلم على المسلم

عن البراء بن عازب رضيَ اللهُ عنه قال : « **أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، واتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ وَ نَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي** »[١] .

هذا حديث عظيم ، أراد به النبى ﷺ إرشاد الأمة إلى أسباب تقوية الأواصر بينها ، وزيادة الأخوة والمحبة ، كما أمرنا ﷺ بقوله : « وكونوا عباد الله إخوانا »[٢] .

الوصية الأولى : « أمرنا بعيادة المريض »

عيادة المريض حقّ له على إخوانه ، كما قال ﷺ : **« حق المسلم على المسلم خمس» وذكر منها : « أن يعوده إذا مرض »**[٣] .

وفى العيادة فوائد كثيرة :

منها : إدخال السرور على قلب المريض وأهله ، وهذا من أفضل الأعمال ، كما قال ﷺ : **« أحب الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم »** [٤]

ومنها : إشعاره بالإحساس به ، والتألم لألمه ، فيتحقق بذلك قول النبى ﷺ :

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٨٦٣/ ٣١٥/ ١٠)، م(٢٠٦٦/ ١٦٣٥/ ٣)، ت(٢٩٦١/ ٢٠٢/ ٤)، نس(٥٤/ ٤) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٦٠٦٦/ ٤٨٤/ ١٠) ، م (٢٥٦٣/ ١٩٨٥/ ٤) .

(٣) **متفق عليه** : خ(١٢٤٠/ ١١٢/ ٣) ، م (٢١٦٢/ ١٧٠٤/ ٤) ، د(٥٠٠٩/ ٣٧٢/ ١٣)

(٤) **حسن** : [س . ص : ٩٠٦] ، وقال الشيخ :أخرجه "طب" (٣/ ٢٠٩/ ٢) وابن عساكر فى "التاريخ" (١٨/ ١/ ٢)

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (١)

ومنها : تحصيل الأجر والثواب للزائر ، فقد قال ﷺ : **«إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع»** (٢) .

وقال ﷺ : **«ما من مسلم يعود مسلماً غُدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يمسى ، وإن عاده عشيةً إلا صلّى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة»** (٣) .

وقال ﷺ : **«من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مُناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً»** (٤) .

فعلينا أن نحرص على زيارة المريض وعيادته طمعاً فى هذا الأجر والثواب ، وهرباً من معاتبة الربّ سبحانه ، فإن الربّ سبحانه يعاتب على ترك عيادة المريض ، كما قال ﷺ : **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يابن آدم مرضتُ فلم تعدنى ! قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده»** (٥) .

هذا وللعيادة آداب :

منها : أن يختار العائدُ الوقت المناسب ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) متفق عليه : فى (٦٠١١/٤٣٨/١٠) م (٢٥٨٦/١٩٩٩/٤).
(٢) صحيح : م (٢٥٦٨/١٩٨٩/٤) ، ت(٩٧٤/٢٢١/٢) والفظ له .
(٣) صحيح : [ص . ج : ٥٦٤٣] ، ت(٩٧٧/٢٢٢/٢) ، د(٣٠٨٢, ٣٠٨٣, ٣٠٨٤/٣٦٢/٨).
(٤) حسن : [ص. ج : ٦٢٦٣]،ت (٢٠٧٦/٢٤٦/٣) ، جه (١٤٤٣/٤٦٤/١) بدون " أوْزار "
(٥) صحيح : م (٢٥٦٩/١٩٩٠/٤) .

لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ (١) أى تستأذنوا فى وقت يحصل بكم فيه الأنس والسرور والسعادة .

ومنها : أن يستأذن ثلاثاً فإن أذن له وإلا رجع ، كما قال النبى ﷺ : **« الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع »** (٢) .

ومنها : أن يجلس فى مكان لايكشف فيه عورة البيت ، وليحذر كل الحذر من استراق البصر ، فإن الله تعالى قال : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٣)

ومنها : أن يطيّب خاطره بالدعاء له ، ومن الأدعية المأثورة فى ذلك :

« اللهمّ ربّ الناس اذهب الباس ، اشف أنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لايغادر سقما » (٤) .

« أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » سبع مرات (٥) .

ومنها : أن يذكره بفضل المرض وثوابه ، ومن ذلك قول النبى ﷺ : **« من يُرد الله به خيراً يُصب منه »** (٦) .

وقوله ﷺ **« إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط »** (٧)

---

(١) النور : ٢٧ .

(٢) **صحيح** : م (٢١٥٣-٣٤/ ١٦٩٤/ ٣) ، ت (٢٨٣١, ١٥٧/ ٤)

(٣) غافر : ١٩ .

(٤) **متفق عليه** : خ (٥٧٤٢/ ٢٠٦/ ١٠) ، م (٢١٩١/ ١٧٢١/ ٤) .

(٥) **صحيح** : [ص .ج ٦٢٦٤] ، د (٣٠٩٠/ ٣٧١/ ٨) ، ت (٢١٦٥/ ٢٧٧/ ٣) ، كم (٤١٦/ ٤)

(٦) **صحيح** : خ (٥٦٤٥/ ١٠٣/ ١٠) ، ما (١٧٠٧/ ٦٧٢) .

(٧) **حسن** : [ص ج ٢١٠٦] ، ت (٢٥٠٧/ ٢٧/ ٤) .

وقوله ﷺ : « **ما يصيب المسلم من نصب ولاوصب ، ولاهمّ ولاحزن ، ولاأذىً ولاغم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفّر له به من خطاياه** »(١) .

وإن رأى منه تحسّراً على عمل صالح فاته بالمرض بَشَّرَهُ بأنه قد وقع أجره على الله ، كما قال النبي ﷺ : « **إذا مرض العبد أوْ سافر كُتب له من الأجر مثل ماكان يعمل صحيحاً مقيما** »(٢) .

ومنها : أن يفسح له في الأجل ، وأن يذكره بأن مابه من مرض لاشئ بالنسبة إلى ما كان أصيب به فلان وفلان ، وقد عافاهم الله ، وسيعافيك كما عافاهم ، ونحو ذلك مما يشرح صدره ويطيّب خاطره .

ومنها : أن يوصيه بالمحافظة على الصلاة ، وأن يذكره بما يجوز له من التيمم إذا عجز عن الوضوء ، ومن الصلاة قاعداً أو على جنب إذا عجز عن القيام ، ونحو ذلك .

ومنها : أن لا يشق عليه بطول الجلوس عنده ، إلا إن علم من المريض نفسه حبّ البقاء وطول الجلوس ، فإن من تمام الفائدة أن يحقق رغبته .

الوصية الثانية : « واتباع الجنائز »

واتباع الجنائز من حق المسلم على المسلم ، كما قال ﷺ ، وفيه فوائد :

منها : الوقوف بجانب أهل الميت ، ومشاركتهم أحزانهم ، مما يخفف عنهم ويواسيهم .

ومنها : تذكر المتبعَّ أنه سيُتَّبع يوماً ما ، فيرجع من هذه الجنازة وقد عزم على

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٦٤١, ٥٦٤٢/١٠٣/١٠) وهذا لفظه ، م(٢٥٧٣/١٩٩٢/٤) .
(٢) **صحيح** : خ (٢٦٩٦/١٣٦/١٠) ، د(٣٠٧٥/ ٣٥٤/ ٨) .

الإقلاع عن الذنوب والمعاصى ، وإحداث توبة ، وتجديد العهد بالله ، فيكون أحسن حالاً مع ربّه من ذى قبل .

ومنها : تحصيل الأجر والثواب الذى تفضّل الله به على متبعى الجنازة ، وقد بيّنه النبى ﷺ بقوله : « **من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً ، وكان معه حتى يصلّى عليها ، ويُفرغ من دفنها ، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين ، كُلُّ قيراط مثل أُحد ، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن فإنه يرجع بقيراط** » (١)

الوصية الثالثة : « وتشميت العاطس »

وتشميت العاطس من حق المسلم على المسلم ، كما قال ﷺ، وهو فرض عين على كل من سمعه يحمد الله ، لقوله ﷺ: « **إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإن عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله** »(٢) .

فإن لم يحمد الله سقط حقه فى التشميت ، عن أنس رضى الله عنه قال : «عطس رجلان عند النبى ﷺ فشمّت أحدهما ولم يشمّت الآخر ، فقال الرجل : شمّت هذا ولم تشمّتنى ؟ قال : « **إن هذا حمد الله ولم تحمد الله** » (٣) .

وإنما أمر العاطس بالحمد عقب العطاس لأنه قد حصلت له نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المختنقة فى دماغه ، التى لو بقيت فيه أحدثت أدواء عسيرة ، فشُرع له بعد العطاس حَمْدُ الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها

---

(١) **صحيح** : خ (٤٧/١٠٨/١) ، نس ٧٧/٤).

(٢) **صحيح** : خ (٦٢٢٣/٦٠٧/١٠).

(٣) **متفق عليه** : خ (٦٢٢٥/٦١٠/١٠) ، م (٢٩٩١/٢٢٩٢/٤) ، د (٥٠١٨/٣٧٩/١٣) ، ت (٢٨٨٨/١٧٩/٤) .

وهيئتها بعد هذه الزلزلة التى هى للبدن كزلزلة الأرض لها .[(١)]

وللعاطس حق التشميت ثلاث مرات ، فإن زاد فهو مزكوم ولاحق له فى التشميت، عن النبى ﷺ قال : « **إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد عن ثلاث فهو مزكوم ، ولا يشمّت بعد ثلاث** »[(٢)] .

وقد بيّن النبى ﷺ صفة التشميت وصفة الردّ فقال : « **إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم** »[(٣)]

ويستحب للعاطس أن يغطى فمه ، وأن يخفض صوته ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **كان النبى ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه ، وخفض أو غض صوته** » [(٤)] .

الوصية الرابعة : « وإبرار المقسم » :

فمن حق المسلم على المسلم إذا حلف عليه أن يستجيب له ، وأن يُعينه على البرّ بقسمه ، إذا كان طاعة أو معروفا ، ولو كان مباحا .

وأما إذا حلف عليه فى شئ حرام فليس للحالف ولا المحلوف عليه حق فى فعل المحلوف عليه .

وإبرار المقسم وإن كان من حق المسلم على المسلم إلا أنه مستحب وليس بواجب ، فيستحب لمن حلف عليه أخوه أن يزوره أو يأكل طعامه أو يشرب

---

(١) أنظر " زاد المعاد " (٢/٤٣٨)

(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٦٩٧] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (١٣٣٠)

(٣) **صحيح** : خ(٦٢٢٤ / ١٠/٦٠٨) ، د(٥٠١٢ / ١٣/٣٧٤)

(٤) **حسن صحيح** : [ص.د : ٤٢٠٧] ، د(٥٠٠٨/ ١٣/٣٧١) ، ت((٢٨٩٣/ ٤/١٨٠)

شرابه أو نحو ذلك ، يستحب أن يبرّ بقسم أخيه ، فإن لم يفعل فلا حرج عليه ، ولا كفارة على من حلف ، لأنه صحّ فى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه عبّر رؤيا بحضرة النبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ : **« أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً »** فقال أبو بكر : أقسمت عليك يارسول الله لتخبرنى ، فقال ﷺ : **« لاتقسم ، ولم يخبره »** (١) .

الوصية الخامسة : « ونصر المظلوم »

إن الظلم عاقبته وخيمه فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾** (٢) ، وقال تعالى : **﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) ﴾** (٣) .

والأمّة التى يشيع فيها الظلم أمّة مهانة غير مكرّمة !

عن جابر رضى الله عنه قال : لما رجعتْ إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال : **«ألا تحدّثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ »** قال فتية منهم : بلى يا رسول الله ! بينما نحن جلوس مرتْ بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلّةً من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها ، فانكسرت قلّتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم ياغُدر إذا وضع اللّهُ الكرسىّ ، وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى

---

(١) **متفق عليه** : خ (٧٠٤٦/ ٤٣١/ ١٢) ، م (٢٢٦٩/ ١٧٧٧/ ٤) ، ت (٢٣٩٥/ ٣٧١/ ٣) ، د (٤٦٠٨/ ٣٨٣/ ١٢) ، جه (٣٩١٨/ ١٢٨٩/ ٢) .

(٢) يونس : ١٣ .

(٣) إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .

والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا . فقال رسول الله ﷺ : «**صدقت صدقت !! كيف يقدّس الله أمّة لايؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟!**» (١)

لذلك أمر الله تعالى بنصر المظلوم ولو أدى الأمر إلى قتال الظالم ، فقال سبحانه : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٩) ﴾ (٢).

ورغب النبى ﷺ فى نصر المظلوم ، وحذر من التخلّى عنه مع القدرة على نصره ، فقال : «**مامن امرئ مسلم يخذل امرأ مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته، ومامن امرئ مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته**» (٣).

وقال ﷺ : «**من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم**» (٤).

ولقد حذرالله ورسوله الأمة التى يشيع فيها الظلم من أن يؤاخذ أهل العدل فيها . بجريرة الظلمة إذا هم لم يأخذوا على أيديهم ويمنعوهم ، قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (٢٥) ﴾ . (٥)

---

(١) **حسن** : [ص . جه : ٣٢٣٩] ، جه (٤٠١٠/ ١٣٢٩/ ٢) .
(٢) الحجرات : ٩ .
(٣) **حسن** : [ص. ج : ٥٥٦٦] ، د (٤٨٦٣/ ٢٢٨/ ١٣) .
(٤) **حسن** : [ص . د :٤٠٨٦] ، د (٤٨٦٢/ ٢٢٧/ ١٣) .
(٥) الأنفال : ٢٥ .

وقال ﷺ : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه** » [١] .

فعلينا جميعا أن ننصر المظلوم بكل ما نملك ، بالكلمة ، باليد ، بالمال ، يرفع أمره إلى ولاة الأمر لينصفوه حتى لا يبقى فينا مظلوم ولا ظالم ، وهذا النصر للمظلوم يُعدّ في نفسه نصراً للظالم ، كما قال ﷺ : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوما. قالوا يا رسول الله ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من ظلمه فذلك نصر له** » [٢] .

الوصية السادسة : « **وإفشاء السلام** » : " أى إذاعته ونشره "

إن إفشاء السلام مما يصفّى القلوب ويطهرها من الضغائن ، ويزرع فيها المحبة والمودة ، قال ﷺ : « **لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحابيتم ؟ أفشوا السلام بينكم** » [٣] .

وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام [٤] ، كما قال النبى ﷺ ، وفى حديث آخر قال : « **وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » [٥] ، وأبخل الناس من بخل بالسلام [٦] ، كما قال ﷺ .

---

(١) **صحيح** : [ص.د :٣٦٤٤] ، د (٤٣١٦ ، ٤٨٩ /١١) ، ت (٢٢٥٧ /٣١٦ /٣) ، جه(٤٠٠٥ /١٣٢٧ /٢) بنحوه .

(٢) **صحيح** : خ (٢٤٤٤ /٩٨ /٥) ، ت (٢٣٥٦ / ٣٥٦ /٣) .

(٣) **صحيح** : م (٥٤ /٧٤ /١)، د(٥١٧١ /١٠٠ /١٤) ، ت(٢٨٢٩ /١٥٦ /٤)، جه(٦٨ /٢٦ /١)

(٤) **صحيح** : [ص ج ٢٠٠٧] ، د (٥١٧٥ /١٠٣ /١٤) .

(٥) **متفق عليه** : خ (٦٠٧٧ /٤٩٢ /١٠)، م(٢٥٦٠ /١٩٨٤ /٤) ، ما (١٦٣٩ /٦٥٢) ، د(٤٨٩٠ /٢٥٦ /١٣) ، ت (١٩٩٧ / ٢١٩ /٣) .

(٦) **صحيح** : [ص . ج : ١٠٥٥] ، حب (١٩٣٩ /٤٧٧) .

والسلام تحية مباركة كما سماه الله تعالى فى قوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (١) .

وأقلهّ : السلام عليكم ، وأكثره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وللمسلّم بكل كلمة من هذه الكلمات عشر حسنات ، كما فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رجلاً مرّ على رسول الله ﷺ وهو فى مجلس فقال : السلام عليكم . فقال ﷺ : « **عشر حسنات** » . فمرّ رجل آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فقال ﷺ : « **عشرون حسنة** » . فمرّ رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة وبركاته فقال ﷺ : « **ثلاثون حسنة** » (٢) .

وللبادئ بالسلام حق الرد عليه بأحسن منه أو مثله ، كما قال تعالى :
﴿ إِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (٤) .

فإذا قال البادئ : السلام عليكم ، زيد : ورحمة الله ، وإذا قال : السلام عليكم ورحمة الله ، زيد وبركاته ، وإذا قال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، زيد ومغفرته (٥) . وليس من السنة أن يزيدها البادئ (٦) .

---

(١) النور : ٦١ .

(٢) **صحيح** : [ص. د ٤٣٢٧]، د(٥١٧٣/ ١٠٢/ ١٤) ، ت(٢٨٣٠/ ١٥٦/ ٤) .

(٣) النساء : ٨٦ .

(٤) **صحيح** : [س . ص: ١٤٤٩] وقال الشيخ : أخرجه البخارى فى "التاريخ الكبير" (١/ ١/ ٣٣٠)

(٥) أفدناه شيخنا الألبانى حفظه الله ، ومما استفدناه منه أيضاً : أننا كنا فى مجلس فدخل رجل فقال : السلام عليكم . ثم أخذ فى مصافحة الجالسين ، كلما صافح رجلاً قال : السلام عليكم ، فنبة شيخنا - حفظه الله - أن تكرار السلام ليس من السنة ، وأن الداخل على قوم يكفيه إذا قام عليهم أن يعمهم بالسلام ، ثم إذا أراد أن يصافحهم صافحهم بدون سلام ، فلينتبه لذلك الطيبون الذين يقعون فى مثل ما وقع فيه أخوانا ذاك . وجزاهم الله خيراً .

ومن آداب السلام البدء به قبل الكلام ، فمن دخل على قوم لم يجز له أن يكلمهم حتى يسلم عليهم ، فإن بدأ بالكلام قبل السلام لم يجيبوه ، كما قال ﷺ [١] . ومنها : ماذكره النبى ﷺ فى قوله : « **يسلّم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير** » [٢] .

ومنها : السلام عند الدخول وعند القيام ، لقوله ﷺ : « **إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلّم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلّم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة** » [٣] .

ومنها : إفشاؤه على الصبيان ، فقد كان النبى ﷺ يفعله [٤] .

ومنها : أن يسلم الرجل على أهل بيته إذا دخل عليهم لعموم قوله تعالى : ﴿ **فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة** ﴾ [٥]

الوصية السابعة : « وإجابة الداعى » :

فإذا دعاك أخوك لزيارته ، أو وليمته ، أو عرسه ، فقد وجبت عليك إجابته ، كما قال النبى ﷺ : « **إذا دُعى أحدكم فليُجب ، عُرساً كان أو نحوه** » [٦] .

وإجابة الداعى حق له على إخوانه ، كما قال ﷺ ، ولها فوائد :

---

(١) **حسن** : [ص . ج : ٥٩٩٨] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٨١٦) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٦٢٣١/ ١٤/ ١١)، م (٢١٦٠/ ١٧٠٣/ ٤) ، د(٥١٧٦ و٥١٧٧ / ١٠٤ / ١٤) ، ت (٢٨٤٦/ ١٦٣/ ٤)

(٣) **صحيح** : [ص. ج : ٣٩٣] ، ت (٢٨٤٩/ ١٦٤/ ٤) ، د(٥١٨٦/ ١١٦/ ١٤) .

(٤) **صحيح** : خ (٦٢٤٧/ ٣٢/ ١١)

(٥) النور : ٦١ .

(٦) **صحيح** : م(١٤٢٩ - ١٠٠-/ ١٠٥٣ / ٢)

منها : إدخال السرور على قلب الداعى ، وإشعاره بالمشاركة فى أفراحه ، واهتمام إخوانه به ، وتقديرهم له ، وغير ذلك مما يجلب المودة والمحبة ، ويوطد الصلة ويقوى الأخوة ، حتى يكون المجتمع المسلم مجتمعاً متآلفاً متآخيا ، تشيع فيه المحبة و تختفى منه العداوة .

إلا أن إجابة الدعوة مشروطة بخلو المكان من المنكرات والمحرمات ، فإن وجدت سقط حق الداعى فى الإجابة ، و حرُم على المدعو أن يجيبه ، فإذا دُعيت مثلاً إلى عُرس فى فندق أو فى ناد تعزف فيه المعازف ، وتغنى فيه المغنّيات ، وترقص فيه الراقصات ، وتُشرب فيه الخمر ، لم يجز لك أن تجيب هذه الدعوة ، فإن أجبت فأنت عاص آثم .

ولذلك بوّب الإمام البخارى- رحمه الله - فى صحيحه فى كتاب النكاح : باب من دُعى إلى وليمة فرأى منكرا هل يرجع ؟ ثم ذكر آثاراً عن الصحابة أنهم كانوا إذا دُعوا فرأوا منكرا رجعوا إن لم يقدروا على تغيير هذا المنكر .[1]

بل إن مقاطعة مثل هذه الأعراس واجبة إشعاراً لأهلها أن إخوانهم غير راضين عنهم﴿ **لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا** ﴾[2]

---

(١) انظر " فتح البارى " (٩/٢٤٩)
(٢) طه : ١١٣ .

الحديث الثامن

موجبات النار

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رضىَ اللهُ عنه قال : قالَ رسُولُ اللّه ﷺ : «اجْتَنبُوا السَّبْعَ الْمُوبقَات » : قَالُوا : وَمَا هُنَّ يَارسُولَ اللّه ؟ قَال: « الشّرْكُ باللّه ، والسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتى حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَال الْيَتيم ، والتَّولِّى يَوْمَ الزَّحْف ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَات الْمُؤْمنَات الْغَافلاَت »(1)

قوله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » أى ابتعدوا عن هذه السبع المهلكات ، وكونوا فى جنب غير الجنب الذى تكون فيه ، فلا تخالطوها ولاتباشروها ،ولا تقربوها لعلكم تفلحون .

الوصية الأولى : اجتنبوا « الشرك بالله » :

﴿ فَلا تَجْعَلُوا للَّه أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (22) ﴾(2) ، فإن من أعظم الذنوب أن تجعل لله نداً ، كما فى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ! أى الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله نداً وقد خلقك** » (3)

---

(1) **متفق عليه** : خ (٢٧٦٦/ ٣٩٣/ ٥)، م(٨٩/ ٩٢/ ١)، د(٢٨٥٧/ ٧٧/ ٨)، نس(٢٥٧/ ٦)

(2) البقرة : ٢٢ .

(3) **متفق عليه** : خ(٤٤٧٧/ ١٦٣/ ٨)، م(٨٦/ ٩٠/ ١)، ت(٣٢٣٢/ ١٧/ ٥)، د(٢٢٩٣/ ٤٢٢/ ٦)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾[(١)] يحيى ويميت ، ويُعزّ ويُذل ، ويعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ﴿ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠ ﴾[(٢)] ، فلا تشركوا بالله شيئاً ، فإن « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار »[(٣)]

وقد توعد الله المشركين بتضعيف العذاب فى الآخرة ، ووعد المؤمنين بالمغفرة ، فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾[(٤)] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول نعم ، فيقول : قد أردت منك أيسر من هذا وأنت فى صلب آدم ، أن لاتشرك بى ولا أُدخلك النار ، وأُدخلك الجنة ، فأبيت إلا الشرك »[(٥)] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة ، ، فينشر له تسعةً وتسعين سجلاً ، كل سجلّ مثل مدّ البصر ، ثم يقول : أتُنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك**

---

(١) يونس : ٣
(٢) الروم ٤٠ .
(٣) صحيح : م(٩٣/ ٩٤/ ١) .
(٤) الفرقان : ٦٨-٧٠ .
(٥) صحيح : م(٢٨٠٥/ ٢١٦٠/ ٤) .

كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب ! فيقول أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب ! فيقول الله تعالى : بلى ! إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم اليوم ، فتُخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك . فيقول يارب ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : فإنك لاتُظلم ، فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شئ » (١)

الوصية الثانية : اجتنبوا « والسحر » :

السحر فى اللغة عبارة عما خفى ولطف سببه (٢) ، ولهذا جاء فى الحديث : **«إن من البيان لسحرا »** (٣) .

وحقيقته : عزائم ، ورُقى ، وعُقد يعقدها الساحر بعد تقرّبه إلى الشيطان بما يحب ، فينتج عنه المكروه من مرض وغيره ، وقد يفرّق بين المرء وزوجه ، وكل ذلك منوط بمشيئة الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (٤) .

والسحر بالإجماع كبيرة من الكبائر ، لقول النبى ﷺ : **« اجتنبوا السبع الموبقات »** فعدّها وذكر منها " السحر " . ولقوله ﷺ : **«لا يدخل الجنة مدمن خمر ولامؤمن بسحر ، ولاقاطع رحم »** (٥) .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ١٧٧٢] ، ت (٢٧٧٦ / ١٣٣ / ٤) .
(٢) انظر " فتح المجيد " (٣٨٥) .
(٣) **صحيح** : خ (٥٧٦٧ / ٢٣٧ / ١٠)، د(٤٩٨٦ / ٣٤٩ / ١٣)، ت(٢٠٩٧ / ٢٥٣ / ٣) .
(٤) البقرة : ١٠٢ .
(٥) **حسن** : [س . ص : ٦٧٨] ، حب (١٣٨١ / ٣٣٥)

وقوله ﷺ : « **ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له ، أو تكهَّن أو تُكهِّن لـــه ، أو تَســحَّر أو تُســـحِّر له** »(١) . وقولـه ﷺ : « **إن الرُّقى والتمائم والتَّولة شرك** » (٢).

والتَّولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، وهو ضرب من السحر .

فالسحر بالإجماع كبيرة من الكبائر لهذه الأحاديث وغيرها ، ولكن اختلف العلماء فيه ، هل هو كفر أم لا ؟

فذهب مالك وأحمد وجماعة من العلماء إلى أن السحر كفر ، والساحر كافر ، وفصّل الشافعي فقال : يُقال للساحر : اعرض علينا سحرك ، فإن قال قول كفر ، أو ذكر فعل كفر ، فهو كافر ، وإن ذكر أقوالاً وأفعالاً ليست كفراً فهو فاسق ، وليس بكافر .

وعلى القولين : يحرم تعلّم السحر وتعليمه والعمل به ، ولا يجوز لمن ابتُلي به أن يذهب إلى ساحر ليفك له السحر ، لقول النبي ﷺ : « **ليس منا من تسحَّر أو تسحِّر له** » . وإنما على المبتلي أن يصبر وأن يحتسب ، وأن يكثر من الأدعية والأذكار القرآنية والنبوية ، فإن فيها الشفاء بإذن الله ولا سيما (**قل هو الله أحد** . . . . . .) و (**قل أعوذ بربّ الفلق** . . . .) و (**قل أعوذ بربّ الناس** . . .) .

الوصية الثالثة : اجتنبوا « قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق » :

إن الأصل في نفس المؤمن الحرمة ، لقول النبي ﷺ في حجة الوداع : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام** » (٣) . ولقوله ﷺ : « **لا يحل دم امرئ**

---

(١) **صحيح** :[ص . ج : ٥٣١١] وانظر تخريجه وتحقيقه في "الصحيحة" (٢١٩٥) .
(٢) **صحيح** : [ص.د : ٣٢٨٨] ، د(٣٨٦٥/٣٦٧/١٠) ، جه (٣٥٣٠/١١٦٦/٢)
(٣) **متفق عليه** : خ (١٧٣٩/٥٧٣/٣) ، م (١٦٧٩/ ١٣٠٥/ ٣) .

مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيّب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (١).

ولقد نظر ابن عمر رضى الله عنهما إلى الكعبة يوماً وقال : ما أعظمك وأعظم حُرمتك ، ونفس المؤمن أعظم حُرمة منك . (٢)

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق** » (٣).

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « **لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبّهم الله عز وجل فى النار** » (٤).

وأعظم من ذلك كله وعيداً قول الله تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (٥).

ولذلك جعل الله القتل من أصول المحرمات فقال : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)** ﴾ (٦)

---

(١) **متفق عليه** : خ (٦٨٧٨/ ٢٠١/ ١٢) ، م (١٦٧٦/ ١٣٠٢/ ٣) ، ت (١٤٢٣/ ٤٢٩/ ٢) ، نس (٩٠/ ٧) ، جه (٢٥٣٤/ ٨٤٧/ ٢) .

(٢) **حسن** : [غ : ٤٣٥] ، ت (٢١٠١/ ٢٥٥/ ٣) ، حب (٤٩٤/ ٣٥٩) .

(٣) **صحيح** : [ص. ج : ٥٠٧٧] ، ت (١٤١٤/ ٤٢٦/ ٢) ، نس (٨٢/ ٧) .

(٤) **صحيح** : [ص. ج : ٥٢٤٧] ، ت (١٤١٩/ ٤٢٧/ ٢) .

(٥) المائدة : ٣٢ . (٦) الأنعام : ١٥١ .

ولقد شدّد الله تعالى في عقوبة القتل فجعلها من أقسى العقوبات ، فقال سبحانه : ﴿مَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾ (٢)

فعظِّم أيها العاقل حرمة الدماء ، وإياك وسفك الدماء البريئة ، فقد قال ﷺ : **«لن يزال المؤمن في فُسحة من دينه مالم يُصب دماً حراماً »** (٣)، وقال ﷺ : **« لايزال المؤمن مُعْنِقاً صالحاً مالم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلّح »**(٤)

*** الوصية الرابعة : اجتنبوا : « وأكل الربا » :**

إن الربا حرام وهو من الكبائر ، لقوله ﷺ : **« اجتنبوا السبع الموبقات »** وعدّ منها الربا .

ولقوله ﷺ **« درهم رباً يأكله الرجل وهو يعلم أشدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية »** (٥).

وقوله ﷺ : **« الربا بضع وسبعون باباً أهونها مثل إتيان الرجل أمه »** (٦).

---

(١) النساء : ٩٣ . (٢) الفرقان : ٦٨، ٦٩ .

(٣) **صحيح** : خ (٦٨٦٢ / ١٨٧ / ١٢) .

(٤) **صحيح** : [ص.د : ٣٥٩٠] ، د (٤٢٥٠ / ٣٥١ / ١١) ، ومعنى « مُعْنِقاً » : الأعناق : ضرب من السيْر سريع وسيع ، والمراد به : خفّة الظهر من الآثام ، يعني أنه يسير سيْر المخفّ . و« بلّح » أي أعي وانقطع « جامع الأصول لابن الأثير ٢٠٨ / ١٠ »

(٥) **صحيح** : [ص ج ٣٣٧٥] ، أ (٢٣٠ / ٦٩ / ١٥) .

(٦) **صحيح** : [ص. ج : ٣٥٣٩] ، كم (٣٧ / ٢) .

ولقد أمر الله باجتناب الربا وعلّق ذلك على الإيمان فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾(١) ثم هدد تهديداً شديداً فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٢)

وحربُ الله للمرابين حربٌ على الأعصاب ، حربٌ على الرخاء ، حرب على الأمن ، حرب على الصحة ، حربٌ على العافية ، حربٌ تذيق المرابين لباس الجوع والخوف ، والرعب والقلق والاضطراب ، حتى إن أحدهم إذا قام تخبط تخبط الممسوس ، وإذا نام تسلطت عليه الشياطين ، وإذا استيقظ تسلط عليه الرعب والذعر ، فهو قلقٌ فى نومه ، مضطرب فى يقظته ، لا يهدأ له بال ، ولا يقرّ له قرار ، لا يهنأ بلقمة ، ولايستمتع بلذة ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربِّ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى** ﴾ (٤) .

فيا عبد الله : قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ، قال تعالى ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٥) . واعلم أن الربا وإن كثر فعاقبته إلى قلّة (٦) ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة : ٢٧٨و ٢٧٩ .
(٢) البقرة : ٢٧٩
(٣) البقرة : ٢٧٥ .
(٤) طه : ١٢٤-١٢٧ .
(٥) المائدة : ١٠٠
(٦) **صحيح** : [ص . جه : ١٨٤٨] ، جه (٢٢٧٩/ ٧٦٥ / ٢)
(٧) الروم : ٦ .

قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ، فلا يغـــرك إمهـــاله ، فـ « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (٢) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ (٣) . فاعتبر بغيرك ، وأبصر من حولك ، فحولك كثيرون جعلهم الله عبرة لمن كان له قلب ، وإياك والغفلة حتى لايصيبك مثل ما أصابهم .

الوصية الخامسة : إجتنبوا « أكل مال اليتيم » :

اليـــتـــيم هو من مـــات أبوه وهو دون الحلم ، ولما كـــان المؤمنون فى تـوادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، فقد حث الإسلام المسلمين على كفالة اليتيم ورعايته ، والقيام بتربيته وخدمته حتى لايشعر بفقد أبيه ، ولايؤثر موته فيه . قـال ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار بالســبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً** » (٤) .

وجعل الله تعالـى إهانة اليتيم عنوان التكذيب بيـوم الدين ، فقال تعالـى : ﴿ **أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدعّ اليتيم** ﴾ (٥)

وكافل اليتيم مأمور بالحفاظ على ماله ، والاحتراز من الأكل منه بغير حق ، وقد كثرت النصوص فى ذلك :

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (٦)

---

(١) البقرة : ٢٧٦ .

(٢) **متفق عليه** : خ (٤٦٨٦/ ٣٥٤/ ٨) ، م (٢٥٨٣ / ١٩٩٧/ ٤) ، ت(٣١١٠ / ٣٥١/ ٤) ، جه (٤٠١٨ / ١٣٣٢/ ٢) .

(٣) هود : ١٠٢ .

(٤) **صحيح** : خ (٦٠٠٥/ ٤٣٦/ ١٠) ، ت (١٩٨٣/ ٢١٥ / ٣) ، د (٥١٢٨/ ٦٠/ ١٤).

(٥) الماعون : ١ ، ٢.

(٦) الأنعام : ١٥٢ .

وقال تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾ (٢) ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾ (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾ (٤) .

الوصية السادسة : اجتنبوا « والتولي يوم الزحف » :

التولّي يوم الزحف معناه الفرار من العدو بعد لقائه حذر الموت ، وهو حرام ، لعدّه ﷺ إياه من الموبقات ، ولقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ (٥) .

إن الجبن شرّ ، كما قال ﷺ : **« شرّ مافي الرجل شحٌّ هالع ، وجبنٌ خالع »** (٦) . ولقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الجبن ، فكان يقول : **« اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجُبن والبخل والهرم »** (٧) .

---

(١) النساء : ٢ (٢) النساء : ٦ . (٣) البقرة : ١٧٨ .
(٤) النساء ١٠ . (٥) الأنفال : ١٥، ١٦ .
(٦) **صحيح** : [ص . ج : ٣٦٠٣] ، د (٢٤٩٤ / ١٨٧ / ٧) .
(٧) **متفق عليه** : خ (٦٣٦٧ / ١٧٦ / ١١) ، م (٢٧٠٦ / ٢٠٧٩ / ٤) ، ت (٣٥٥٢ / ١٨٣ / ٥) ، د (١٥٢٥ / ٤٠١ / ٤) ، نس (٢٥٧ / ٨) .

وإن الفرار من الموت لاينجي منه ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) ﴾ (٢) .

فتعين الثبات عند اللقاء فإما نصر وعز وغنيمة وإما موت وشهادة .

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾ (٣)

الوصية السابعة : اجتنبوا « قذف المحصنات الغافلات » :

القذف لغةً : الرمى . وشرعاً : رمى المؤمن بالزنا .

وهو من الكبائر لعدّه ﷺ إياه من الموبقات ، ولقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) ﴾ (٤) .

ولقد أنكر الله تعالى على الذين يتلقّون الشائعات بأفواههم ويردّدونها دون وعى ولا تفكير ، فقال تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ أى حديث الإفك ﴿ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾ (٥) .

ثم أرشد الله المسلمين إلى مايجب عليهم إذا سمعوا مثل هذا الكذب فقال : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) ﴾ (٦) ، وقال سبحانه ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن

---

(١) الجمعة : ٨ . (٢) الأحزاب : ١٦ . (٣) آل عمران : ١٥٧ و ١٥٨ .
(٤) النور : ٤ . (٥) النور : ١٥ . (٦) النور : ١٢

نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) ﴾ [(١)] .

فعلّم الله المؤمنين إذا سمعوا أحداً يخوض فى عرض مؤمن أو مؤمنة أن يردّوا عليه كلامه ، وألا يخوضوا معه فيه ، وإلا كانوا معه فى الإثم سواء .

إن الإسلام يحب أن يقيم للمسلمين مجتمعاً شريفاً عفيفاً ، طاهراً نظيفا ، تختفى منه الرذيلة ، وتنتشر فيه الفضيلة ، ولن يتم ذلك إلا بصيانة الأعراض عن الألسنة التى تطاول عليها ، بزجر أهلها عن هذا التطاول بإقامة الحدّ عليهم وردّ شهادتهم .

وحين يتعلم المسلمون الستر على من ابتلى بسوء ، وإمساك ألسنتهم عن ذكر عورات الناس ، يُحجم أهل السوء عما أرادوا ، إذ يغلب على ظنهم أنه ليس فى المجتمع من يجيبهم إلى طلبهم ، وأما حين تنطلق الألسنة فى انتهاك أعراض المسلمين ، والخوض فى زلاتهم ، فإن ذلك يُشجع أهل الرّيب على مايريدون ، حيث يقوّى هذا الخوض فى نفوسهم ظنّ القدرة على الوصول إلى مايريدون .

ف « يا معشر من آمن بلسانه ،ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته » [(٢)] .

ويا معشر المسلمين لاتصدّقوا كل ما تسمعون ، بل لاتسمعوا كل ناعق ودافعوا عن عورات المسلمين ، واحموا أعراضهم ، **ف « من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً بشئ يريد شيْنه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال »** [(٣)] .

---

(١) النور : ١٦ .   (٢) **حسن صحيح** : [ص . د : ٤٠٨٣] ، د (٤٨٥٩/ ٢٢٤/ ١٣
(٣) **حسن** : [ص . د : ٤٠٨٦] ، د (٤٨٦٢/ ٢٢٧/ ١٣) .

الحديث التاسع

موجبات الجنة

عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامت رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : « اضْمَنُوا لي ستّاً منْ أَنْفُسَكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ : اصْدُقُوا اذا حَدَّثْتُمْ ، وَأوْفُوا إذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إذَا أُتُمِنْتُم ، واحْفَظُوا فُرُوجَكُم ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُم ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُم » (١)

الوصية الأولى : « اصدقوا إذا حدثتم » :

« **إن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة** » (٢)، « وإن الصدق يهدى إلى البرّ ، وإن البرّ يهدى إلى الجنة ، ولايزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابا » (٣) .

والصدق دليل الإيمان ، وعنوان الإحسان ، والكذب من خصال الكافرين وشيم الظالمين :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي

---

(١) **حسن** : [ص. ج: ١٠٢٩]، أ(١٩/١٩٧/٨٢)، حب (٦٣٢/٢٥٤٧) ،كم (٤/ ٣٥٩)

(٢) **صحيح** : [ص. ج : ٣٣٧٣]، أ (٣/١٥٣) ، ت (٤/٧٧/٢٦٣٧) .

(٣) **متفق عليه** : خ (٦٠٩٤ / ١٠/٥٠٧) ، م (٤/٢٠١٣/٢٦٠٦) ،ت(٣/٢٣٤/٢٠٣٨)، د (١٣/٣٣٣/٤٩٦٨) .

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(١).

ولقد مدح اللهُ الصدق وأهله فقال : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾(٣)

وكما مدح الله الصدق وأهله ذمّ الكذبَ وأهله ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٥).

وكلما عظم ضرر الكذب عظم إثمه ووزره ، وأعظم الكذب إثما الكذبُ على الله عزّ وجل ، والكذب على الله يكون بالقول على الله بغير علم ، فمن قال فى الدين برأيه من غير هدىً ولا كتاب منير فقد افترى على الله الكذب ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٦).

ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا

---

(١) الزمر : ٣٢ - ٣٤ . (٢) مريم : ٥٤ . (٣) الأحزاب : ٣٥ .
(٤) النحل : ١٠٥ . (٥) البقرة : ١٠ . (٦) النحل : ١١٦ , ١١٧ .

وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟! ﴾[1] أي ما ظنهم بربهم يوم يلقونه وقد كذبوا عليه ؟

قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) ﴾[2] .

ومن أعظم الكذب إثماً الكذبُ لتضييع حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، قال النبي ﷺ : « **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة** » فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله ؟ فقال : « **وإن قضيبا من أراك** » [3] .

ولقد بلغ من اهتمام الإسلام بالصدق أنه حرّم الكذب حتى في المزاح ، قال النبي ﷺ : « **ويل للذي يحدّث الحديث فيكذب فيه ليُضحك القوم ،فيعذبه الله ، ويل له ، ويل له** » [4] .

الوصية الثانية : « وأوفوا إذا وعدتم » :

فإذا ضربت موعداً ، أو أعطيت عهداً ، وجب عليك الوفاء به ، فإن الله تعالى أمرنا بالوفاء فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) ﴾[7] .

---

(١) يونس : ٥٩ ، ٦٠ . (٢) الزمر : ٦٠ .

(٣) **صحيح** : م(١٣٧/ ١٢٢/ ١) ، ما(١٤٠٧/ ٥١٥) ، نس(٢٤٦/ ٨) .

(٤) **حسن** : [ص . ج : ٧٠١٣] ، أ(٥١ / ٢٦٨ / ١٩) ، ت (٢٤١٧ / ٣٨٢ / ٣) ، د(٤٩٦٩ / ٣٣٤ / ١٣) ، كم (٤٦/ ١) . (٥) المائدة : ١

(٦) النحل : ٩١ . (٧) الإسراء : ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1]

ولقد نهى الله تعالى عن نقض العهد فقال : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[3] .

ولقد مدح الله تعالى أهل الوفاء والأمانة ، فقال تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ! غبتُ عن أوّل قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرينّ اللهُ ما أصنع ، فلما كان يومُ أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ : الجنةُ وربِّ الكعبة إنى أجد ريحها من دون أحد . قال سعد فما استطعت يارسول الله ما صنع ! قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برُمح ، أو رميةً بسهم ، ووجدناه قد قُتل ومثّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه

---

(١) الأنعام : ١٥٢ . (٢) النحل : ٩٥ .
(٣) آل عمران : ٧٧ . (٤) الأحزاب : ٢٣

الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ (١)

وذمّ اللّهُ تعالى أهل الغدر والخيانة ، وجعل الغدر ونقض العهد من صفات المنافقين ، فقال في سورة التوبة في جملة حديثه عن المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) ﴾ (٢) .

وقال النبي ﷺ : « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا ، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٣) .

فعليك أيها المسلم أن تحترم كلمتك ، وأن تصدق في وعدك ، فإذا وعدت ففِ بوعدك مهما كلفك ، وإذا عاهدت فالتزم بعهدك مهما كان الثمن وسيجعل الله لك في الوفاء خيراً كثيرا .

الوصية الثالثة : « وأدوا إذا ائتمنتم » :

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ (٤) .

---

(١) **صحيح** :خ (٢٨٠٥/ ٢١/ ٦)، م(١٩٠٣/ ١٥١٢/ ٣) بنحوه ، ت (٣٢٥٤/ ٢٨/ ٥)

(٢) التوبة . ٧٥ : ٧٧

(٣) **متفق عليه** : خ (٣٤/ ٨٩/ ١) ، م(٥٨/ ٧٨ / ١) ، ت(٢٧٦٨ / ١٣٠ / ٤)، د(٤٦٦٣/ ٤٤٣/ ١٢) ، نس(١٦/ ٨) وعنده "إذا وعد أخلف " بدلاً من " إذا أؤتمن خان "

(٤) البقرة : ٢٨٣ .

وقال ﷺ : « **أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولاتخنْ من خانك** » (١)

وحفظ الأمانة أثر كمال الإيمان ، وتضييعها دليل النقصان ، كما قال ﷺ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له** » (٢) . فالأمانة إيمان ، والخيانة كفران .

ولقد مدح الله تعالى أهل الأمانة ، ووعدهم الفردوس أعلى درجات الجنة فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾ (٣) .

فإذا استودعت شيئاً فليكن عندك في الحفظ والصوْن ، لاتتصرف فيه بدون إذن صاحبه ، ولاتعبث به ولاتفسده ، ومتى طُلب منك فردّه من غير تأخير ، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٤) .

وإذا تداينت بديْن ولم تكتبه ولم تُشْهد عليه فاتقّ الله وأدّه فإنه أمانة ، فإن جحدته فأنت آكل ربا خائن ، وليستوفينّ منك صاحبُ الدّيْن حقه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ ﴾ (٥) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ، فقال : « إن المفلس مِنْ أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ،**

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٢٣٨]، ت(١٢٨٢/٣٦٨/٢)، د(٣٥١٨/٤٥٠/٩)، كم(٤٦/٢)
(٢) **صحيح** : [ص ج ٧٠٥٦] ، أ(٨٩/ ٢٣٣/ ١٩) ، حب (٤٧ / ٤١) .
(٣) المؤمنون : ٨-١١ . (٤) النساء ٥٨ . (٥) الشعراء : ٨٨ .

فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار» (١)

وإذا كان لك شريك فى أى عمل فكن أميناً معه فى هذه الشركة ، ومتى طلب منك فسخ هذا العقد فوفّه حقه وأدّ إليه أمانته .

الوصية الرابعة : « واحفظوا فروجكم » :

لقد أمر الله ورسوله بحفظ الفروج ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (٢) .

وقال النبى ﷺ : **« احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك »** (٣) .

ولقد جعل الله تعالى حفظ الفروج سبباً لمغفرة الذنوب ، فقال تعالى ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾(٤) .

كما جعل سبحانه حفظ الفروج سبباً للفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) **صحيح** : م(٢٥٨١/١٩٩٧/ ٤) ، ت(٢٥٣٣/ ٣٦/ ٤) .

(٢) النور : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) **حسن** : [ص.ج : ٢٠١] ،د(٣٩٩٨/٥٦/ ١١)،ت(٢٩٤٦/١٩٧/ ٤) ، جه(١٩٢٠/٦١٨/ ١)

(٤) الأحزاب : ٣٥ . (٥) المؤمنون : ١ - ٥ .

وحفظ الفرج يكون بصيانته عن نظر من لايجوز له النظر إليه ، ومسّ من لا يجوز له مسّه ، ووطئ من لا يجوز له وطؤه .

قال النبي ﷺ : « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك** » . وقال النبي ﷺ : « **لاينظرُ الرجل إلى عورة الرجل ، ولاتنظر المرأة إلى عورة المرأة** »(١) .

وقال ﷺ : « **لا يَفْضِ الرجلُ إلى الرجل في الثوب الواحد ليس بينهما شئ ، ولاتُفضِ المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد ليس بينهما شئ** »(٢) .

وقال ﷺ : « **إذا بلغ أولادُكم سبع سنين فـفرّقوا بين فرشهم ، وإذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة** »(٣) .

فاتقوا الله عباد الله ، واحفظوا فروجكم عما لايحل لكم ، واعلموا أن الزنا من أكبر الكبائر ، وقد شددّ الله عقوبته فى الدنيا والآخرة ، فأما عقوبته فى الدنيا فقد قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ② ﴾(٤) .

ذلك لمن لم يسبق له زواج ، فأما من تزوج - سواء كانت زوجته تحته أم لا - فعقوبته إذا زنا أن يرجم بالحجارة حتى الموت ، وقد رجم رسولُ الله ﷺ ورجم الصحابةُ من بعده .

فمن تلطّخ بشئ من هذه القاذورات فعوقب عليه فى الدنيا سقط عنه العقاب

---

(١) **صحيح** : م(٣٣٨/٢٦٦/١)، د(٣٩٩٩/٥٨/١١) ، ت (٢٩٤٥/١٩٦/٤)

(٢) هو نفس الحديث الذى قبله .

(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٤١١] ، قط (١/ ٢٣٠ / ١) ، كم (٢٠١ / ١)

(٤) النور : ٢ .

فى الآخرة ، ومن تاب تاب الله عليه ، ومن لم يُقم عليه الحدّ فى الدنيا ولم يتب فقد توعده الله بتضعيف العذاب فى الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

وفى حديث الرؤيا الطويل أن النبى ﷺ قال : « إنه أتانى الليلة آتيان وإنهما ابتعثانى ، وإنهما قالا لى انطلق ، وإنى انطلقت معهما حتى أتينا على مثل التنور ، فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضوا ، فقلت لهما ما هؤلاء ؟ فقالا : هم الزناة والزوانى »[2] .

الوصية الخامسة : « وغضّوا أبصاركم » : أى عما حرم الله عليكم .

قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[3] .

وقال النبى ﷺ : **« يا علىّ لا تُتْبِع النظرةَ النظرةَ ، فإنما لك الأولى وعليك الثانية »**[4] . والمراد بالأولى نظرة الفجأة التى تقع بدون قصد ، فإذا وقع البصر فجأة على ماحرّم الله وجب على الناظر أن يغض بصره ، فإن تمادى فى النظر عوقب ، ولذلك سئل ﷺ عن نظر الفجأة فقال : **« اصرف بصرك »**[5] .

(١) الفرقان : ٦٨-٧٠

(٢) **صحيح** : خ (٧٠٤٧ / ٤٣٨/ ١٢)

(٣) النور : ٣٠ .

(٤) **حسن** : [ص . ج : ٧٨٣] ، ت(٢٩٢٧/ ١٩١/ ٤) ، د(٢١٣٥/ ١٨٦/ ٦) .

(٥) **صحيح** : م(٢١٥٩/ ١٦٩٩/ ٣)، د(٢١٣٤/ ١٨٦/ ٦) ، ت(٢٩٢٦/ ١٩١/ ٦) .

وغض البصر من الأسباب التى تعين على حفظ الفرج ، فإن النظرة إذا دامت أدت إلى العشق ، والعشق يؤدى فى النهاية إلى الفجور ، كما قال القائل :

نظـرة فابتسـامة فسـلام فكـلام فموعـد فلقـاء

ولذلك سمّى الشرعُ النظرة زنا باعتبار ما تؤدى إليه ، فقال ﷺ : **« كُتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العين النظر ، وزنا الأذنين الإستماع ، وزنا اليدين البطش ،وزنا الرِّجلين الخطا ، والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يُصدّق ذلك أو يكذبه »** [١] .

فيا عبد الله ! غض بصرك عن نساء المؤمنين ، حتى يغض المؤمنون أبصارهم عن نسائك .

فإن قلت : بم أستعين على غض البصر ؟

فالجواب : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إليها .

وتذكر دائماً قول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[٢]

واستحِ من الله حياءك من صديق يمشى معك ، أو من محرم يمشى معها ، فهل تجرؤ إن كان معك صديق صالح أن تنظر إلى امرأة وهو يراك ؟ وهل تجرؤ أن تنظر إلى امرأة ومن معهامن محارمها يراك ، فاستحِ من الله حياءك من الناس .

الوصية السادسة : « وكفوا أيديكم » أى عن كل ما حرّم الله .

فلا تسفك بيدك دماً حراماً ، ولا تزهق نفساً بريئة ، فإن الله يقول : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٩٣﴾ ﴾[٣] .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٦٣٤٣/٢٦/١١)، م (٢٦٥٧/٢٠٤٧/٤) ، د(٢١٣٨/١٨٨/٦) .

(٢) غافر : ١٩ . (٣) النساء : ٩٣ .

ولاتضرب بيدك من لايستحق الضرب من زوجه وولد وخادم وغيرهم ، فإن الله إنما أذن فى الضرب للتأديب والإصلاح لاللانتقام والتشفى ، ولذلك لما أذن فى ضرب النواشز من النساء بقوله ﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾[1] عقب على هذا الإذن بهذا التحذير ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴾[1] .

وعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : كنت أضرب غلاماً لى بالسوط ، فسمعت صوتاً من خلفى : « **اعلم أبا مسعود** » فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا إذا هو رسول الله ﷺ ، فإذا هو يقول « **اعلم أبا مسعود ، اعلم أبا مسعود** » فألقيت السوط من يدى ، فقال « **أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » ، قال : فقلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا .[2]

وقد بين النبى ﷺ أن من ضرب الناس بيده سيوفيهم حقهم يوم القيامة من حسناته .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ، فقال : « إن المفلس منْ أمتى مَنْ يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيَعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار »[3]

---

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) **صحيح** : م(١٦٥٩/ ٢٨٠/ ٣)وهذا لفظه ،ت(٢٠١٣/ ٢٢٥/ ٣) ، د(٥١٣٧/ ٦٨/ ١٤) .

(٣) **صحيح** : م (٢٥٨١/ ١٩٩٧/ ٤) ، ت (٢٥٣٣/ ٣٦/ ٤) .

ولاتمدنّ يدك إلى مال غيرك فتأخذ منه بدون علمه ، ولاتمدنّ يدك إلى زرع غيرك فتأخذ منه فى غيابه .

ولاتمدن يدك إلى جسم امرأة لاتحل لك ولو للمصافحة ، « فما مسّ رسول الله ﷺ يد امرأة قط »[١] ، وهو المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، وقد حذر ﷺ من ذلك فقال : « **لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمسّ امرأة لاتحل له** »[٢].

ولاتكتب بيدك مايضرّك ، فلا تكتب فتوى بدون علم ، ولا تكتب علماً تنسبه إلى الدّين وليس منه ، فقد قال تعالى : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴿٧٩﴾﴾[٣] .

ولاتكتب غزلاً ولاغراميات ، ولاشيئاً يفسد الأخلاق .

ولاتكتب بيدك عقد ربا ، فقد لعن رسولُ الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء .[٤] .

ولاتكتب بيدك كتاب ظلم مهما كان ، كأن تكتب لرجل وصية فيها إضرار ، أوتكتب له عقد بيع وشراء صوريّ لإضرار بعض الورثة .

واعلم أن يديك ستشهد عليك يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿٦٥﴾﴾[٥] .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٤٨٩١/٦٣٦/٨)، م (١٨٦٦/ ١٤٨٩/٣)، د(٢٩٢٥/١٥٩/٨)

(٢) **صحيح** :[ص . ج :٤٩٢١] وانظر تخريجه وتحقيقه وفقهه فى "الصحيحة" (٢٢٦).

(٣) البقرة : ٧٩ .

(٤) **صحيح** : م (١٥٩٨/ ١٢١٩/ ٣) .

(٥) يس : ٦٥ .

ومامن كاتـــب إلا سيفنى ويُبقى الدهرُ ماكتبت يداه
فلاتكتب بخطك غير شئ يسرّك فى القيامة أن تراه

فمن أتى بهذه الستّ كان حقاً على الله أن يُدخله الجنة ، وفاءً لوعد نبيه ﷺ حيث قال : " : « **اضمنوا لى ستاً أضمن لكم الجنة** » .

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (١) .

(٤) التوبة : ١١١

الحديث العاشر

من وصاياه النافعة ﷺ

«عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رَضىَ اللَّهَ عَنْهُ قَال : أَمَرَنى رَسُولُ اللَّه ﷺ بثَلاث ونَهَانى عَنْ ثَلاَث ، أَمَرَنى بركعتى الضُّحَى كُلَّ يَوْم ، والوتْرقَبْلَ النَّوْمَ وَصيَام ثَلاَثة أَيَّام مِنْ كُلِّ شَهْر ، وَنَهَانى عَنْ نَقْرَة كَنَقْرَة الدِّيك ، وَإِقْعَاء كَإِقْعَاء الكَلْب ، والتفَات كَالتفَات الثَّعْلَب»(١)

أما الثلاث التى أمر بها النبى ﷺ أبا هريرة رضى الله عنه فقد جاءت فى رواية أخرى بلفظ : « أوصانى خليلى ﷺ بثلاث »(٢) .

وهذه الثلاث من السنن المستحبة لا الواجبة ، وإنما أمر بها لما لها من فضائل ، ومن فضائل النوافل مطلقاً أنها يكمّل بها ما كان فى الفريضة من نقص :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة ،فإن أتمّها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع ، فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك** »(٣) .

---

(١) **حسن** : [صفة الصلاة : ١٣١] أ(٥٢ / ١٨٨ / ١٩)

(٢) **متفق عليه** : خ(١١٧٨/ ٥٦/ ٣)، م(٧٢١/ ٤٩٩/ ١)، د(١٤١٩/ ٣١٠/ ٤) .

(٣) **صحيح** : [ص. جه ١١٧٢] ، جه(١٤٢٥/ ٤٥٨/ ١) وهذا لفظه ، ت (٤١١/ ٢٥٨/ ١)، نس(٢٣٢/ ١)

ومن فضائل النوافل أنها توجب للعبد محبة الربّ عز وجل :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إلىّ عبدى بشئ أحبّ إلىّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يُبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولإن استعاذنى لأعيذنّه »**(١)

ومن فضائل النوافل أن المحافظة عليها تعين على المحافظة على الفرائض ، إذ لا يُعقل أن يفعل الإنسان المستحب ويترك الواجب ، لأن فعل المستحب دليل كمال محبة الله ورسوله فى القلب ، ومن كان كذلك لايمكن أن يترك الفرائض ، بينما ترك النوافل يؤدى إلى ترك الواجب لأن ترك النوافل عنوان نقص المحبة فلا تزال تنتقص حتى يترك الواجب .

الوصية الأولى : « أمرنى بركعتى الضحى كل يوم » :

المراد بالضحى ارتفاع النهار ، وأول وقتها ارتفاع الشمس قدر رمح ويكون ذلك فى ثلث ساعة بعد طلوع الشمس تقريباً ، قال ﷺ : **« من صلى الفجر فى جماعة ، ثم قعد يذكر اللّهّ تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلّى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة تامّة ، تامّة ، تامّة »** (٢) .

ويمتد وقتها إلى دخول وقت الكراهة الثانى ، وهو حين تستوى الشمس فى كبد السماء حتى تزول .

---

(١) **صحيح** : خ (٦٥٠٢/ ٣٤٠/ ١١).

(٢) **صحيح** : [ص ج : ٦٢٢٢]، ت (٥٨٣/ ٥٠ / ٢) .

وأفضل أوقاتها حين ترمض الفصال ، كما قال ﷺ : «صلاة الأوّابين حين ترمض الفصال »[١] وذلك إذا اشتد الحرّ فاحرقت أخفاف الإبل (الرضيعة) فبركت على الأرض اتّقاء الحرّ[٢] ، ويكون ذلك فى الساعة العاشرة وما بعدها تقريبا .

وقد كان النبى ﷺ يصلّى الضحى ويرغّب فيها ، فكان يقول : **« يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهىٌ عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »**[٣] .

وكان يقول : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا يُخرجه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر ، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ فى عليين »[٤] .

وكان ﷺ يقول : **« صلاة الضحى صلاة الأوّابين »**[٥] . والأوّاب هو كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة .

« وكان ﷺ يصلى الضحى أربعاً ويزيد ماشاء الله »[٦] .

وفى فضل هذه الأربع قال ﷺ : **«من صلى الضحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً (أى قبل الظهر) بُنى له بيت فى الجنة »**[٧] .

---

(١) **صحيح** : م (٧٤٨/ ٥١٥ / ١) . (٢) جامع الأصول لابن الأثير (١١٤/ ٦)

(٣) **صحيح** : م (٧٢٠/ ٤٩٨/ ١) وهذا لفظه ، د (١٢٧١/ ١٦٤/ ٤).

(٤) **حسن** : [ص. د : ٥٢٢] ، د (٥٥٤/ ٢٦٣/ ١) .

(٥) **صحيح** : [ص . ج : ٣٧٢١] (٦) **صحيح** : م (٧١٩/ ٤٩٧/ ١).

(٧) **حسن** : [ص. ج : ٦٢١٦] ، وقال الشيخ فى " الصحيحة " (٢٣٤٩) : رواه الطبرانى فى "الأوسط" (٥٩ / ١ من ترتيبه) .

وقال ﷺ : « **قال الله تعالى : يابن آدم صلّ لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره** » (١) .

وتستحب المحافظة على صلاة الضحى ، لقول أبى هريرة رضى الله عنه : «أمرنى بركعتى الضحى » ، ولقول النبى ﷺ : « **لايحافظ عل صلاة الضحى إلا أوّاب ، وهى صلاة الأوّابين** » (٢) .

الوصية الثانية : « والوتر قبل النوم » :

الوتر سنة مؤكدة ، بل هو من آكد السنن ، فقد كان ﷺ إذا سافر لم يحافظ على شئ من النوافل سوى الوتر وركعتى الفجر . (٣)

ولقد كان ﷺ يحث على الوتر ويرغب فيه فيقول : « **إن الله وتر يحب الوتر ، فأوتروا يا أهل القرآن** » (٤) .

وكان يقول : « **إن الله زادكم صلاة فحافظوا عليها ، وهى الوتر** » (٥) .

وبيّن ﷺ وقت الوتر فقال : « **زادنى ربّى صلاةً وهى الوتر ، وقتها ما بين العشاء إلى طلوع الفجر** » (٦) .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٤٢١٥] ، ت (٤٧٣ / ٢٩٦ / ١) .
(٢) **حسن** : [ص . ج : ٧٥٠٤] ، كم (٣١٤ / ١) .
(٣) زاد المعاد (٤٧٣ / ١) .
(٤) **حسن** : [ص . ج : ١٨٢٧] ، ت (٤٥٢ / ١٨٢ / ٢) ، د (١٤٠٣ / ٢٩١ / ٤) ، جه(١١٦٩ / ٣٧٠ / ١) ، نس (٢٢٨ / ٣) .
(٥) **صحيح** : [ص . ج : ١٧٦٨] ، وانظر تخريجه وتحقيقه وفقهه فى " الصحيحة " (١٠٨) ، " والإرواء " (٤٢٣) .
(٦) **صحيح** : [ص . ج : ٣٥٦٠] ، أ (١٠٥٢ / ٢٧٧ / ٤) .

وكان النبي ﷺ يوتر من أول الليل وأوسطه وآخره ، فانتهى وتره إلى السحرّ [١] لأنه وقت نزول الرب سبحانه ، كما قال ﷺ : « **ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له** » [٢] .

لكنه ﷺ كان يوجه أصحابه إلى ما يناسبهم ويخف عليهم ، فكان يقول : « **من خاف أن لايقوم من آخر الليل فليوتر أوّله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة ، وذلك أفضل** » [٣] .

عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال لأبى بكر : « **متى توتر ؟** » قال : أوتر من أول الليل ، وقال لعمر : « متى توتر ؟ » قال : آخر الليل ، فقال لأبى بكر « **أخذ هذا بالحزم** » **وقال لعمر : « أخذ هذا بالقوة »** [٤] .

ويستحب لمن رجا أن يقوم بالليل أن يؤخر الوتر ، لقوله ﷺ : « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا** » [٥] فإن غلبته عينه حتى أصبح جاز له قضاء وتره ، لقوله ﷺ : « **من نام عن وتره أو نسيه فليصله إذا ذكره** » [٦] .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٩٩٦/ ٤٨٦ / ٢) ، م (٧٤٥ / ٥١٢ / ١)، ت (٤٥٦/ ٢٨٤/ ١) ، د (١٤٢٢/ ٣١٢/ ٤) ، نس (٢٣٠ / ٣) .

(٢) **متفق عليه** : خ (١١٤٥/ ٢٩ / ٣)، م (٧٥٨ / ٥٢١ / ١)، ت (٣٥٦٥/ ١٨٨/ ٥)، د (١٣٠١/ ١٩٩/ ٤) ، جه (١٣٦٦ / ٤٣٥ / ١) .

(٣) **صحيح** : م (٧٥٥/ ٥٢٠/ ١) ، ت (٤٥٥/ ٢٨٣/ ١) ، جه (١١٨٧ / ٣٧٥ / ١) .

(٤) **صحيح** : [ص .د ١٢٧١] ، د (١٤٢١ / ٣١١ / ٤)

(٥) **متفق عليه** : خ(٨٩٩ / ٤٨٨ / ٢) ، م (٧٥١-١٥١-/ ٥١٧ / ١)،د(١٤٢٥/ ٣١٣/ ٤)، نس (٢٣٠ / ٣) .

(٦) **صحيح** : [ص.د ١٢٦٨] ، د (١٤١٨/ ٣٠٨/ ٤) ،ت (٤٦٤/ ٢٩٠ / ١) .

وإن أوتر أول الليل ثم استيقظ جاز له أن يصلى ماشاء إلى إحدى عشرة ركعة ، ولا يعيد الوتر ، لقوله ﷺ : **« لا وتران فى ليلة »** (١).

وأقل الوتر ركعة ، وأكثره إحدى عشرة ، فمن شاء صلى ركعتين وأوتر بواحدة ، ومن شاء صلى ركعتين ركعتين وأوتر بثلاث ، ومن شاء أوتر بخمس ، ومن شاء أوتر بسبع ، وليس فى الثلاث والخمس والسبع إلا تشهد واحد ، ويجوز أن يصلى تسعاً ، لايجلس إلا فى الثامنة فيتشهد ثم ينهض من غير تسليم ، فيأتى بالتاسعة ، ثم يتشهد ويسلّم . (٢).

ويستحب أن يقرأ فى الثلاث ركعات بالأعلى والكافرون والإخلاص (٣) ، وأن يقنت فى الثالثة قبل الركوع (٤)- ويجوز بعده - فيقول :

« اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولّنى فيمن تولّيت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شرّ ما قضيت ، إنك تقضى ولايقضى عليك ، إنه لايذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت » (٥).

ويستحب إذا انصرف من الوتر أن يقول : **سبحان الملك القدوس ، ثلاثا** ، ويمد صوته بالثالثة . (٣).

---

(١) **صحيح** : [ص. د :١٢٧٦]، د(١٤٢٦/ ٣١٤/ ٤) ،ت(٤٦٨/ ٢٩٢/ ١)،نس(٢٢٩/ ٣).

(٢) انظر "صلاة التراويح" لشيخنا الألبانى ، "وإرشاد السارى -القسم الثالث" لوالدنا الشيخ محمد إبراهيم شقره .

(٣، ٤) **صحيح** [المشكاة] ، نس (٢٣٥ / ٣) .

(٥) **صحيح** : [ص. د ١٢٦٣] ، د (١٤١٢/ ٣٠٠ / ٤) و ت (٤٦٣/ ٢٨٩ / ١) ، جه(١١٧٨/ ٣٧٢/ ١) ، نس (٢٤٨/ ٣) .

الوصية الثالثة : « وصيام ثلاثة أيام من كل شهر » :

إن الصيام عبادة من أجَلّ العبادات ، وقُربة من أعظم القُرب ، وحَسْبُك أن الله اصطفاه لنفسه ، كما قال النبى ﷺ : **« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به »** (١).

ولذلك يجزى الله الصائمين ، ويضاعف أجرهم أضعافا كثيرة ، كما قال النبى ﷺ : **« كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به»** (٢).

ومعناه أن ثواب الصائمين يضاعف أكثر من سبعمائة ضعف .

ولقد كان النبى ﷺ يرغّب فى متابعة الصيام والمواظبة عليه بعد رمضان ، فكان يقول : **« إن فى الجنة غُرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها ، وباطنُها من ظاهرها ، أعدّها الله لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »** (٣).

وذات يوم قال لأصحابه : **« من أصبح منكم اليوم صائماً ؟»** فقال أبو بكر : أنا . قال : **« من عاد منكم اليوم مريضا؟ »** قال أبو بكر : أنا . قال : **« من تبع منكم اليوم جنازة ؟ »** قال : أبو بكر أنا . قال : **« من أطعم منكم اليوم مسكينا ؟»** قال : أبوبكر أنا . قال : **« ما اجتمعت هذه الخصال فى عبد فى يوم إلا دخل الجنة »** (٤)

---

(١) **متفق عليه** : خ (١٩٠٤ / ١١٨/ ٤) ، م (١١٥١-١٦٣-/ ٢/٨٠٧) .
(٢) **صحيح** : م (١١٥١-١٦٤-/ ٢/٨٠٧).
(٣) **حسن** : [ص. ج : ٢١١٩] .
(٤) **صحيح** : م (١٠٢٨ / ٧١٣ / ٢) .

وقال ﷺ : « من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة »(١) .

وهو ﷺ يوصى أبا هريرة بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فيكون صيام ثلاثة أيام من الشهر يعدل صيام الشهر ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صيام الدهر . وقد رغّب ﷺ فى أن تكون الثلاثة أيام هى ثلاثة عشر ، وأربع عشر وخمس عشر(٢) .

فحافظوا - رحمكم الله - على صيام هذه الأيام فإن الصوم جُنة ، والصوم ينمّى فى الإنسان مراقبة الله ، حتى يصل به إلى درجة الإحسان ، وهو أن يعبد الله كأنه يراه ، لأن الصائم يترك طعامه وشهوته من أجل الله عز وجل ، يترك ذلك فى خلوته واختلاطه ، فى سرّه وعلانيته ، وهو قادر على أن لا يتركه ، فبدوام الصيام ينموا فى الإنسان جانب المراقبة والتقوى ، حتى يصل إلى درجة الإحسان .

الوصية الرابعة : « ونهانى عن ثلاث : نَقْرة كنقْرة الديك » :

المراد بهذا النهى النهىُ عن العجلة التى تؤدى إلى ترك الطمأنينة فى الصلاة ، بتخفيف الركوع والسجود ، بحيث لا يمكث فيه إلا قدر وضع الديك منقاره فيما يريد الأكل منه ، لأنه يتابع النقر من غير تريّث ، وقد عدّ النبى ﷺ هذا النقر سَرِقة من الصلاة ، فقال : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » . قالوا : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : « لا يتـمّ ركوعها ولا سجودها » .(٣)

---

(١) **صحيح** : [ص. ج : ٦١٠٠] ، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (١٦٤٥)
(٢) **صحيح** : [ص. ج : ٦٨٦] ، ت (٧٥٨/ ١٣٠ / ٢) ، نس (٢٢٢/ ٤) .
(٣) **صحيح** : [ص. ج : ٩٩٧] ، أ (٦٤٦/ ٢٦٨/ ٣) ، كم (٢٢٩/ ١) .

ورأى ﷺ رجلاً لايتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال : « **لومات هذا على حاله هذه مات على غير ملّة محـــمد ﷺ** »[1] .

وقـال ﷺ : « **لاتجزى صلاة الرجل حتى يُقيم ظهره فى الركوع والسجود** » [2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلّى، ثم جاء فسلّم على رسول الله ﷺ ، فرد رسول الله ﷺ : « **وعليك السلام** ». وقال : « **ارجع فصلّ فإنك لم تصل** » فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء إلى النبى ﷺ فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ « **وعليك السلام** » ثم قال « **ارجع فصل فإنك لم تصل** ». حتى فعل ذلك ثلاث مرار ، فقال الرجل : والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى ، قال :

« **إذا قمت إلى الصلاة فكبّر ، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها ، فإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك ، وما انتقصت من هذا شيئا ، فإنما انتقصته من صلاتك** »[3] .

---

(١) **حسن** : [صفة الصلاة ١٣١] **وقال الشيخ** : رواه أبو يعلى فى "مسنده" (٣٤٠ و ٣٤٩/ ١)، والآجرى فى "الأربعين" والبيهقى والطبرانى (١/ ١٩٢/ ١) ، والضياء فى " المنتقى من الأحاديث الصحاح والحسان " (٢٧٦/ ١)، وابن عساكر (٢/ ٢٢٦/ ٢و٤١٤/ ١و ٨/ ١٤/ ١ و٧٦/ ٢) ، بسند حسن ، وصححه ابن خزيمة (١/ ٨٢ / ١) .

(٢) **صحيح** : [ص جه ٧١٠] ، د (٨٤٠/ ٩٣/ ٣) ، ت (٢٦٤ / ١٦٥/ ١)، نس(١٤٣/ ٢)، جه (٨٧٠/ ٢٨٢ / ١) .

(٣) **متفق عليه** : خ (٧٩٣/ ٢٧٦ / ٢) ، م (٣٩٧/ ٢٩٨/ ١)، ت(٣٠١/ ١٨٥/ ١)، نس (١٢٥/ ٢)، د(٨٤١/ ٩٣/ ٣) وجملة "فإذا فعلت هذا . . " من زيادته .

الوصية الخامسة : « وإقعاء كإقعاء الكلب » :

هذا الإقعاء المنهى عنه فى الصلاة هيئته أن يجلس الرجل على إليتيه ، وينصب ساقيه ، ويضع يده على الأرض .

وأما أن ينصب قدميه ، ويضع إليتيْه عليهما ، ويديْه على فخذيه ، فهذا الإقعاء من السنة أحيانا فى الجلسة بين السجدتيْن (١) .

الوصية السادسة : « والتفات كالتفات الثعلب » :

كان النبى ﷺ إذا قام فى الصلاة طأطأ رأسه ، ورمى ببصره نحو الأرض (٢) ، لأن ذلك أدعى للخشوع ، وكان ﷺ ينهى عن خلاف ذلك :

فكان ينهى عن رفع البصر إلى السماء ، ويؤكد النهى ، فكان يقول : **« لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لاترجع إليهم »**(٣) .

وكان ينهى عن الإلتفاف فى الصلاة فيقول : **« إذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت »**(٤) .

وسئل ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال : **« اختلاس يختلســـه الشيطان من صلاة العبد »**(٥).

---

(١) انظر " صحيح مسلم " ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى (٣٨١/ ١) .

(٢) **صحيح** : [صفة الصلاة : ٨٩] وقال الشيخ : رواه البيهقى والحاكم وصححه، وهو كما قال

(٣) **صحيح** : م(٤٢٨/ ٣٢١/ ١) ، د(٨٩٩/ ١٧٩ / ٣) .

(٤) **صحيح** : [صفة الصلاة : ٨٩] وقال الشيخ : رواه الترمذى والحاكم وصححاه .

(٥)**صحيح** : خ (٧٥١/ ٢٣٤/ ٢) ، د(٨٩٧/ ١٧٨/ ٣)، ت(٥٨٧/ ٥١/ ٢) ، نس (٨ / ٣) .

الحديث الحادى عشر

السب والشتم من صفات الجاهلين

عن جابر بن سُلَيم رضيَ اللهُ عنه قال : رأيتُ رجلاً يصدُر النَّاسُ عن رأيه ، لايَقول شيئاً إلا صَدَروا عنه ، قلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : هذا رسولُ الله ﷺ . قلتُ : عليكَ السلامُ يارسولَ الله مَرتين ، قال : « لا تقلْ عليكَ السلامُ ، فإن عليكَ السلامُ تحيةُ الميِّت ، قلْ السلامُ عليك » . قالَ : قلتُ : أنتَ رسولُ الله؟ قال : «أنا رسولُ اللَّه الذى إذا أصابكَ ضرٌّ فدعَوتَه كشَفهُ عنك ، وإنْ أصابكَ عامُ سنة فدعَوتَه أنبتَها لك ، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلّت راحلتك فدعوته ردَّها عليك .» . قالَ : قلتُ : اعهَد إليَّ . قالَ : « لاتَسُبَّنَّ أحداً » . قالَ فما سَبَبتُ بَعْدُ حُراً ولا عَبْداً ، ولابعيراً ولاشاةً . قال : «ولاتحقرنَّ من المعرُوف شيئاً ، ولَوْ أن تُكلِّمَ أخاكَ وأنتَ منبَسطٌ إليه وَجهُك ، إنَّ ذلكَ من المعروف ، وارْفَعْ إزَارَكَ إلى نصف السَّاق ، فإنْ أبَيْتَ فإلى الكَعْبيْن ، وإيَّاكَ وإسبَالَ الإزار فإنَّها منَ المَخيلَة ، وإنَّ اللَّهَ لايُحبُّ المَخيلَةَ ، وإن امْرُؤٌ شتَمَك وعيَّركَ بما يَعْلمُ فيكَ فلا تُعيِّرْهُ بما تعلمَ فيه ، فإنَّما وَبَالُ ذَلكَ عَلَيه » . (١)

---

(١) صحيح : [ص. د : ٣٤٤٢] ، د (٤٠٦٦ / ١٣٧ - ١٤٠ / ١١)

هذا الراوى جابرُ بن سُليم كان من أهل البادية، و لعله أسلم قبل أن يرى رسول الله ثم جاء إليه . قال : « رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه » ، أراد بذلك التعبير عن مدى انقياد الصحابة لرسول الله ﷺ وقبولهم لأمره ، وتلقّيهم لكل مايسمعون منه بالرضا والقبول . وهكذا كان دأبهم رضى الله عنه ، كانوا لايقدمون بين يدى الله ورسوله ، ولايتأخرون عن تنفيذ ما يأمرهم به .

فسأل جابرٌ : من هذا ؟ قالوا هذا رسول الله ، فحيّاه قائلاً عليك السلام يارسول الله » . وكانت عادة العرب فى تحية الأموات تقديم اسم الميت على الدعاء، فيقول قائلهم : عليك سلام الله يافلان . فلما قال جابر : « عليك السلام يارسول الله » ، نهاه ﷺ عن ذلك فقال : « لاتقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت » ، يعنى كما جرت به عادتهم ، وليس المراد أن السنة فى تحية الميت قولُ عليك السلام، فقد قال ﷺ عند دخول القبور : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » .

ثم قال جابر : أنت رسول الله ؟ فقال ﷺ : « أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ، وإن أصابك عام سنة [أى قحط وجدب] فدعوته أنبتها لك ، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلّت راحلتك فدعوته ردّها عليك » :

وهكذا عرّف النبى ﷺ هذا الأعرابىَّ بربّه تعريفاً يليق بفهمه ، وعلى قدر عقله، فهو يقول له : إن الذى أرسلنى إليكم هو الذى يكشف عنك الضرّ إذا أصابك ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، وهو

(١) الأنعام :١٧ .

الذى ينبت لك الزرع إذا قحط ، ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾(١) .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٢) .

وهو الذى يرد عليك راحلتك إذا فقدتها بالصحراء فدعوته ، لأنه الذى ﴿ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾(٣) . ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾(٤)

﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٥) .

والنبى ﷺ فى هذا التعريف مهتد بهدي القرآن ، فإن الله تعالى قال : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾(٦)، « فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه ، والسماء التى فوق رأسه ، والجبل الذى تجاهه ، الأرض التى تحته ، على قدر خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف ، وأنه الإله الذى لايستحق العبادة سواه » .(٧)

قال جابر ، قلت : اعهد إلىّ : أى عهداً ينفعنى ، أو أوصنى بما ينفعنى :

(١) الواقعة : ٦٣و٦٤ .
(٢) النحل : ١٠ ,١١ .
(٣) النمل : ٦٢ .
(٤) الأنعام : ١٠٢
(٥) الروم : ٤٠ .
(٦) الغاشية : ١٧-٢٠ .
(٧) تفسير ابن كثير (٤/٥٠٤)

الوصية الأولى : « لاتسبنّ أحداً » :

أى لاتشتمن أحدا ، فإن السباب والشتم من أخلاق الجاهلين ، لامن أخلاق المؤمنين ، وقد قال ﷺ : « **ليس المؤمن بطعّان ولالعّان ، ولا فاحش ، ولابذئ** »[١] .

ولم يكن رسول الله ﷺ سباباً ولا لعاناً ولافاحشاً ولابذيئاً[٢] ، وهو المثل الأعلى ، والقدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، كما قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾[٣]

ولقد حرّم الله تعالى أذية المؤمنين والمؤمنات ، فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴿٥٨﴾ ﴾[٤] .

ومما لاشك فيه أن سباب المؤمن يؤذيه ، فلا يجوز لمؤمن أن يسب مؤمنا ، لأن « **سباب المسلم فسوق** »[٥] ، كما قال النبى ﷺ .

والله تعالى يقول : ﴿ **بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴿١١﴾ ﴾[٦]

والسباب محرّم من وجه آخر ، وهو أن الذى يسب الناس لابدّ أن يسبّوه ، والذى يلعن آباء الناس لابّد أن يُلعنوا آباؤه ، ولذا قال النبى ﷺ : « **إن من أكبر**

---

(١) **صحيح** : [ص . خد : ٢٣٧] ، ت (٢٠٤٢ / ٢٣٦ / ٣) .
(٢) **متفق عليه** : خ(٦٠٣٥ / ٤٥٦ / ١٠)، م(٢٣٢١ / ١٨١٠ / ٤)، ت(٢٠٤١ / ٢٣٥ / ٤).
(٣) الأحزاب : ٢١ (٤) الأحزاب : ٥٨ .
(٥) **متفق عليه** : خ(٤٨ / ١١٠ / ١)، م (٦٤ / ٨١ / ١)، ت (٢٧٧١ / ١٣١ / ٤)، نس (١٢٢ / ٧)، جه (٦٩ / ٢٧ / ١) . .
(٦) الحجرات : ١١ .

الكبائر أن يلعن الرجلُ والديْه » . قالوا : وكيف يلعن الرجلُ والديه يارسول الله؟ قال : **« يسبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه »**(١)

وقوله ﷺ : **« لاتسبنّ أحداً »** عامّ ، يشمل المؤمن والكافر ، وقد نهى الله تعالى عن سبّ الكافرين فقال : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾(٢) . وقد فهم الرجل من قوله ﷺ : **« لاتسبنّ أحداً »** العموم ، ولذلك قال : فما سببت بعده حراً ولاعبداً ، ولابعيراً ولاشاة .

الوصية الثانية : « ولا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، فإن ذلك من المعروف » :

هذا نهى من النبى ﷺ عن احتقار أفعال الخير وإن دقّت وقلّت ، وهو مثل قوله ﷺ : **« يا نساء المسلمات ! لا تحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فرْسنَ شاة »**(٣) . أى : لاتمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها ، بل تجود بما تيسّر وإن كان قليلاً كفرْسن (*) [وهو ظلف الشاة] ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴿٤٧﴾ ﴾(٤) ، وهو سبحانه يضاعف القليل حتى يكون كثيرا ، وينمى الصغير حتى يصير كبيرا ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٤٠﴾ ﴾(٥) .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٩٧٣ / ٤٠٣ / ١٠) ، م (٩٠ / ٩٢ / ١) ، ت (١٩٦٥ / ٢٠٨ / ٣) ، د (٥١١٩ / ٥٠ / ١٤)
(٢) الأنعام : ١٠٨ .
(٣) **متفق عليه** : خ (٢٥٦٦ / ١٩٧ /) ، م (١٠٣٠ / ٧١٤ / ٢) .
(*) من تعليق شيخنا الألبانى على الحديث فى " رياض الصالحين " (ص ٧٢) .
(٤) الأنبياء : ٤٧ .
(٥) النساء : ٤٠ .

وقال النبي ﷺ : « **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولايقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربّيها له كما يربى أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل** »[(١)] .

ثم إن الفاصل بين العباد يوم القيامة فى النجاة وعدمها الميزان . فمن ثقلت موازينه ولو بحسنة دخل الجنة ، ومن خفّت موازينه ولو بسيئة دخل النار ، إلا أن يعفوا الله عمن يشاء من أهل التوحيد .

فلا تحتقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، فإن ذلك من المعروف ، وهو لك صدقة ، كما قال ﷺ: « **تبسّمك فى وجه أخيك صدقة** »[(٢)] .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى انبساط وجوههم عند محادثتهم ، وما أغناهم عن العبوس ! ما أحوجهم إلى هذا الانبساط عند اللقاء حتى تزداد المحبة وتقوى العلاقة ، وتتوطد الأخوة ، وما أغناهم عن العبوس الذى يغيّر القلوب ، ويسبب النفرة ، ويجلب العداوة ! فهل يعى المسلمون هذا ؟! .

الوصية الثالثة: « وارفع إزارك إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين »:

إن اللباس نعمة من نعم الله عزّ وجل التى أنعم بها على عباده ، وقد امتنّ الله تعالى على عباده بهذه النعمة فقال : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** (٢٦) ﴾[(٣)] .

---

(١) **متفق عليه**: خ(١٤١٠/ ٢٧٨/ ٣)، م(١٠١٤/ ٧٠٢/ ٢)، ت(٦٥٩/ ٨٦/ ٢)، نس(٥٧/ ٥)

(٢) صحيح : [ص. ج : ٢٩٠٥] ، ت (٢٠٢٢/ ٢٢٨/ ٣) . (٣) الأعراف : ٢٦ .

ونعم الله يجب أن تُشكر حتى تدوم ، ومن شكرها استخدامها فيما أمر الله وكما أمر الله ، وقد حرّم الله علينا أنواعاً من الألبسة ، منها لباس الحرير ، ولباس الشهرة ، ولباس الكفار ، وأمرنا على لسان رسوله ﷺ أن يكون ثوب أحدنا قميصاً كان أو بنطالاً أو سروالاً أوعباءة إلى نصف الساقين ، وأباح لنا ما فوق الكعبين ، قال ﷺ : **« أزرة المسلم إلى نصف الساق ، ولا حرج - أولا جناح - فيما بينه وبين الكعبين ، وما كان أسفل الكعبين فهو فى النار »** [(١)] .

وقال ﷺ : **« ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولاينظر إليهم ، ولايزكيهم ، ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنّان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »**[(٢)] .

وهذا الوعيد دليل على أن الإسبال من الكبائر ، لأن الكبيرة ما ترتب عليها حدّ فى الدنيا أو عقوبة فى الآخرة ، وهذا الحديث قد رتَّب على الإسبال أربع عقوبات : لايكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم .

وقوله ﷺ : **« المسبل »** مطلق غير مقيّد ، فهو يشمل من أسبل خيلاء ومن أسبل من غير خيلاء ، بل إن الإسبال فى نفسه خيلاء ، ولذلك قال ﷺ :

الوصية الرابعة : « وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لايحب المخيلة » .

فنفس الإسبال مخيلة ، فلا يجوز لأحد أن يسبل إزاره ثم يقول : لا أفعله خيلاء ، لأن الإسبال نفسه مخيلة وإن لم يقصد .

---

(١) صحيح : [ص . د:٣٤٤٩]، د(٤٠٧٥/ ١٥٢/ ١١) ، جه (٣٥٧٣/ ١١٨٣ / ٢) .
(٢) **صحيح** : م(١٠٦/ ١٠٢/ ١)، د (٤٠٦٩/ ١٤٤/ ١١)،ت(١٢٢٩/ ٣٤٢/ ٢)، نس (٧/٢٤٥)

وأما ما جاء عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر إليه الله يوم القيامة** » فقال أبو بكر : يا رسول الله ! إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ؟ فقال ﷺ : « **إنك لست ممن تفعله خيلاء** » [1]. فلا حجة فيه ، لأن قول أبى بكر واضح ، وهو أن ثوبه كان قصيراً لكنه يسترخى فينزل ، ولم يكن فى نفسه طويلا .

الوصية الخامسة : « وإن امرؤ شتمك وعيّرك بما يعلم فيك فلاتعيّره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه » :

الشتم هو السبّ ، والتعيير ذكر الرجل بما يعيبه فى نفسه أو أهله أو ثيابه ونحو ذلك وذلك هو عمل من أعمال الجاهلية ولذلك قال أبو ذر رضى الله عنه : سابيت رجلاً فعيّرته بأمّه ؟ ! فقلت يا ابن السوداء ، فقال لى النبى ﷺ : « **يا أباذر ! أعيّرته بأمّه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية** »[2]

فلا يجوز للمسلم أن يعيّر أخاه بشىء فيه ، فإن ذلك يقضى إلى التباغض والتدابر ، ويوقع العدواة والبغضاء بين الناس .

لكن النبى ﷺ يوصى بكظم الغيظ ، فيقول لجابر : « وإن امرؤ شتمك وعيّرك بما يعلم فيك ، فلا تعيّره بما تعلم فيه ، فإنما وبال ذلك عليك » كما قال ﷺ : « **المستبّان ما قالا فعلى البادئ منهما ، مالم يعتد المظلوم** » [3].

فمن سبّك أو عيّرك فصبرت عليه وسكتّ عنه ، فعليه الإثم ولك الأجر ، ولا

---

(١) **صحيح** : خ (٥٧٨٤ / ٢٥٤ / ١٠) ، د(٤٠٧٦/ ١٤١/ ١٠) ، نس (٢٠٨/ ٨).
(٢) **متفق عليه** : خ(٣٠/ ٨٤/ ١)، م(١٦٦١/ ١٢٨٢/ ٣) ، د(٥١٣٥/ ٦٥/ ١٤).
(٣) **صحيح** : م(٢٥٨٧/ ٢٠٠٠/ ٤)، د (٤٨٧٣/ ٢٣٧/ ١٣)، ت(٢٠٤٧/ ٢٣٧/ ٣) .

تنس قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) ، وألق سمعك لهذه الواقعة لترى كيف تكون المدافعة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر والنبى ﷺ جالس يتعجّب ويبتسم ، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله ، فغضب النبى ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر ، وقال : يا رسول الله ! كان يشتمنى وأنت جالس ، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت ؟! قال : « **كان معك ملَكٌ يردّ عليه ، فلما رددت عليه وقع الشيطان** »(٢) .

فإذا سبّك أحد أوشتمك أو عيّرك فلا تغضب ، اكظم غيظك ، وارض بدفاع الله عنك ، واعلم أن لك الأجر وعليه الوزر .

قال ﷺ : « **من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره من الحور العين ماشاء** »(٣) .

ثم أنك ستستوفى حقك منه يوم القيامة ، وأنت أحوج ما تكون إليه : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع ، فقال : « **إن المفلس مِنْ أمتى مَنْ يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ماعليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت**

(١) الحج : ٣٨ .
(٢) **حسن** : [ص . د : ٤٠٩٤] ، أ(٣٣/٨٢/١٩) واللفظ له ، د(٤٨٧٥/٢٣٩/١٣) .
(٣) **حسن** : [ص . د :٣٩٩٧] ، د(٤٧٥٦ / ١٣٥ / ١٣) ، ت(٢٠٩٠ / ٢٥١ / ٣)، جه(٤١٨٦/١٤٠٠/٢) .

عليه ثم طُرِح فى النار»(١)

وهكذا نهى النبى ﷺ جابر بن سُليم فى أول الوصايا أن يسبّ أحداً ، وعلّمه فى آخرها كيف يتصرف إذا سبه أحد ، فأمره بالحلم وكظم الغيظ ، ونهاه أن يردّ على من سبّه ، وعدم الردّ هذا أعظم توبيخ ، ولذلك قيل :

وما شىء أحبّ إلى لئيم ... إذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب ... أشدّ على اللئيم من السباب(٢)

قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣)﴾(٣) .

وقال حكيم : ثلاثة لاينتصفون من ثلاثة : حليم من أحمق ، وبرّ من فاجر ، وشريف من دنىء(٤)

(١) **صحيح** : م (٢٥٨١/ ١٩٩٧/ ٤) ، ت (٢٥٣٣/ ٣٦/ ٤).
(٢) فيض القدير : (١٢٢/ ١)
(٣) الفرقان : ٦٣ .
(٤) فيض القدير : (١٢٢/ ١).

الحديث الثانى عشر

الجزاء من جنس العمل

عن ابن عبَّاس رضىَ اللَّهُ عنهُما قال : كُنتُ خلْفَ النبىِّ ﷺ يوْماً فقال : ياغلام « إنِّى أعلِّمُكَ كلمات : احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك ، إذَا سألْتَ فَاسْأل اللَّهَ ، وإذَا اسْتَعنْتَ فَاسْتَعنْ باللَّه ، واعلَمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ علَى أنْ ينْفَعُوكَ بشىْء لم ينْفَعُوكَ إلاَّ بشَىْء قدْ كتَبَهُ اللَّهُ لك ، وإن اجْتَمعُوا على أن يَضرُّوكَ بشىْء لَنْ يَضرُّوكَ إلاَّ بشىْء قدْ كتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَت ألأقْلاَمُ و جَفَّت الصُّحُفُ ».[1]

قوله ﷺ : « **يا غـلام إنى أعلـمك كلمـات** » فيه الاهتمام بتعليم الصغير ، وتلقينه ما ينفعه من العلم ، وكان هذا دَيْدن النبى ﷺ ، كما قال لعمر بن أبى سلمة : « **يا غلام سمّ الله ، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ ممايليك** »[2] .

وأمر ﷺ بالاهتمام ، بالأولاد ، فقال : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرّقوا بينهم فى المضاجع** » [3]

الوصية الأولى : « احفظ الله يحفظك » :

فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تُدان ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي

---

(١) **صحيح** : [ص.ج : ٧٨٣٤]، أ(١٢/ ١٢٦/ ١)، ت(٢٦٣٥/ ٧٦/ ٤)، كم(٥٤١ , ٥٤١/ ٣).

(٢) **متفق عليه** : خ (٥٣٧٦/ ٥٢١/ ٩) ، م (٢٠٢٢/ ١٥٩٩/ ٣) .

(٣) **حسن** : [ص . ج : ٥٨٦٨] ، د (٤٩١/ ١٦٢/ ٢)

أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ (٣) .

وحفظ الله للعبد قد يكون ظاهراً ، ولكن معنى حفظ العبد ربّه يخفى على الكثير ، ومعناه : حفظ أوامره بالأداء ، ونواهيه بالاجتناب ، وحدوده بالوقوف عندها

فكل ما أمر الله به يجب حفظه والمحافظة عليه بفعله ، وكل ما نهى الله عنه يجب حفظه والمحافظة عليه بتركه ، وكلّ حدٍّ حدّه الله لعباده يجب حفظه والمحافظة عليه باحترامه والوقوف عنده .

ولقد مدح الله الحافظين فقال : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (٥) .

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه الصلاة ، قال تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (٦) .

وقد مدح الله المحافظين عليها : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة : ١٥٢ . (٢) البقرة : ٤٠ . (٣) محمد : ٠٧ .
(٤) ق : ٣١، ٣٢. (٥) التوبة ١١٢ . (٦) البقرة : ٢٣٨ .
(٧) المؤمنون : ٩-١١ .

والمحافظة على الصلاة تكون بإسباغ وضوئها ، والحرص على أول وقتها ، وشهود الجماعة فيها والخشوع .

ومما أمر الله بحفظه ألأيمان ، قال تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [1]

وحفظ الأيمان يكون بحفظ اللسان عن الحلف بغير الله ، فقد قالﷺ : « **ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت** »[2] .

وعظّمﷺأمر الحلف بغير الله فقال : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** »[3]

ويدخل فى حفظ الأيمان حفظها من الحنث ، إلا أن يكون فى الحنث خير ، كمن حلف ألا يفعل محرما ، أو حلف أن يفعل واجبا ، فإن حفظ هذا اليمين واجب . أما إذا حلف على شئ وكان الحنث فيه خيراً من البّر ، فإن عليه أن يكفر عن يمينه ويأتى البّر ، كمن حلف أن لايزور أخاه ، ولايدخل بيته ، ونحو ذلك .

لقولهﷺ : « **من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير** »[4] .

ومما أُمرنا بحفظه : العورات ، كما قالﷺ : « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك** »[5]

---

(١) المائدة : ٨٩ .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٦٦١/ ٥٤٥/ ١١)، م(٢٨٤٨/ ٢١٨٧/ ٤)، ت(٣٣٢٦/ ٦٥/ ٥).

(٣) **صحيح** : [ص. ج : ٦٢٠٤] ، ت(١٥٧٤/ ٤٥/ ٣) .

(٤) **صحيح** م (١٦٥٠ - ١٣ - ١٢٧٢ / ٣) ، ت (١٥٦٩ / ٤٣ / ٣)

(٥) **حسن** : [ص . د : ٣٣٩١] ، د (٣٩٩٨ / ٥٦ / ١١) ، ت (٢٩٤٦ / ١٩٧ / ٤) ، جـه (١٩٢٠ / ٦١٨ / ١)

وحفظ العورات يكون بسترها ، وعدم كشفها أمام من لايجوز له النظر إليها ، كما قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (١)

ومن هنا اشتد خطر التبرج ، وعظم وزر المرأة المتبرجة ، لأن « **المرأة عورة** » كما قال ﷺ(٢) .

ومن أعظم ما نهى الله عنه الربا ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٣) .

فيجب علينا تعظيم هذا النهى ، والمحافظة عليه ، بعدم أكل الربا ، فإن أكل الربا من الموبقات ، كما قال ﷺ .

وقال ﷺ : « **درهم رباً يأكله الرجل وهو يعلم أشدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية** »(٤)

وقال ﷺ : « **الربا بضع وسبعون باباً أهونها مثل إتيان الرجل أمّه** » (٥)

---

(١) الأعراف : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) **صحيح** : [ص. ج : ٦٥٦٦] ، ت (١١٨٣/٣١٩/٢)
(٣) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٤) **صحيح** : [ص. ج : ٣٣٧٥] ، أ (٢٣٠/ ٦٩/ ١٥) .
(٥) **صحيح** : [ص. ج : ٣٥٣٩] ، كم (٣٧/ ٢) .

ومن أعظم مانهى الله عنه الزنا ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) ﴾ (١).

وقد مدح الله تعالى الحافظين فروجهم ، فقال : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا (٣٥) ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) ﴾ . ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾ (٣).

ومن أعظم حدود الله التى حدّها لعبادة ،وأوجب احترامها والمحافظة عليها المواريث ، فالمواريث من حدود الله ، أعطى الله كلَّ ذى حقّ حقّه ثم قال : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤) ﴾ (٤).

فيجب على كل مسلم أن يحفظ حدود الله فى المواريث ، بإعطاء كل ذى حق حقه، وعدم بخس الناس حقوقهم ، فمن أكل حق أخيه فقد تعدّى حدود الله ، ومن أكل حق أخته فقد تعدى حدود الله ، ومن أعطى بعضاً ومنع بعضاً فقد تعدى حدود الله .

---

(١) الإسراء : ٣٢ . (٢) الأحزاب : ٣٥ .
(٣) المؤمنون : ٥-١١ . (٤) النساء : ١٣ و ١٤ .

فمن حافظ على أوامر الله بالأداء ، وحافظ على نواهيه بالاجتناب ، وحافظ على حدود الله بالوقوف بعيداً عنها لايقربها ، فقد حفظ الله ، وكان حقاً على الله أن يحفظه ، كما قال النبي ﷺ: « **احفظ الله يحفظك** » :

وحفظ الله لعبده يكون بحفظه في نفسه وماله وولده ، وحفظه في دينه وإيمانه ، فيمتّع الله عبده بسمعه وبصره وقوته في حياته ، ويحفظه في أولاده في حياته وبعد مماته ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾[2] .

ويحفظ الله عبده في دينه وإيمانه ، فيجنبه الفتن ، ويقيه شرّها في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويربط على قلبه حتى يموت على الإسلام .

ومن جزاء حفظ العبد لربّه أن يكون ربُّه معه حيث توجه ، كما قال ﷺ:

الوصية الثانية : « إحفظ الله تجده تجاهك » :

أي تجده معك حيثما كنت ، ومقتضى هذه المعية النصر والتأييد ، والإعانة والتمكين ، فالله دائماً معه ، يحفظه ، وينصره ، ويوفقه ويسدّده .

الوصية الثالثة : « إذا سألت فاسأل الله » :

---

(١) فصّلت : ٣٠-٣٢. (٢) الكهف : ٨٢.

فإن الله هو السميع البصير ، اللطيف الخبير ، وهو على كل شئ قدير ، وهو الغنى وكل ما سواه فقير ، وقد أمر بسؤاله ودعائه فقال : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾[١] ، وقال : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢] ، ولذا قال النبى ﷺ : « الدعاء هو العبادة »[٣]

وقال : « من لم يسأل الله يغضب عليه »[٤] ولقد أنكر الله تعالى على من يدعو غيره ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٥] .

وقال : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[٦] ، فكيف تتركون سؤاله وهو الغنى وتدعون الذين ما يملكون من قطمير ؟

فيا عبد الله : لا تسألنّ بنىّ آدم حاجةً ... وسل الذى أبوابه لاتُحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنىّ آدم حين يُسأل يغضب

---

(١) النساء : ٣٢ . (٢) غافر : ٦٠ .
(٣) صحيح : [ص . جـ : ٣٠٨٦] جـ (٣٨٢٨/١٢٥٨/ ٢) ، ت(٣٢٩٩/ ٥٢/ ٥)، د(١٤٦٩/ ٣٥٢/ ٤) .
(٤) حسن : [ص . جه : ٨٥ ٣٠] ، ت (٣٤٣٣/ ١٢٦/ ٥) ، جه (٣٨٢٧/ ١٢٥٨/ ٢) ولفظه " من لم يدع .
(٥) النحل : ٢٠ و ٢١ . (٦) فاطر : ١٣ و ١٤ .

ثم إن فى السؤال ذلّة وانكساراً ، فصُنْ نفسك عن التذلّل لمن لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وإذا سألت فسأل الله .

الوصية الرابعة : « وإذا استعنت فاستعن بالله » :

فإن الله هو القوىّ وما سواه ضعيف ، والله هو القادر وكل ما سواه عاجز ، فاستعن بالله على أمورك كلها ، الدينية والدنيوية ، فالله وحده هو الذى يعينك على فعل المأمورات ، وترك المنهيات ، وهو الذى يعينك على قضاء المصالح والحاجات .

الوصية الخامسة :

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف ».لاتبديل لكلمات الله .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾(١) .

فلو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على أن يضروا عبداً بشئ لم يكتبه الله له ما استطاعوا ، ولذلك تحدّى نوحٌ قومه قائلا : ﴿ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) ﴾(٢) أى إن استطعتم أن

---

(١) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) يونس : ٧١ .

تضرونى فافعلوا ما تقدرون عليه من ذلك ولاتتأخروا ساعة واحدة ، وهذا منتهى التحدّى ، الناتج عن اليقين الكامل بمعنى هذه الوصية .

وكذلك قال هودٌ لقومه : ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾(1) .

وهذه الوصية تُعدّ كالأصل لجميع الوصايا ، فإن العبد إذا علم أن كل شئ يجرى بتقدير الله تعالى ومشيئته ، ومشيئتُه تنفذ ، لا مشيئة للعباد ، إلا ماشاء لهم ، فما شاء لهم كان ومالم يشأ لم يكن ، قصد اللّهَ وحده بالعبادة وعلم أنه وحده القادر على جلب النفع وكشف الضرّ ، كما قال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾(2) .

---

(١) هود : ٥٤ ، ٥٦ .

(٢) النمل : ٦٢ .

الحديث الثالث عشر

الدعاء بعد التشهد

عَن أبى هريرةَ رضىَ اللهُ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللَّه ﷺ : « إذَا تَشهَّدَ أحدُكم فليَستَعِذْ باللَّه مِن أَربَعٍ ، يقول : اللَّهُمَّ إنِّى أَعُوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ جهنَّم ، ومِنْ عذَابِ القبْر ، ومِنْ فتنَةِ المَحْيا والمَمات ، ومِنْ شرِّ فتنَةِ المَسيحِ الدَّجال »(١).

« إذا تشهد أحدكم » أى قرأ التشهد فى الصلاة ، وأفضل صيغة : التحيات لله ، والصلوات والطيّبات ، السلام على النبىّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »(٢) ثم يصلّى على النبى ﷺ ، وأفضل صيغها ، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم باركْ على محمدٍ وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .(٣)

---

(١) **صحيح** : م(٥٨٨/ ٤١٢/ ١)، نس(٥٨/ ٣)، جه(٩٠٩/ ٢٩٤/ ١)، د(٩٦٨/ ٢٧٣/ ٣).

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٢٦٥/ ٥٦/ ١١)، م(٤٠٢/ ٣٠١/ ١)، ولفظها فى السلام بلفظ الخطاب "عليك" إلا أن ماكتبته بلفظ الغيبة هو الصحيح، لما صح عن عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبى ﷺ حى، السلام عليك، أيها النبى، فلما مات قالوا : السلام على النبى، أنظر "فتح البارى" (٣١٤/ ٢)

(٣) **متفق عليه** : خ(٦٣٥٧/ ١٥٢/ ١١)، م(٤٠٦ / ٣٠٥ / ١) ، د(٩٦٣/ ٢٦٤ / ٣) ، ت(٤٨٢, ٣٠١ / ١) ، جه(٩٠٤/ ٢٩٣/ ١) ، نس (٤٧/ ٣).

« إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع » :

الاستعاذة معناها الإلتجاء والالتصاق والامتناع . فقول القائل أعوذ بالله ، معناه ألتجئ إلى الله ، وألتصق بفضل الله ، وأمتنع برحمة الله ، فكأن المستعيذ يفرّ إلى الله تعالى ليحميه ويحفظه مما يخافه ويدفع عنه شرّه [١]

والإستعاذة لاتتحقق إلا بأمرين : أن يعرف ربّه ، وأن يعرف نفسه . أن يعرف ربّه بالغنى ، ويعرف نفسه بالفقر . أن يعرف ربّه بالقدرة ، ويعرف نفسه بالعجز أن يعرف ربّه بالقوّة ، ويعرف نفسه بالضعف . أن يعرف ربّه بالعزة ، ويعرف نفسه بالذلة . أن يعرف ربّه بالكمال ، ويعرف نفسه بالنقص .

فإذا حقّق المستعيذ هذه المعاني تحققت له الاستعاذة ، وإذا نقصت هذه المعاني نقصت الاستعاذة ، فالاستعاذة بالله إذن عبادةٌ تتحقق فيها معاني الربوبية لله ، ومعاني العبودية للمستعيذ [٢] .

ومن استعاذ بالله أعاذه ، وقد حكى الله تعالى استعاذة الإنبياء والصالحين به عزّ وجل ، فقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾[٣] فأعطاه الله خلْعَتيْن : السلام ، والبركة : ﴿ **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ** ﴾[٤] .

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾[٥] فأعطاه الله خلْعَتيْن : صرَف عنه السوء والفحشاء . ولما قيل له في حقّ أخيه : ﴿ **إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ** ﴾[٦] ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ** ﴾[٧] فأكرمه الله يجمع الشمل بأهله :

---

(١) التفسير الكبير (٧١ / ١)　(٢) التفسير الكبير (٧٢ / ١)　(٣و٤) هود : ٤٧و٤٨
(٥) يوسف : ٢٣ .　(٦) يوسف : ٧٨ .　(٧) يوسف : ٧٩

(﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[(١)].

وحكى الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما أمر قومه بذبح البقرة ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٦٧ ﴾[(٢)] فأعطاه الله خلعتين: إزالة التهمة، وإحياء القتيل، فقال: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣ ﴾[(٣)].

ولما خوّفوه بالقتل قال: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ ﴾[(٤)] فأعطاه الله مراده، فأفنى عدوهم، وأورثهم أرضهم وديارهم.

وحكى الله تعالى عن أم مريم أنها قالت: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(٥)].

ولما اقتحم جبريل على مريم خلوتها ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ ﴾[(٦)]، فوجدت نعمتين: ولداً من غير أب، وتنزيه الله إياها من السوء على لسان ذلك الولد، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾[(٧)].

الوصية الأولى: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ».

إنما بدأ به لأنه شرُّ الأربع، وجهنم دار البوار، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٢٩ ﴾[(٨)].

---

(١) يوسف: ١٠٠.
(٢) البقرة: ٦٧.
(٣) البقرة: ٧٣.
(٤) الدخان: ٢٠.
(٥) آل عمران: ٣٦.
(٦) مريم: ١٨.
(٧) مريم: ٣٠ وانظر "مفاتيح الغيب" (١/٨٠).
(٨) إبراهيم: ٢٨، ٢٩.

وهى دار الظالمين ، الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به ، قال تعالى ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) ﴾[١] .

وقد بيّن الله تعالى أن لها سبعة أبواب ، لكل باب نصيب معلوم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) ﴾[٢]

وبيّن سبحانه أنهم إذا دخلوا أغلقت عليهم قطعاً لآمالهم ، فقال تعالى : ﴿ إنها عليهم مؤصدة * فى عمد ممدة ﴾[٣] .

فهم لايخرجون منها أبداً ، كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) ﴾[٤].

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) ﴾ قَالَ ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[٥]، فهم فى عذاب دائم ، ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[٦]أى آيسون من الرحمة ، آيسون من الخروج ، آيسون من أن يخفف عنهم العذاب .

وعذاب جهنم أشكال وألوان ، قال تعالى : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) ﴾[٧]

وقال تعالى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) ﴾ [٨] .

---

(١) النبأ : ٢١ ، ٢٢ . (٢) الحجر : ٤٣ ، ٤٤ (٣) الهمزة : ٨و٩ .
(٤) المائدة : ٣٧ . (٥) المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨ (٦) الزخرف : ٧٥ .
(٧) ص : ٥٥-٥٨ (٨) الرحمن : ٤٣و٤٤ .

وقال تعالى : ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١) .

فمن ألوان الأطعمة : الزّقوم ، والغسلين ، والضريع :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ (٤) .

ومن ألوان الأشربة : الماء المغليّ ، والغسّاق ، وهو ما يسيل من جراحاتهم من الدم والصديد والقيح ونحو ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٦) .

ومن ألوان الألبسة : ثيابٌ من نار ، ومن قطران :

قال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ (٧) .

---

(١) غافر : ٧١و٧٢.
(٢) الدخان : ٤٣-٤٦ .
(٣) الحاقة : ٣٥-٣٧ .
(٤) الغاشية : ٢-٧.
(٥) محمد : ١٥ .
(٦) الكهف : ٢٩ .
(٧) الحج : ١٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ (١).

ومن ألوان القيود : السلاسل والأغلال :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) ﴾ (٢).

والسلاسل قيود الأرجل ، والأغلال قيود الأيدى ، تقيّد أرجلهم ، وتغلّ أيديهم فتجعل فى أعناقهم ، ولذا قال تعالى : ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ﴾ (٣)

لهذا وصى النبى ﷺ كل مؤمن إذا تشهد أن يستعيذ بالله من عذاب جهنم ، وهذا من شدّة رحمته ﷺ بالأمة ، وشفقته عليها ، وقد أخبر ﷺ أن العبد إذا استعاذ بالله من النار سألت النارُ ربّها أن يعيذه . (٤)

وقد مدح الله عباده المؤمنين على استعاذتهم به من عذاب جهنم ، فقال فى معرض مدحهم : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) ﴾ (٥).

وحكى سبحانه عنهم أنهم تساءلوا فى الجنة عن سبب دخولها ، فأخبر بعضهم بعضا أنه الدعاء والاستعاذة ، قال تعالى بعد أن وصف نعيمهم : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ (٦).

---

(١) إبراهيم ٤٩و٥٠ (٢) الإنسان : ٤ . (٣) غافر : ٧١و٧٢ .
(٤) **صحيح** : [ص . جـه : ٣٥٠٢] ، جـه(٤٣٤٠/١٤٥٣/٢)، ت(٢٦٩١/١٠٠/٤) ، نس(٢٧٩/٨)
(٥) الفرقان : ٦٤-٦٦ . (٦) الطور : ٢٥-٢٨ .

الوصية الثانية : « ومن عذاب القبر » :

عذاب القبر حق وقد تظاهرت بذلك نصوص الكتاب والسنة ، وأجمع عليه أئمة السنة من الصحابة والتابعين : [١]

قال تعالى عن قوم نوح : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ [٢] ، المراد بهذه النار عذاب القبر ، لأنهم لم يدخلوا نار الآخرة بعد ، فالدور ثلاثة : دار الدنيا ، دار البرزخ ، ودار الآخرة ، ودار الآخرة لايدخلونها إلا بعد البعث ، وإنما ينتقلون من دار الدنيا إلى دار البرزخ ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ الذى يُنهى إقامتهم فى دار الدنيا ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٣] . فينتقلون إلى دار الآخرة .

فقوله تعالى : ﴿ فأدخلوا نارا ﴾ بالفاء التى تفيد التعقيب يدل على أن هذه النار إنما هى فى دار البرزخ والمراد عذاب القبر .

وقال تعالى عن فرعون وملائه : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٤] ، فالنار التى يُعرضون عليها غُدواً وعشياً المراد بها عذاب القبر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [٤] بعدما كانوا فى عذاب شديد فى القبر .

---

(١) انظر " معارج القبول " (١١١)
(٢) نوح : ٢٥ .
(٣) المؤمنون : ٩٩و١٠٠ .
(٤) غافر : ٤٥و٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ولا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٧) ﴾[1] فسّر العذاب الأدنى بعذاب القبر .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾ [2] ، فقولهم ﴿ اليوم ﴾ يدل على ابتداء العذاب وهم بعد فى دار الدنيا ، ويستمر فى دار البرزخ ، ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب .

هذه هى نصوص القرآن فى إثبات عذاب القبر ، أما النصوص النبوية فهى متواترة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألتُ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : **« نعم . عذاب القبر حق »** [3]

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« لولا أن لاتدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر »** [4] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال : « إنهما ليعذّبان ، وما يعذّبان فى كبير » ، ثم قال : **« بلى ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله »** [5] .

---

(١) الطور : ٤٥-٤٧ . (٢) الأنعام : ٩٣ . (٣) **صحيح** : خ (١٣٧٢ / ٢٣٢ / ٣) .
(٤) **صحيح** : م (٢٨٦٨ / ٢٢٠٠ / ٤) نس (١٠٢ / ٤) .
(٥) **متفق عليه** : خ(٢١٦ / ٣١٧ / ١)، م(٢٩٢ / ٢٤٠ / ١)، ت(٧٠ / ٤٧ / ١)، د(٢٠ / ٤٠ / ١)، نس (٢٨ / ١) ، جه (٣٤٧ / ١٢٥ / ١) .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « بينا رسول الله ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة، فقال **« مَن يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ »** قال رجل : أنا . قال : **« فمتى ماتوا »** . قال : فى الشرك . فقال : **« إن هذه الأمة تُبتلى فى قبورها ، فلولا أن لاتدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه »** . ثم أقبل علينا بوجهه فقال : **« تعوّذوا بالله من عذاب القبر »** . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر »[1]

ومما يجب التنبيه عليه أن عذاب القبر للروح والبدن معاً ، وأن كل من مات مستحقاً للعذاب ناله نصيبُه منه ، قُبرَ أولم يُقَبر ، أكلته السباع أو احترق وصار رماداً ونسف فى الهواء ، أو صُلب أو غرق فى البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، وقدرة الله أعظم مما يتخيله البشر .

ويجب أن يُعلم أن نار القبر ليست من جنس نار الدنيا وإن كان الله تعالى يحمى عليه التراب والحجارة التى فوقه وتحته حتى تكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسّوا بها .

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه ، وهذا فى حفرة من النار ، والثانى فى روضة من رياض الجنة ، لايصل إلى هذا من نار جاره ، ولا إلى هذا من نعيم جاره [2] .

وعذاب القبر مستمر بالكافرين إلى قيام الساعة ، كما قال تعالى :

---

(١) **صحيح** : م (٢٨٦٧/٢١٩٩/٤) .

(٢) انظر " شرح الطحاوية " (٤٥١ - ٤٥٢)

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ (١).

وقال النبي ﷺ في حق الكافر : **« ثم يُفتح له باب إلى النار ويمهّد من فرش النار »** (٢).

وأما عصاة المؤمنين فإنهم إن عُذّبوا فى القبر لايعذبون يوم القيامة ، وعذابهم فى القبر يكون ما شاء الله أن يكون ثم يُرفع عنهم .

الوصية الثالثة : « ومن فتنة المحيا والممات » :

أما فتنة المحيا فالمراد بها مايعرض للإنسان من فتن فى حياته قبل مماته والفتنة معناها الاختبار والامتحان والابتلاء ، قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (٤)

والعاقل من إذا ابتُلى بالشر تاب وأناب ، واستغفر واستعتب ، وعلم أنه من نفسه أتى ، فصبر واحتسب ، واذا ابتلى بالخير عرف الفضل لأهله ، وشكر ربّه ، ورأى أن فضل ربه عليه عظيم ، ولذلك لما رأى سليمانُ عليه السلام عرش بلقيس مستقراً عنده ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ (٥)

أما فتنة الممات فالمراد بها ما يعرض الإنسان من فتن عند الموت وبعده فى القبر فساعة الاحتضار ساعةٌ عصيبة ، يُبتلى فيها الناس فـ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

---

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) **صحيح** : أ(٥٣/ ٧٤-٨٢/ ٧) وانظر "أحكام الجنائز" (١٥٦-١٥٩).

(٣) العنكبوت : ٢و٣. (٤) الأنبياء : ٣٥ . (٥) النمل : ٤٠ .

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١) ، ولـذلك كـان من جـملة دعـاء الـنبى ﷺ : « **وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت** » (٢) .

وفى حديث البراء بن عازب فى صفة التّوفّى قال النبى ﷺ فى حق المؤمن : «فتُعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له : من ربّك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول دينى الإسلام : فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينتهره فيقول : من ربك ؟ مادينك ؟ من نبيّك ؟ وهى آخر فتنة تُعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد ﷺ » (٣) .

اللهم ياولىّ الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك .

الوصية الرابعة : « ومن شرّ فتنة المسيح الدجال » :

المسيح الدجال شابٌ أحمر الوجه ، جسيم - أى ممتلئ الجثة - رأسه كأنها أغصان شجرة ، يعنى أن شعره كثير متفرق قائم ، أعور العينين ، العين اليمنى ممسوحة صافية قد ذهب نورها ، والعين اليسرى ناتئة بارزة ترى رؤية خفيفة ، وعليها ظفرة .

---

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) صحيح : [ص. ج: ١٢٩٣] ، نس (٨/٢٨٢) ، كم (٥٣١ / ١) .

(٣) **صحيح** : أ(٥٣/ ٧٤/ ٨٢)، وانظر " أحكام الجنائز " (١٥٦-١٥٩) .

يخرج الدجال من خُرسان أو أصبهان ، ويتبعه من يهودها سبعون ألفا [١]، تُطوى له الأرض طيّا ، حتى أن رسول الله ﷺ سئل عن سرعته التى يسير بها فقال : « **كالغيث استدبرته الريح** » [١] .

يُقيم الدجال بعد ظهوره أربعين يوما ، وهى مدة قليلة ، ومع ذلك يطوف خلالها البلاد كلها ، إلا مكة والمدينة ، على أبوابها ملائكة بالسيوف مسلّطة فلا يمكنه دخولهما .

سئل النبى ﷺ عن مكث الدجال فى الأرض بعد ظهوره ، فقال : « **أربعون يوما، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كبقية أيامكم** » . قالوا يا سول الله ، فاليوم الذى هو كالسنة أيكفينا فيه صلاة يوم واحد ؟ قال : « **لا ، اقدروا له قدره** » [٢] . يعنى انظروا كم يكون بين الفجر والظهر ، وبين الظهر والعصر ، وهكذا ، ثم صلوا على حسب هذا التقدير حتى ينتهى ذلك اليوم .

سُمىّ هذا الدجال بالمسيح لأن عينه اليمنى ممسوحة ، وبعض الناس يقولون : المسيخ - بالخاء المعجمة - تفريقاً بينه وبين المسيح ابن مريم ، وهذا تصحيف [٣] والصحيح أنه المسيح - بالحاء المهملة - وعيسى بن مريم أيضا يقال له المسيح ، ولكن إذا أطلق المسيح فالمراد بن مريم ، وإذا أريد الدجال فلابدّ من تقييد المسيح به فيقال المسيح الدجال .

والدّجل فى الأصل هو التغطية ، وسمى كل كذاب دجالاً لأنه يغطى الحق بالباطل .

---

(١) **صحيح** : م(٢٩٣٧/ ٢٢٥٠/ ٤)و(٢٩٤٤/ ٢٢٦٦/ ٤)، ت(٢٣٤١/ ٣٤٦/ ٣) .
(٢) السابق .
(٣) فتح البارى : (٣١٨/ ٢) .

وهذا الدجال فتنة عظيمة جداً ، حتى إن معه ماءاً وناراً ، فما يراه الناس ماءً فهو نارٌ تحرق ، وما يرونه ناراً فهو ماء بارد ، ولذلك وصىّ النبى ﷺ من أدرك الدجال أن يغمض عينيه ، ويطأطئ رأسه ، ويشرب من النهر الذى يظنه ناراً، فإنما هو ماء بارد . (١)

يمرّ الدجال بالقوم فيدعوهم إلى الإيمان بأنه ربّهم فيؤمنون به ، فينادى على السماء : أمطرى ! فتمطر ، وعلى الأرض : أخرجى نباتك ! فتُخرج نباتها ، فتعود سارحة القوم أشبع ماكانت وأملأ ضروعا ، وأسمن ما تكون . ثم يمرّ بآخرين فيدعوهم إلى الإيمان بأنه ربهم فيكفرون به ، ويردّون دعوته لما يرون من العجز الحسى والنقص فى خلقه ، إن ربكم ليس بأعور ، وإن الدجال أعور . إنه بشر يأكل ويشرب وينام ، ويتغوط ويبول ، ويتزوج النساء ولكن لايولد له . إنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤها كل مؤمن قارئاً كان أو أميًا .

ثم يأتى الدجال بشاب ممتلئ الجسم فيقول للناس : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته ! أتؤمنون بى ؟ فيقول أتباعه : نعم . فيضربه بالسيف فيقطعه قطعتين ، ثم يمشى بينهما ثم ينادى عليه فيقوم حيًا ، فيقول له : أتؤمن بى ؟ فيقول : والله ماازددت فيك إلا بصيرة ، فيريد أن يذبحه ثانية فلا يقدر عليه (٢)

ثم يتوجه الدجال شطر المدينة فيجدها محروسة بالملائكة ، فيقف على أدنى سبخة من المدينة ويقول لأتباعه : أترون هذا القصر الأبيض ؟ إنه مسجد محمد . ثم تصرف الملائكة وجهه إلى بيت المقدس ، فينزل عيسى بن مريم عن المنارة البيضاء شرقىّ دمشق ، ثم يتوجه إلى بيت المقدس ، فيدرك الدجال فيقتله ،

---

(١) **متفق عليه** : خ(٣٤٥٠/ ٤٩٤/ ٦)، م(٢٩٣٤/ ٢٩٣٥/ ٢٢٥٠/ ٤) ، د(٤٢٩٣/ ٤٣٨/ ١١)
(٢)**صحيح** : م((٢٩٣٨ / ٢٢٥٦ / ٤) .

ويُقاتل المسلمون اليهود الذين معه فيتفرقون حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر والشجر ، فيُنطق اللّهُ الحجر والشجر فيقول : يامسلم ! هذا يهودى ورائى تعال فخذه فاقتله .

هذه هى فتنة الدجال ، وهى فتنة عظيمة ، ولذا أمرنا النبى ﷺ أن نستعيذ بالله من شرّ فتنة المسيح الدجال ، وأرشدنا ﷺ إلى أسباب العصمة منه ، فقال : **« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال »** [(١)] .

وقال ﷺ : **« إن يخرج وأنا فيكم فسأكفيكموه ، وإن يخرج ولست فيكم فالله خليفتى على كل مسلم ، وكل امرئ حجيج نفسه »** [(٢)] .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا .

---

(١) صحيح : م(٨٠٩/ ٥٥٥ / ١) ، د(٤٣٠١/ ٤٥١ / ١١) .
(٢) صحيح : م(٢٩٣٧/ ٢٢٥٠/ ٤)، د(٤٢٩٩/ ٤٤٥/ ١١)، ت(٢٣٤١/ ٤٣٦/ ٣)

الحديث الرابع عشر

قواعد ذهبية من قواعد الدعوة الربانية

عَن ابن عبَّاس رضىَ اللَّهُ عنه قال : قال رسُولُ اللّه ﷺ لُمعاذ بن جَبل حينَ بعثَهُ إلَى اليَمن : إنَّك ستَأتى قَوماً أهلَ كتاب ، فإذا جـئتَهم فادْعهُم إلى أن يَشهَدُوا أن لاَ إلهَ إلاَّ اللَّه وأنَّ مـحمداً رسُولُ اللَّه ، فإنْ هُمْ أطَاعُوكَ بذلكَ فأخْبِرْهُم أنَّ اللَّهَ قَـدْ فَرضَ عَليهِمْ خَمْسَ صَلوَات فى كُلِّ يوم ولَيلَة ، فـإنْ هُمْ أطاعـُوكَ بذَلكَ فَأَخـبْـرهُمْ أنَّ اللَّهَ قَـدْ فَرضَ عليـهـمْ صَدقَـةً تُؤْخَذُ منْ أغنيـائهْم فَتُـردَّ على فُقَـرائهم ، فإنْ هُمْ أطَاعـُوكَ بذلكَ فَـإيَّاكَ وكَـرائمَ أمْـوَالهمْ ، واتَّق دَعْـوَةَ المَظْلُوم فَـإنّه لَيس بَـينَهـا وَبَين اللَّه حجَاب . » (1).

هذه وصية عظيمة من الداعية الأول محمد رسول الله ﷺ لكل الدعاة من بعده . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل وقد بعثه إلى اليمن » : أى داعياً ومعلّماً ، ومبلّغا ومفقّها وحاكما ، وهذا يدل على ضرورة إرسال العلماء وإيفاد الدعاة إلى دول الكفر ليدعوهم إلى الإسلام ، ويرغّبوهم فى دين الله ، ويعبّدوهم لله عزوجل .

---

(1) **متفق عليه** : خ (١٤٩٦ / ٣٥٧ / ٣) ، م (١٩ / ٥٠ / ١)، ت (٦٢١/ ٦٩ / ٢)، د(١٥٦٩ / ٤٦٧ / ٤)، جه (١٧٨٣ / ٥٦٨ / ١) ، نس (٥٥ / ٥) .

فلما بعث النبى ﷺ معاذاً وصّاه وصيّة ينتفع بها فى دعوته ومواجهة المدعوين، مما يدل على ضرورة تعليم البعثات التى تُبعث إلى سائر الدول ، وتفقيههم حتى يكونوا دعاة خير و رسل هدى ، وإلا فإن العامل بغير علم كالسّالك على غير طريق ، والعامل بغير علم يضرّ ولا ينفع ، ويفسد ولايصلح، وفاقد الشئ لا يعطيه .

قال ﷺ لمعاذ : « **إنك ستأتى قوماً أهل الكتاب** » ، فهو ﷺ يبصّره بحال المدعوين ، ويوقفه على طبيعتهم حتى يستعدّ للمواجهة ، ويتأهل للدعوة ، ويعدّ العدّة اللازمة لمخاطبة هؤلاء الناس ، لأنهم أهل علم ، ومخاطبتهم تختلف عن مخاطبة غيرهم من الأميين .

وإنما خصّ النبى أهل الكتاب بالذكر مع أن باليمن غيرهم ، لأنهم كانوا أكثر من مشركى العرب ، وليتأهب معاذ لمناظرتهم ومجادلتهم بالتى هى أحسن ، كما قال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ (٢) .

ثم أرشده ﷺ إلى ماينبغى أن يبدأ به دعوته فقال : « **فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله** » وصرّح فى رواية أخرى بالأوّليّة فقال : « **فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله** » ، فتلك البداية التى بدأ بها كل الدعاة من الأنبياء والرسل دعوتهم ، قال تعالى ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم**

---

(١) النحل : ١٢٥ .   (٢) العنكبوت : ٤٦ .   (٣) الأعراف : ٥٩

مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[٣] وقال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[١]وقال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[٣] ولقد لبث نبيّنا محمد ﷺ عشر سنين يدعوا قومه إلى هذه الكلمة لا إله إلا الله ، لأنها أول واجب على المكلف ، وأول مايدخل به فى الإسلام .

ولم يكن هذا الإتفاق على هذه البداية من الرسل أجمعين عن اجتهاد ونظر ، وإنما كان عن وحْى يوحى ، فهى إذن شرع الله ومنهجه الذى رسمه لأنبيائه ، ولاشك أن الدعاة إلى الله هم أتباع الأنبياء ، وأنه يجب عليهم إتباعُ منهجهم ، وسلوكُ طريقتهم ، ولا سيما وقد وصّى رسول الله ﷺ جميع الدعاة فى شخص معاذ بهذه الوصية : « **فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله** » ، فإن هذه الشهادة كالأساس ومابعدها كالبناء ، ولا يمكن رفع البناء دون أساس ، والتأسيس هو المشكلة الكبرى ، متى فُرغ منه سهل مابعده ، حتى فى البناء الحسّى ، يقولون لكل من أراد بناء بيت : إذا طلعتَ من الأرض انتهيت ، يعنى إذا فرغت من الأساس فقد انتهى البناء ، باعتبار أن العقبة الكؤود فى البناء هى الأساس .

وهذا ماحدث من رسول الله ﷺ ومعه ، انشغل ﷺ مدة ثلاث عشرة سنة فى تأسيس العقيدة فى نفوس هذه العصبة القليلة التى آمنت معه ، وترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر فى قلوبهم ، وتعميق فكرة الحساب والجزاء فى نفوسهم .

---

(١) الأعراف : ٦٥ . (٢) الأعراف : ٧٣ (٣) الأعراف : ٨٥ .

وظلّ هذه المدة الطويلة يجاهد فى سبيل ذلك جهاداً كبيراً كما أمره ربّه سبحانه ، حتى إذا هانت عليهم أنفسهم وأموالهم ، بل هانت عليهم الدنيا كلها ، وعاشوا للآخرة وحدها ، هاجروا إلى المدينة تاركين ديارهم وأموالهم ، فنزل الحلال والحرام ، وفُرضت الفرائض ، فلم يجد النبى ﷺ فى دعوتهم إلى الإلتزام بها أيّة مشقة ، ذلك أنه كان قد أسّس الأسس وقعّد القواعد ، وأرسى فى القلوب معنى الألوهية والعبودية ، وأن الإله له الأمر ، وعلى العبد السمع والطاعة والتسليم والرضا ، ولذلك كانوا إذا نزل الأمر قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا ، وإذا نزل النهى قالوا انتهينا ربّنا .

ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان أول مانزل من القرآن آيات من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أوّل مانزل لاتزنوا ، لقالوا لاندع الزنا أبدا ، ولو نزل أول مانزل لاتشربوا الخمر ، لقالوا لاندع شرب الخمر أبدا . (١)

ويقول جُندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه : تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا . (٢)

ويقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : لقد عشنا بُرهةً من الدهر وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها ، وزواجرها وأوامرها ، وما يجب أن نقف عنده منها . (٣)

ومـــا لبث المسلمون فى المدينة إلا فترة قليلة حتى جمع الله بينهم وبين قريش

---

(١) **صحيح** : خ (٤٩٩٣ / ٣٨و٣٩ / ٩) .
(٢) **صحيح** : [ص . جه : ٥٢]، جه (٦١ / ٢٣ / ١) .
(٣) صحيح [كم (٣٥ / ١] وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى .

على غير ميعاد سابق ، ومكّن لهم من عدوهم ، وأظهرهم عليهم ، فكان هذا النصر حركة تحول كبير فى نظر المجتمع الدولىّ إلى هذه الدولة المسلمة . وتتابعت اللقاءات وتوالى النصر ، حتى دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً بعد ثمان سنين من هجرته منها .

وما كان شئ من ذلك كله ليتم إلا بسبب هذه البداية المباركة ، بداية الدعوة بالتوحيد ، ورفع الدعوة راية واحدة هى راية التوحيد .

ولقد تمّ هذا كلّه لأن الذين أقاموا هذا الدين فى صورة دولة ونظام ، وشرائع وأحكام ، كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل فى ضمائرهم وحياتهم فى صورة عقيدة وخُلق ، وعبادة وسلوك . فلما أن ابتُلوا فصبروا ، ولما أن فرغت نفوسهم ، من حفظ نفوسهم ولما علم الله أنهم لا ينتظرون جزاءً فى هذه الأرض كان ما كان هذا الجزاء ولو كان هو انتصار هذه الدعوة على أيديهم وقيام هذا الدين فى الأرض بجهودهم ولما لم يعد فى نفوسهم اعتزاز بجنس ولا قوم ولا إعتزاز بوطن ولا أرض ولا اعتزاز بعشيرة ولا نسب . ولما علم الله منهم ذلك كله مكّن لهم فى الأرض ، وأقام لهم دولة ومن هنا جاءت هذه الكلمة الحكيمة :

اقيموا دولة الإسلام فى نفوسكم تقم على ارضكم

فعلى جميع العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية أن يعوا هذه الحقيقة وأن يعلموا أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أوّلاً إلى اعتناق العقيدة ، ولتكن هذه العقيدة هى أساس دعوة الناس إلى الإسلام ، كما كانت هى أساس دعوتهم إلى الإسلام أوّل مرّة .

---

(١) اقرأ بتدبر " مقدمة سورة الأنعام فى الظلال " .

يجب أن يعرف الدعاةُ هذا جيداً ، ويجب أن يعلموا أنه : كما أن هذا الدّين دين ربّانىّ فإن منهجه فى العمل منهج ربّانىّ كذلك وأنه لا يمكن فصل حقيقة هذا الدين عن منهجه فى العمل . [١]

« فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلةٌ » :

إنما بدأ ﷺ بالشهادتين لأنهما كما ذكرنا أوّل واجب على المكلف ، وبهما يدخل فى الإسلام ، وثنّى بالصلاة لأنها أول مافُرض من العبادات ، وهى التى تدلّ على حقيقة إسلام المرء ، ولذا قال ﷺ : **« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »**[١] . فمن شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقد وجب عليه أن يقيم الصلاة ، فالشهادتان بالنسبة للدين كالأساس ، والصلاة بالنسبة له كالعمود الأساسى الذى يقام عليه البناء ، ولذا قال ﷺ : **« رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة »**[٢] ، فحافظوا على الصلاة ياعباد الله ، كما أمركم الله ، ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[٣] .

« فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم » :

وهكذا ثلّث بالزكاة لأنها قرينة الصلاة ، وقد ذُكرت معها فى القرآن فى أكثر من ثمانين موضعا ، ولأن الصلاة أعظم حقوق الله ، والزكاة أعظم حقوق العباد ، فمن أقام الصلاة فقد أحسن فيما بينه وبين الله ، ومن أدى الزكاة فقد

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٨٨٤] ، جه(١٠٧٩ / ٣٤٢ / ١) ، ت(٢٧٥٦ / ١٢٥ / ٤) ، نس(٢٣١ / ١) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٥٠١٢] ، ت(٢٧٤٩ / ١٢٤ / ٤) .
(٣) البقرة : ٢٣٨ .

أحسن فيما بينه وبين الناس ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾[١] .

قال تعالى : ﴿ الٓمٓ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾[٢] .

والراجح فى الضمير فى قوله : « أغنيائهم ، فقرائهم » أنه عائد على المسلمين، لا على أهل هذه البلد خاصة ، وعليه فإنه يجوز نقل الزكاة من بلد لآخر . ثم أرشد النبى ﷺ معاذاً إلى ما ينبغى اجتنابه من أموال القوم فقال له :

« فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم » :

وهى أنفس الأموال وأحسنها وأحبها إلى أهلها ، فليس للعاملين على الزكاة أن يأخذوا أحسن ما عند أصحاب الأموال ، كما أنه ليس لأصحاب الأموال أن يدفعوا أردأ ما عندهم، وإنما خير الأمور أوسطها .

ثم حذّره من عدم الامتثال لما نهاه عنه فقال : **« واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »** :

يعنى إياك والظلم ، فيدعو عليك المظلوم فينتصر الله له ، ويأخذ حقه منك ، فإن دعوة المظلوم ترفع إلى السماء فتفتح لها أبوابها ، ولا يحجبها عن الله حاجب ، فيقول لها : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين .

وبعد :

فهذه قواعد ذهبية من قواعد الدعوة الربّانية ، يجب على كل العاملين فى مجال الدعوة أن يتعلموها ويلتزموا بها ، فإن الالتزام بها هو سبيل نجاح الدعاة

---

(١) آل عمران : ١٣٤ .
(٢) لقمان : ١-٥ .

ووصول الدعوة إلى قلوب المدعوين ، والحذر كل الحذر من الإكثار على الناس فى الحلال والحرام ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم ، فإن ذلك من أكبر المنفِّرات التى تنفّر الناس من الداعية والدعوة .

ولابدّ فى الدعوة من هذا التسلسل الذهبى : الأهم فالمهم ، والعقيدة أوّلا ، ثم الصلاة ، ، ثم الزكاة ، وهكذا حتى يدخل الناس فى دين الله أفواجا .

الحديث الخامس عشر

قواعد ذهبية من قواعد الدعوة الربانية

عنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رضيَ اللهُ عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَهُ ومُعاذاً إلى اليَمنِ فقال : « **يَسِّرَا وَلا تُعسِّرَا ، وبَشِّرَا ولاَ تُنفِّرَا ، وتَطاوَعا وَلا تَخْتَلفا** » (١).

بعث النبيُّ ﷺ أبا موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن داعييْن إلى الإسلام ، ومعلمَيْن للمسلمين ولمن دخل فى الإسلام ، فقال لهما قبل سفرهما موصياً وناصحاً ، ومعلّماً ومرشداً لهما كيف تكون الدعوة ؟ وما هى الأساليب التى يجب عليهما اتباعها لتحقيق الغاية من سفرهما وهى دخول الناس فى دين الله أفواجا ، قال لهما :

الوصية الأولى : « يسِّرا ولا تعسِّرا » :

أى بيّنوا للناس سماحة الإسلام ، ويسر الدين ، فإن هذا الدين يسرٌ لا عسرَ فيه ، ولا مشقة ولا حرج ، كما قال تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)** ﴾ (٣) .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٤٣٤٤و٤٣٤٥/ ٨/٦٢) ، م(١٧٣٣/١٣٥٩/٣) .

(٢) البقرة : ١٨٥ .　　(٣) المائدة : ٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[٢] .

فالدين يسر لا عسرَ فيه ، لا عُسرَ فى العقيدة ، ولا عُسرَ فى الأحكام .

فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه[٣]، وكلها عقائد سهلة وميسورة ، لاخفاء فيها ولاغموض ، ولاتعقيد ولامشقة ، وكل إنسان يرى فى نفسه القدرة على اعتقاد هذه العقائد ، لأنها عقائد تقبلها العقول السليمة ، وتقرّها الفطر المستقيمة . والإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .[٤]

والصلوات خمسٌ فى اليوم والليلة ، لا تستغرق من الأربع والعشرين ساعةً ساعةً . يُشترط فيها الوضوء فمن عجز عنه تيمم ، ويشترط فيها استقبال القبلة فمن عجز عنه لمرض أو غيره ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[٥] ، ويشترط فيها القيام فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب[٦] .

والزكاة لا تجب إلا على من ملك نصاباً معيّناً من المال وحال عليه الحول ، ولا تجب إلا كل سنة ، والقدر الواجب إخراجه شئ يسير جداً بالنسبة إلى ما فى يد المالك ، فهو ربع العشر ، بمعدّل كل ألف جنيه خمسة وعشرون جنيها .

---

(١) الحج : ٧٨ . (٢) النساء : ٢٨ .

(٣) **صحيح** : م (٨ / ٣٦ / ١)، ت (٢٧٣٨ / ١١٩ / ٤) ، د (٢٦٧٠ / ٤٥٩/ ١٢) ، جه(٦٣/ ٢٤/ ١) ، نس (٩٧ ٨) .

(٤) جزء من الحديث السابق فى تعريف الإيمان . (٥) البقرة : ١١٥ .

(٦) **صحيح** : خ(١١١٧/ ٥٨٧/ ٢)، د(٩٣٩/ ٢٣٣/ ٣)، ت(٣٦٩/ ٢٣١/ ١)، جه(١٢٢٣/ ٨٦/ ١)

والصيام أيام معدودات ، هى شهر رمضان كل عام ، ومع ذلك ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(١) .

وأما الحج فلا يجب إلا مرّة واحدة فى العمر على من استطاع إليه سبيلا ، فمن لم يستطع فلا جناح عليه .

فمن فعل ذلك دخل الجنة ، كما فى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : «نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل البادية العاقلُ فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ! أتانا رسولُك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال : **« صدق »**. قال : فمن خلق السماء ؟ قال : **« الله »**. قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : **« الله »** . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : **« الله »** . قال : فبالذى خلق السماء، وخلق الأرض ، ونصب هذه الجبال ، آلله أرسلك ؟ قال : **« نعم »** . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : **« صدق »** قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : **« نعم »** . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال : **« صدق »** . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : **« نعم »** . قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ؟ قال : **« صدق »** . قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : **« نعم »** . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال : **« صدق »** . قال : ثم ولّى . قال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن .

---

(١) البقرة : ١٨٤ .

فقال رسـول الله ﷺ : **« لئن صـــدق ليدخلنّ الجنة »**[١] .

هذا هو الدين ، هذا هو الإسلام ، سهل سمح ، جليّ واضح ، لا خفاء فيه ولا غموض ، ولا حرج فيه ولا مشقة ، فيجب على الدعاة أن يعوا هذه الحقيقة ، وأن يستجيبوا لهذه الوصية ، وأن ييسِّروا ولا يعسِّروا ، وأن يقدّموا الدين للناس سلساً سهلاً ، وأن يحسنوا عرضه حتى يقبل الناس عليه ويدخلوا فيه ، وللدعاة فى ذلك الأسوة الحسنة ، والمثل الأعلى ، فى الداعية الأول محمد رسول الله ﷺ ، فلقد كان ﷺ ييسّر على الناس ، ويبسّط لهم الإسلام ، حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، و « إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم »[٢] ، كما فعل فى قيام رمضان ، « صلّى فى المسجد ، فصلّى بصلاته ناس ، ثم صلى من القابلة فكثُر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم ، فلما أصبح قال : **« قد رأيت الذى صنعتم ، ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم »** [٣] .

وأخّر العشاء ليلةً حتى نام مَن فى المسجد ثم خرج فصلاّها ، ثم قال : **« إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتى »**[٤] .

وقال ﷺ : **« لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »** [٥]

---

(١) **صحيح** : م(١٢/ ٤١/ ١)، ت(٦١٥/ ٦٤/ ٢)، نس(١٢١/ ٤)

(٢) **متفق عليه** : خ(١١٢٨/ ١٠/ ٣)، م(٧١٨/ ٤٩٧/ ١)، د(١٢٧٩/ ١٧٢/ ٤) .

(٣) **متفق عليه** : خ(١١٢٩/ ١٠/ ٣)، م(٧٦١/ ٥٢٤/ ١)، د(١٣٦٠/ ٢٤٧/ ٤)، نس(٢٠٢/ ٣) .

(٤) **صحيح** : م(٦٣٨-٢١٩-/ ٤٤٢/ ١) .

(٥) **متفق عليه** : خ(٨٨٧/ ٣٧٤/ ٢) ، م(٢٥٢/ ٢٢٠/ ١) ، ت(٢٢/ ١٨/ ١)، جـه (٢٨٧/ ١٠٥/ ١) إلا أن لفظ البخارى " مع كل صلاة " .

وكان ﷺ يحلم على الجاهلين ، ويعلمهم برفق ولين ، وينهى عن نهرهم وأذاهم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قام أعرابى فبال فى المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبى : **« دعوه ، وهَرِيقوا على بوله سَجْلاً من ماء - أوْ ذنوباً من ماء - فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تُبعثوا معسّرين »**(١) .

وعن معاوية بن الحكم السُّلَمى قال : بينا أنا أصلّى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم . فقلت : يرحمك الله ! فرمانى القوم بأبصارهم . فقلت : واثُكل أمِّياه ! ما شأنكم تنظرون إلىّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلمّا رأيتهم يصّمتوننى . لكنى سكتّ . فلما صلى رسول الله ﷺ . فبأبى هو وأمى ! ما رأيت معلّما قبله ولابعده أحسن تعليماً منه . فو الله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى . قال : **« إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن »** (٢) .

وكان ﷺ ينكر على كل من شدّد على نفسه :

عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها . قالوا : فأين نحن من رسول الله ﷺ ، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلّى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أُفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : **« أنتم الذين**

(١) **صحيح** : خ (٢٢٠/ ٣٢٣/ ١) ، د (٣٧٦/ ٣٩/ ٢) ، ت (١٤٧/ ٩٩/ ١) .
(٢) **صحيح** : م (٥٣٧/ ٣٨١/ ١) ، د (٩١٨/ ١٩٨/ ٣) ، نس (٢٠/ ٩٥) .

قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوّج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أخبر رسول الله ﷺ أنى أقول : والله لأصومنّ النهار ، ولأقومنّ الليل ما عشتُ ، فقال رسول الله ﷺ : **« أنت الذى تقول ذلك ؟ »** فقلت له : قد قلتُه ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، قال : **فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر »** . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : **« فصم يوماً وأفطر يومين »** . قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك . قال : **« فصم يوماً وأفطر يوما ، فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام »** . قلت فإنى أطيق أفضل من ذلك . فقال رسول الله ﷺ : **« لا أفضل من ذلك »** (٢)

فيا معشر الدعاة ! يسّروا ولا تعسّروا .

الوصية الثانية : « وبشّرا ولا تنفّرا » :

أى : بشّروا الناس أن الله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفوا عن السيئات ، بلّغوا الكافرين قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾(٣)

بلغوهم قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾(٤) .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٠٦٣/ ١٠٤/ ٩) وهذا لفظه ، م(١٤٠١/ ١٠٢٠/ ٢) ، نس(٦٠/ ٦) .

(٢) **متفق عليه** : خ (١٩٧٥/ ٢١٧/ ٤)، م (١١٥٩ - ١٨٢ - / ٨١٣/ ٢)، د(٢٤١٠/ ٧٩/ ٧)، نس (٢٠٩/ ٤) .

(٣) الأنفال : ٣٨ .

(٤) الزمر : ٥٣

بلّغوهم قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)﴾ (١) .

ذكّروهم أن الإسلام يَجُبّ ما قبله ، كما في الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيّ ﷺ فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه قال : فقبضت يدي . فقال : « **مالك يا عمرو؟** » . قلت أردت أن أشترط . فقال : « **تشترط ماذا ؟** » . قلت : أن يُغفر لي . قال : «**أما علمت أن الإسلام يهدم ماكان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحجّ يهدم ماكان قبله** »(٢) .

ذكّروهم بهذا ، وبشّروهم أن كل ما عملوا من خير في الكفر فلهم أجره في الإسلام ، وكل ما عملوا من شرّ مُحيَ عنهم أثمة بالإسلام :

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ! أرأيت أموراً كنت أتحنّث بها في الجاهلية من صلاة وعتاقة وصدقة ، هل لي بها أجر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أسلمت على ما سلف لك من خير** »(٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أسلم العبد فحسُن إسلامُه ، كتب اللهُ له كلَّ حسنة كان زلفها ، ومحا عنه كل سيئة كان زلفها ، وكان عمله بعد الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها**

---

(١) الفرقان : ٦٨-٧٠ .
(٢) **صحيح** : م (١٢/١٢١/١) .
(٣) **متفق عليه** : خ (١٤٣٦/٣٠١/٣) ، م (١٢٣/١١٣/١)

إلا أن يتجاوز الله تعالى عنه »(١) .

فبشّروا ولا تنفّروا .

بشّروا عُصاة المسلمين بأن الله واسع المغفرة ، ورحمته وسعت كل شئ ، بشّروهم بأن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل .(٢)

بشّروهم بأن من استغفر اللّهَ غفر له ، ومن تاب إليه تاب عليه . بشّروهم بأن الله لا يطرد أحداً عن بابه .

بشّروهم بأنه : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ قال : لا . فقتله فأتمّ به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلَّ على عالم ، فأتاه فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ قال : نعم . ومن يحول بينك وبين الله ! انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أدركه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى . فجعلوه بينهم - أى حكما - فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيّتهما كان أدنى فهو له . فنأى بصدره جهة أهل الطاعة فكان أقرب إليها فقبضته ملائكة الرحمة »(٣) .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٣٣٣] ، نس (١٠٥و١٠٦ / ٨) .

(٢) **صحيح** : م (٢٧٥٩ / ٢١١٣ / ٤)

(٣) **متفق عليه** : خ (٣٤٧٠ / ٥١٢ / ٦) ، م (٢٧٦٦ / ٢١١٨ / ٤) .

فبشّروا عصاة المسلمين ، وقولوا لهم : إذا كانت هذه رحمة الله بمن قتل مـائة من غيرنا ، فنحن أولى وأحق برحمة الله من هذا القاتل ، لأن أمتنا خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل .

بشّروهم بقول النبى ﷺ : « **أذنب عبدٌ ذنباً ، فقـال : اللهم اغفرلى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً ، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب . فقال : أى ربِّ ، اغفرلى ذنبى. فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنباً ، فعلم أن له رباً يغـفر الذنب ، ويأخـذ بالذنب . ثم عاد فأذنب . فـقال: أى ربّ ، اغفر لى ذ نبى . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً ، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب.اعمل ما شئت فقد غفرت لك** »(١)

فبشّروا ولاتنفّروا ، ووسعوا على عباد الله ولا تتحجروا واسعا .

ولقد كان النبى ﷺ يُنكر على المنفّرين :

عن أبى مسعـود البدرىّ رضى الله عنه قال : جـاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا . فما رأيتُ رسول الله ﷺ غضب فى موعظة قط أشدّ مما غضب يومئذ ، فقال : « **يا أيهـا الناس ، إن منكم منفّـرين ، فأيّكم أمَّ الناس فليوجـز ، فإن من ورائه الكبـير والصغـير وذا الحاجة** »(٢)

وأعظم من ذلك إخباره ﷺ أن الله يعّذب الذين يقنّطون الناس من رحمته : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كان فى بنى

---

(١) **صحيح** : م (٢٧٥٨ / ٢١١٢ / ٤) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٩٠ / ١٨٦ / ١) ، م (٤٦٦ / ٣٤٠ / ١) .

إسرائيل رجلان مُتواخيان ، أحدهما مذنب ، والآخر فى العبادة مجتهد ، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر علـى ذنب ، فيقول : أقصر . فوجده يوماً على ذنب **فقال : أقصر ، فقال : خلّنى وربّى . أبُعثت علىّ رقيباً ؟! فقال له : والله لا يغفر الله لك . أو قال : لا يُدخلك الجنة . فقبض اللهُ أرواحهما ، فاجتمعا عند ربّ العالمين ، فقال الربّ تعالى للمجتهد : أكنت على ما فى يدى قادرا ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى . وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار »** قال أبو هريرة : تكلّم بكلمة أوبقت دُنياه وآخرته »[1] .

فبشّروا ولا تنفّروا .

بشّروا المستضعفين فى الأرض من المسلمين بالنصر والتمكين ، ولا تزرعوا فى نفوسهم اليأس ، فقد كان ﷺ يبشّر العصبة المؤمنة بالنصر والتمكين ، وقيام الدولة واتّساع الرقعة ، وهم تحت وطأة التعذيب .

عن خباب بن الأرتّ رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بُردةً له فى ظلّ الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصرلنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : **« قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له فى الأرض فيُجعل فيها ، ثم يُؤتى بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، مايصدّه ذلك عن دينه .والله ليتمّنّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرَمَوْت لا يخاف إلا اللّهَ والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »**[2]

---

(١) صحيح : [ص.د : ٤٠٩٧] ، د (٤٨٨٠ / ٢٤٣ / ١٣) .

(٢) صحيح : خ (٣٦١٢ / ٦١٩ / ٦) .

وكان ﷺ يقول : « **إن الله زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن مُلك أمتى سيبلغ ما زُوى له منها** »[١] .

فبشّروهم . بشّروهم بأن المستقبل لهذا الدين ، وأن هذا الإسلام ستُفتح له البيوت كلها ، كما قال ﷺ : « **ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدّين ، بعزّ عزيز ، أو بذلّ ذليل ،عزاً يعزّ الله به الإسلام ، وذلاً يذلّ اللهُ به الكفر** »[٢] .

بشّروا المتطلعين إلى عودة الخلافة الراشدة أنها عائدة ، كما قال ﷺ : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا ، فيكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت** »[٣] .

الوصية الثالثة : « وتطاوعا ولاتختلفا » :

فإن الخير كلّه فى الاتفاق ،والشرّ كله فى الاختلاف ، والاتفاق رحمة والاختلاف عذاب ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[٤]. فالمرحومون متفقون لا يختلفون،

---

(١) **صحيح** : م(٢٨٨٩/ ٢٢١٥/ ٤) ، ت(٢٢٦٧/ ٣١٩/ ٣) ، د(٤٢٣٢/ ٣٢٢/ ١١) .

(٢) **صحيح** : [س ص : ٣] وقال شيخنافى " تحذير الساجد " (١٧٣) : رواه أحمد (٤/ ١٠٣) وابن شران فى " الأمالى " (٦٠/ ١) والطبرانى فى " الكبير " (١/ ١٢٦/ ١) وابن مندة فى " كتاب الإيمان " (١٠٢/ ١) وغيرهم .

(٣) صحيح : [س .ص : ٥] ، أ (١٥/ ١٠/ ٢٣) .

(٤) هود : ١١٨و١١٩ .

وإذا اختلفوا - اختلافاً هم فيه معذورون - لا يتباغضون ، ولا يتدابـرون .

ولقد وصّى الله تعالى المؤمنين بالاتفاق ، ونهاهم عن الاختلاف ، ووصّاهم بالإجتماع ونهاهم عن التفرق ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴾[١] ثم قال : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٢] . قال ابن عباس : يوم تبيضّ وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسودّ وجوه أهل الفرقة والضلالة .[٣]

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٤] فعصوا الله ورسوله ، وتنازعوا يوم أُحد ، ففشلوا فذهب ريحهم ، وتمكن منهم عدوّهم .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾[٥] .

وكان من خبرهم أن النبى ﷺ عيّن يوم أحد فريقاً من الرماة للحراسة ، وجعل عليهم أميرا ، وأمرهم أن يصعدوا الجبل ليحموا ظهور المجاهدين ، لا يأتيهم

---

(١) آل عمران : ١٠٢ و ١٠٣ . (٢) آل عمران : ١٠٥و١٠٦ . (٣) ابن كثير (٣٩٠/ ١) .
(٤) الأنفال : ٤٥و٤٦ . (٥) آل عمران : ١٥٢ .

العدو من خلفهم ، وأمرهم أن لاينزلوا مهما كانت النتيجة .

فلما التقى الجمعان مكّن اللهُ للمجاهدين من الكافرين ، فأعملوا فيهم السيوف وأثخنوا فى الأرض ، ففرّ العدوّ هاربا ، وتبعهم المسلمون يأسرون من يُدركون ويجمعون الغنائم . فلما رأى الحراس ذلك قالوا مالنا والبقاء بعد ما انتّهى القتال وفرّ العدوّ ، وحاول الأمير أن يصبّرهم ليثبتوا كما أمروا ، ولكن دون جدوى ، فنزلوا . فلما رأى العدو أن الجبل قد خلا استدار فريق منهم فعلَوا الجبل ، وأخذوا يرمون المسلمين ، فكان ماكان وأصيب المسلمون بالقتل والجراحات ، وكان ذلك كله بسبب الاختلاف والتنازع وعدم التطاوع .

ولذلك وصّى النبى ﷺ معاذاً وأبا موسى حين بعثهما إلى اليمن قائلا : **«وتطاوعا ولا تختلفا»** ، فإن الاختلاف عموماً مذموم ، واختلاف الدعاة أشدّ ذمّا ، ذلك أنهم باختلافهم يصدّون الناس عن الهدى ، ويصرفونهم عن الحق ، لأن الناس سيقولون : انظروا إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الناس إلى الحق وهم مختلفون ، فلو كانوا على الحق ما اختلفوا عليه .

فعلى الدعاة أن يوحّدوا صفهم ، ويجتمعوا على كلمتهم ، وإذا اختلفوا فى شئ حاولوا القضاء على هذا الاختلاف بردّ الأمر إلى الكتاب والسنة ، كما أمر تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] ، حتى تجمل صورتُهم ، وتتضح دعوتهم ، فما أجمل الاتفاق والتطاوع ! وما أقبح الاختلاف والفرقة !

---

(١) النساء : ٥٩ .

نسأل الله تعالى أن يجمع شمل المسلمين ، ويوحّد كلمتهم ، ويهيئ لهم من أمرهم رشدا .

اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رُشد ، يُعزّ فيه أهل طاعتك ، ويذلّ فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر .

الحديث السادس عشر

السُّنَّةُ هي الحِصْنُ الحَصِينُ

عنْ عبد الرحمن بن عمرو السُّلَميِّ وحُجْرَ بن حُجْر قالا : أَتَيْنا العرباضَ بن سَاريةَ ، وهو ممَّن نزَل فيه : ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ... ﴾ الآيه [1] ، فَسلَّمنَا وقُلنَا : أَتَيْناكَ زائرِيْن وعَائديْن ومُقْتبِسيْن . فَقَالَ العرْباضُ : صَلَّى بنَا رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْم ، ثُمَّ أقْبلَ علينا فَوَعظَنا مَوْعظةً بليغَةً ، ذَرفَتْ منْهَا الْعُيون ، ووَجلَتْ منها القُلوب ، فَقَالَ قائلٌ : يا رسَولَ اللَّه ! كَأَنَّ هذه مَوْعظةُ مُودِّعٍ ، فمَاذَا تَعهدُ إلَيْنَا ؟ فقال : « أُوصيكُمْ بتَقْوَى اللَّه والسَّمْعِ والطَّاعة ، وإنْ عَبْداً حَبَشِّياً ، فإنَّه مَنْ يعشْ منْكُمْ بعَدى فَسيَرى اخْتلافاً كثيراً ، فَعلَيْكُم بسُنَّتى وسُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدينَ المَهْدِيِّين ، تَمسَّكُوا بها ، وعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجذ وإِيَّاكُم ومُحْدَثَات الأُمور ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةِ ضَلاَلَة » [2] .

---

(١) التوبة : ٩٢ .

(٢) **صحيح** : [ص .د : ٣٨٥١] ، د (٤٥٨٣ / ٣٥٨ / ١٢) والسياق له وروى المرفوع فقط : ت (٢٨١٦ / ١٤٩ / ٤) ، جه (٤٢ / ١٥ / ١) .

قوله : « وهو ممن نزل فيه : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ .... ﴾ ، نزلت هذه الآية وما قبلها فى حق فقراء المسلمين الذين عجزوا عن تجهيز أنفسهم للخروج إلى تبوك ، ولم يجد النبيُّ ﷺ ما يساعدهم به على التجهيز ، وكانت هذه الغزوة فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة ، وكانت فى زمن عُسرة من الناس ، وجدْب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون شخوصهم على تلك الحال . وكان ﷺ قلّما يخرج فى غزوة إلا كنّى عنها وورّى بغيرها ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، لبُعد الشقة وشدّة الزمان .(١)

وأخذ ﷺ يحث على الجهاز ، ويرغّب الأغنياء فى تجهيز الفقراء ، وجاء البكاءون وهم سبعة ، منهم العرباض ، يسألون رسول الله ﷺ أن يحملهم ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولّوا وأعينهم تذرف الدمع على عجزهم عن تجهيز أنفسهم .

وخرج ﷺ والمسلمون ، وتخلف الذين لايجدون ما ينفقون ، حتى إذا رجع ﷺ قال لمن معه : « **إن أقواماً بالمدينة خَلْفَنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه ، حبسهم العذر** »(٢) . وفيهم نزل قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .(٣)

---

(١) زاد المعاد : (٣ / ٥٢٦) .
(٢) **صحيح** : خ (٢٨٣٩ / ٤٦ / ٦) .
(٣) التوبة : ٩١و٩٢ .

قال عبد الرحمن وحُجر : « فسلّمنا » أى لما دخلا على العرباض ، لأمر الله عز وجل بذلك ، حيث قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (٢) ، فلما سلّما قالا للعرباض : أتيناك زائريْن وعائديْن ومقتبسيْن : فيه إشارة إلى استحباب زيارة أهل الخير ومجالستهم والاستفادة منهم ، ولقد كان ﷺ يحث على الزيارة والعيادة فيقول : **« من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ، ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا »** (٣)

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبّتى للمتحابّين فىّ،والمتجالسين فىّ ،والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فىّ »** (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : **« إن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته مَلَكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ،قال : هل لك عليه من نعمة تربّها ؟ قال: لا ، غير أنى أحببته فى الله . قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه »** (٥) .

---

(١) النور : ٢٧ .
(٢) النور : ٦١ .
(٣) **حسن** : [ص . جه : ١١٨٤] ، ت(٢٠٧٦/ ٢٤٦/ ٣)، جه (١٤٤٣/ ٤٦٤/ ١) .
(٤) **صحيح** : [ص. ج:٤٢٠٧]، ما(١٧٣٥/ ٦٨٠)، أ(٣٢/ ١٥٧/ ١٩)، كم(١٦٩/ ٤) .
(٥) **صحيح** : م (٢٥٦٧/ ١٩٨٨/ ٤) .

فتزاوروا يا عباد الله فى الله ولله ، ، أحْيوا هذه السنة العظيمة سنّة التزاور فى الله ، على غير أرحام ولا أنساب ، ولا مصالح دنيوية ، فإن التزاور اليوم أكثره للمصلحة فإذا انتهت انتهى التزاور .

وقولهما : ومقتبسَيْن : الاقتباس فى الأصل أخذ القبس من النار ، والمراد به هنا الأخذ من العلم والأدب .

وفى هذا دليل على استحباب قصد العلماء فى بيوتهم للأخذ عنهم والاستفادة من علمهم وأدبهم .

ولقد حضّ الله تعالى على الخروج فى طلب العلم والتفقه فى الدين فقال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ (١).

وكان النبى ﷺ يحث على ذلك ويرغب فيه فيقول : **« من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم »** (٢).

ولذلك كانت الرحلة فى طلب العلم دأب الأولين ، وكانوا يركبون الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد ، حتى قال الشعبىّ : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع . (٣)

ونحن نرى فى المسلمين اليوم رغبة عن العلم ، وإعراضاً عن الفقه ، وزهداً

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) صحيح : [ص. د:٣٠٩٦] ، ت (٢٨٢٣ / ١٥٣ / ٤) ، د (٣٦٢٤ / ٧٢ / ١٠) ، جه (٢٢٣/١١/١)

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٩٥ / ١) .

فيه ، وهو بين أيديهم ، لايكلفهم شيئا ، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على الجهل العظيم بقيمة العلم ، ولو أنهم علموا أن تعلّم العلم عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد (١)، لحرصوا على مجالس العلم .

ولو أنهم سمعوا قول النبى ﷺ : « **وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله تعالى ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** »(٢) . لحرصوا على مجالس العلم ولو أنهم علموا أن خروجهم من المسجد وتركهم الجلوس فى حلقة العلم بلا عذر إعراض عن الله عزوجل لما أعرضوا عن حلقات العلم أبدا :

عن أبى وا قد أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحى فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه** »(٣) .

فينبغى لكل من مرّ على حلقة علم أن يأوى إليها وأن يحرص عليها ، وألا يتركها إلا لعذر ، فقد قال ﷺ : «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا** » . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : « **حِلَقُ الذِّكر** » (٤) ، أى مجالس العلم ، مجالس الحلال

(١) من كلام معاذ بن جبل ، ويروى مرفوعا ولا يصح . انظر " جامع بيان العلم وفضله " (٥٤/١).

(٢) **صحيح** : م (٢٦٩٩/ ٢٠٧٤/ ٤) ، ت (٤٠١٥/٢٦٥/ ٤) .

(٣) **متفق عليه** : خ(٦٦/١٥٦/ ١)، م(٢١٧٦/ ١٧١٣/ ٤)، ت(٢٨٦٨/ ١٧١/ ٤) .

(٤) **حسن** : [س . ص : ٢٥٦٢] ، ت (٣٥٧٧/ ١٩٤/ ٥) .

والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وتحج وأشباه ذلك . قاله عطاء [(١)]

فلما أخبرا العرباض بما جاءا له قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب :

الموعظة عبارة عن الأمر والنهى ، الأمر بالخير مع بيان فضائله ترغيباً فيه ، والنهى عن الشرّ مع بيان ضرره تحذيراً منه ، فهى أمر ونهى ، ترغيب وترهيب ، وعدٌ ووعيد ، وكل مواعظه ﷺ بليغة ، لأنه خُصَّ بجوامع الكلم ، فالكلمة الواحدة منه ﷺ تُشرح من غيره فى خُطب ومحاضرات ، وقد قالوا : البلاغة الإيجاز ، ولكن العرباض خصّ هذه الموعظة بالبلاغة لما اختصت به من القوة ، وإن كانت كل مواعظه ﷺ بليغة .

وقوله : ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، أراد أنهم لما سمعوا هذه الموعظة تأثّروا بها تأثّراً ، حتى دخل الخوف قلوبهم ، وسال الدمع من عيونهم ، وهكذا كانوا رضى الله عنهم دائما ، كلما سمعوا منه ﷺ موعظة :

عن أنس رضى الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : **« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »** . قال : فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين [(٢)] (والخنين هو صوت البكاء) . فقال رجلٌ : يا رسول الله : كأن هذه موعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ . فهم ذاك أن تلك الموعظة موعظة مودع مما سمعه من مبالغته ﷺ فيها ، أكثر من غيرها ،

---

(١) الأذكار للنووى (ص ٩) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٤٦٢١ / ٢٨٠ / ٨) ، م (٢٣٥٩ / ١٨٣٢ / ٤) .

لأن المودع يحرص على الوصية ويبالغ فيها أكثر من غيرها فلما بالغ ﷺ فى هذه الموعظة فهم ذلك الرجل أنها وصية مودع ، فقال : فماذا تعهد إلينا ؟ أى فبماذا توصينا ؟

الوصية الأولى : فقال ﷺ : « أوصيكم بتقوى الله » :

إنما وصاهم أولاً بتقوى الله لأنها وصية الله للأولين والآخرين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾(١) .

وكانت عادته ﷺ أن يوصيهم بها فى المحافل العامة والمجامع العظيمة ، كما كان يوصى بها الخاصة أيضا ، لأن تقوى الله هى سبب النجاة فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۞ ﴾(٣) .

وتقوى الله هى سبب الفلاح والنجاح والفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ ﴾(٥) .

«وجماع التقوى القيام بالواجبات وترك المحرمات ، كما قال طلق بن حبيب :

---

(١) النساء : ١٣١ .
(٢) الزمر : ٦٠و٦١
(٣) مريم ٧١و٧٢ .
(٤) آل عمران : ٢٠٠ .
(٥) النور : ٥٢ .

التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله . ، وقال الآخر :

خــلّ الذنوب صــغيرها وكبيرهـــا ذاك التقــى
واصـــنع كماشٍ فوق أرض الشـــوك يحذر ما يرى
لا تحقــرنّ صــغـيرة إن الجبـــال من الحصــــى [(١)]

الوصية الثانية : « والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا » :

أى عليكم بالسمع والطاعة لمن ولأه الله أمركم ، حتى لو تسلط عبد حبشى على الإمارة ، وتولأها على كراهية منكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، ولاتنازعوه الأمر ، فإن فى منازعته الأمر مافيه من الفساد الذى يؤدى إلى إزهاق الأرواح وسفك الدماء ، وسلب الأموال ، وانتهاك الأعراض ، وإشاعة الفوضى والاضطراب ، بينما فى طاعة الأمير صيانة الأرواح ، والأعراض والأموال ، واستتباب الأمن واستقرار الأمان ، ولذلك كثرت وصاياه ﷺ بطاعة أولى الأمر ، منها قوله ﷺ : **« من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى »**[(٢)] .

وقوله ﷺ : **« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ أو كره ، إلا أن يؤمره بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »**[(٣)] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٣٨) .
(٢) **متفق عليه** : خ(٧١٣٧/ ١١١/ ١٣) ، م (١٨٣٥ / ١٤٦٦ / ٣) ، نس(٧/١٥٤)، جه (٢٨٥٩ / ٩٥٤ / ٢) .
(٣) **متفق عليه** : خ(٧١٤٤ / ١٢١/ ١٣)، م(١٨٣٩/ ١٤٦٩/ ٣) ،ت(١٧٥٩/ ١٢٥/ ٣)، د(٢٦٠٩ / ٢٩٠ / ٧)، نس (١٦٠ / ٧) ، جه (٢٨٦٤ / ٩٥٦ / ٢) .

وقوله ﷺ : « **عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ،ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك** »[١] .

ولذلك اتفقت كلمة الأئمة الأعلام على طاعة الأمراء وعدم الخروج عليهم مهما ظلموا ، فقال الإمام الطحاوى - رحمه الله - :

« ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعوا عليهم ، ولاننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة مالم يأمروا بمعصية »[٢] .

الوصية الثالثة : « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضّوا عليها بالنواجذ » :

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وفرض علينا طاعته واتباعه وقبول ما جاء به ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[٣] .

وقد جعل طاعته طاعة له ، فقال : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[٤] .

وجعل اتباعه عنوان محبته ، فقال : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾[٥]

وجعل طاعته واتباعه من موجبات الهداية فقال : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾[٦] وقال : ﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (١٥٨) ﴾[٧] .

---

(١) **صحيح** : م (١٨٣٦ / ١٤٦٧ / ٣) ، نس (١٤٠ / ٧) .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤٢٨) .
(٣) الحشر : ٧ .
(٤) النساء : ٨٠ .
(٥) آل عمران : ٣١ .
(٦) النور : ٥٤ .
(٧) الأعراف : ١٥٨ .

ولذلك قال الإمام الجنيد - رحمه الله - : إن الله تعالى قال لنبيّه : وعزتى وجلالى ، لو أتونى من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، ما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك .(١) .

فالسنّة هى حصن الله الحصين ، الذى من دخله كان من الآمنين ، وهى الباب الأعظم الذى من دخله كان إليه من الواصلين ، ولا سبيل للوصول من غير طريق الرسول ولذلك وصى ﷺ باتباعه شفقةً منه على أمته ، فقال ﷺ : « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى** » . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ! قال : « **من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** »(٢) .

وقال ﷺ : « **مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهنّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى** »(٣)

وقوله ﷺ : « **فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً** » عَلَمٌ من أعلام نبوته ، حيث أخبر عن الاختلاف قبل وقوعه ، ثم وقع كما أخبر ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾(٤) .

وقد ابتلينا فى هذا الزمان بكثرة الاختلاف وشدّة الفرقة ، كما أخبر ﷺ ، ولا مخرج لنا من هذا الاختلاف إلا بالتمسك بسنته ﷺ كما وصى ، « **فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين** » والتوصية بسنة الخلفاء إنما هو تأكيد معنوى للتوصية بسنته ﷺ لأن الخلفاء الراشدين المهديين لايمكن أن تكون لهم سنة إلا سنته ﷺ كيف وقد شهد لهم بالرشد والهداية ؟

---

(١) طريق الهجرتين (١١). (٢) **صحيح** : خ (٧٢٨٠/ ٢٤٩/ ١٣) .
(٣) **صحيح** : م (٢٢٨٥/ ١٧٩٠/ ٤) . (٤) النجم : ٣و٤ .

وهل يكون الرشد والهداية إلا فى اتباعه ﷺ وطاعته !

وقوله ﷺ : « **عضّوا عليها بالنواجذ** » : النواجذ هى الأضراس التى بعد الناب، وهذا مثل فى شدة الاستمساك بالأمر ، لأن العض بالنواجذ عضّ بمعظم الأسنان التى قبلها والتى بعدها ، والمراد استمسكوا بالسنة لا تفوتنكم ولاتخالفوها .

الوصية الرابعة : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلال » :

هذا تحذير منه ﷺ لأمته من الوقوع فيما ليس من سنته ، والبدعة طريقة فى الدين مخترعة ، تضاهى الطريقة الشرعية ، يقصد بها التقرب إلى الله تعالى (١) كمن يبتدع صلاة معيّنة ، بكمٍّ معين ، وكيف معين ، فى ليلة معينة ، كأن يقول : صلّوا أولَ ليلة من رجب اثنى عشر ركعة اقرءوا فى كل ركعة كذا وكذا .

وكمن يبتدع صيغة معينة للصلاة على النبى ﷺ ويزعم أن لها من الأجر كذا وكذا .

فكل هذه البدع بدع ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، أى هى وصاحبها ، لأن هذا المبتدع لا يخلو من أمور ثلاثة :

فإما أن يكون نصب نفسه مشرّعاً مع الله ، والله تعالى يقول : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾(٢) .

وإما أن يكون رأى فى الدين نقصاً فأراد أن يتمه بهذه البدعة ، والله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(٣) .

---

(١) الإبداع فى مضار الابتداع (٢٦) . (٢) الشورى : ٢١ . (٣) المائدة : ٣ .

وإما أن يكون ظن أن النبى ﷺ لم يبلّغ ما أمره الله به ، فهو يرى بدعته خيراً يقرّب من الله لم يرشد النبى ﷺ أمته إليه فهو يرشد إليه - زعم - ، والسيدة عائشة رضى الله عنها تقول : من زعم أن محمداً قد كتم شيئاً مما أمره الله بتبليغه فقد كذب ، لأن الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(١) .

وكل واحد من هذه الثلاثة كاف لإهلاك صاحبه ، فكيف بها مجتمعة ؟! فاتبعوا عباد الله ولا تبتدعوا ، اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . إن الله تعالى لم يتوفَّ نبيه حتى أنزل عليه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(٢) .

والنبى ﷺ يقول : « **تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك** »(٣) .

وما ترك ﷺ شيئاً يقربكم من الله والجنة إلا أرشدكم إليه ، وما ترك شيئاً يقربكم من النار إلا حذركم منه ، فعليكم بالسنة فهى طريق الوصول إلى دار السلام ، وإياكم والبدعة فهى طريق الوصول إلى دار البوار .

ومن الجدير بالذكر - إزالة لما يحدث فى الأفهام من لبسَ ، أن البدعة كما عرّفناها ما أُحدث فى الدين ، فلا يدخل فيما قلناه ما أُحدث فى الدنيا ، لكن محدثات الدنيا نوعان نافعة وضارة ، فنافعها محمود ، والضار منها مذموم .

---

(١) المائدة : ٦٧ : خ(٤٦١٢/ ٢٧٥/ ٨)، م(١٧٧/ ١٥٩/ ١)، ت(٥٠٦٣/ ٣٢٨/ ٤) .
(٢) المائدة : ٣ .
(٣) **صحيح** : [ص . جه : ٤١] ، جه (٤٣/ ١٦/ ١) .

الحديث السابع عشر

الاستعانة بالله

عنْ مُعاذ بن جَبَل رضيَ اللَّهُ عنهُ قال : أخذَ رسُولُ اللَّه ﷺ يوماً بيدى فقالَ لى : « يا مُعَاذُ واللَّه إنِّى لَأُحبُّك » . فقُلتُ : بأبى أنتَ وأمِّى ، واللَّه إنِّى لأُحبُّك . قال : « يَا مُعاذُ إنِّى أُوصِيك ، لاتَدعنَّ أنْ تقُولَ دُبرَ كلِّ صَلاةٍ : اللَّهُمَّ أَعنِّى علَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبَادَتِك »[1].

فى قوله ﷺ : « **والله إنى لأحبك** » فوائد :

الأولى : جواز الحلف من غير استحلاف ، لتأكيد الكلام وإقناع السامع .

الثانية : إعلام المحبوب بحبه ، وبذلك وصّى النبى ﷺ فقال : « **إذا أحب الرجلُ أخاه فليخبره أنه يحبّه** »[2].

وعن أنس رضى الله عنه : « أن رجلاً كان عند النبى ﷺ فمرّ رجلٌ به ، فقال يا رسول الله ! إنى لأحبّ هذا . فقال له رسول الله ﷺ : « **أأعلمته ؟** » . فقال : لا . فقال : « **أعلمه** ». فلحقه الرجل فقال : إنى أحبّك فى الله . فقال : أحبّك الله الذى أحببتنى فيه »[3] .

---

(١) صحيح : [ص. جه :٧٩٦٩]،أ(٧٧٤/ ٥٤/ ٤)،د(١٥٠٨/ ٣٨٤/ ٤)،نس(٥٣/ ٣) .

(٢) صحيح : [ص.د: ٤٢٧٣] ، د(٥١٠٢ / ٢٩ / ١٤)، ت(٢٥٠٢ / ٢٥ / ٤) .

(٣) حسن : [ص.د : ٤٢٧٤] ،د(٥١٠٣ / ٣٢ / ١٤) .

والحب فى الله أمرٌ عظيم فى الإسلام ، بل هو أساس الإيمان ، كما قال ﷺ : **« والذى نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ، أوَلا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »**(١) .

وقال النبى ﷺ : **« أوثق عُرى الإيمان الحبّ فى الله والبغض فى الله »**(٢) .

وقال ﷺ : **« من أحبّ فى الله ، وأبغض فى الله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان »**(٣) .

والحبّ فى الله يرفع الدرجات ، كما قال ﷺ : **« قال الله عزّ وجل المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء »**(٤) .

الثالثة : فى هذا القول منه ﷺ منقبة عظيمة لمعاذ رضى الله عنه ، حيث حلف له رسول الله ﷺ بالله أنه يحبه ، وإذا كانت محبة الصالحين عنوان محبة ربّ العالمين ، فما بالك بمحبة سيد النبيين والمرسلين ﷺ ، ومناقب معاذ رضى الله عنه كثيرة .

قال ﷺ : **« يا معاذ والله إنى لأحبك »** فقال معاذ : بأبى أنت وأمى ، والله إنى لأحبك :

وحبّه ﷺ فرض عين ، ولا يصلح إيمان العبد إلا به ، كما قال ﷺ : **« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين »**(٥)

---

(١) **صحيح** : م (٥٤ / ٧٤ / ١) ، د (٥١٧١ / ١٠٠ / ١٤) ، ت (٢٨٢٩ / ١٥٦ / ٤) ، جه (٦٨ / ٢٦ / ١) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ٢٥٣٦] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (١٧٢٨) .

(٣) **صحيح** : [ص . د : ٣٩١٥] ، د (٤٦٥٥ / ٤٣٨ / ١٢) .

(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٤١٨٨] ، ت(٢٤٩٩ / ٢٤ / ٤) .

(٥) **متفق عليه** : خ(١٥ / ٥٨ / ١) ، م(٤٤-٧٠- / ٦٧ / ١) ، جه(٦٧ / ٢٦ / ١) ، نس(١١٤ / ٨) .

والله سبحانه يهدّد من قدّم حبّ شئ على حبّ الله ورسوله ، فيقول : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾(١) .

قال القاضي عياض : ومن محبته ﷺ نُصرة سنته ، والذبّ عن شريعته وتمنّى حضور حياته ، فيبذل ماله ونفسه دونه ، فإن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدره ﷺ ومنزلتــه على كل والد وولد ، ومحسن ومتفضّل ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن أ هـ(٢) .

ولقد حكم الله تعالى بالفلاح لأتباع نبيّــه وأنصــار سـنته ، فقال تعالـى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾(٣)

قال ﷺ : « **يا معاذ ! إنى أوصيك ، لاتدعنّ أن تقول دُبر كل صلاة : اللهم أعنّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »

وهذه وصية عظيمة اشتملت على خير الدنيا والآخرة .

أما الاستعانة بالله فهى قرينة العبادة ، حيث قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾(٤) ، فكما يجب على المكلف أن يعبد الله ، يجب عليه أن يستعين بالله على القيام بعبادته ، فإن الإنسان ليس له من نفسه إلا الخذلان ، والسعيد من اعترف بعجزه ، واعترف لله بقدرته ، واعترف بضعفه واعترف لله بقوته ، وعلم أنه لا حول له ولا قوة ، وإنما الحول والقوة لله جميعا ، فلا تحوّل لأحد عن

---

(١) التوبة : ٢٤ .
(٢) مسلم بشرح النووى (١٦/ ٢) .
(٣) الأعراف : ١٥٧ .
(٤) الفاتحة : ٥ .

معصية إلا الله بقدرة الله ، ولا قوّة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وقول العبد « اللهم أعنى » فيه الاعتراف الكامل بهذه المعانى كلها .

والنبى ﷺ يوصى معاذاً أن يطلب العون من الله على ثلاثة أمور : ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته .

أما الذكر فقد أمر الله به فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾(١) ، وحذّر من الغفلة والنسيان فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(٢) .

وبيّن أن كثرة الذكر سبب الفلاح ، وأن الغفلة والنسيان سبب الخسران ، فقال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٤) .

وبيّن سبحانه أن كثرة ذكره من موجبات مغفرته ، فقال : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (٥) .

ووعد سبحانه الذاكرين بذكرهم ، فقال : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(٦) .

قال بعض أهل العلم : فاذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى (٧) .

وتوّعد أهل الغفلة والنسيان بنسيانهم ، فقال : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٨) ، أى : غفلوا عن ذكره ، وتركوا طاعته ، فتركهم من فضله ورحمته .

---

(١) الأحزاب : ٤١ . (٢) المنافقون : ٩ . (٣) الأنفال : ٤٥ .
(٤) المنافقون : ٩ . (٥) الأحزاب : ٣٥. (٦) البقرة : ١٥٢ .
(٧) تفسير القرطبى (٢/١٧١) . (٨) التوبة : ٦٧ .

ولقد كان النبيّ ﷺ يحث على ذكر الله ، ويرغّب فيه ، ببيان فضله وفضل أهله ، فكان يقول : « **سبق المفرّدون** » . قالوا : وما المفرّدون يا رســـول الله ؟ قال: « **الذاكرون الله كثيراً والذاكرات** » [(١)]

وقال ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا عند ظنّ عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** »؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : «**ذكر الله تعالى**»[(٣)] .

وقال ﷺ : « **مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحىّ والميت** »[(٤)] .

فبذكر الله تحيا القلوب ، وبنسيانه تموت ، وبذكر الله تطمئن القلوب ، وبنسيانه تقلق وتنزعج ، فإن فى الإنسان ثغرات ، لكل ثغرة سُدّة ، فالجوع ثغرة، سُدتها الطعام والظمأ ثغرة سُدّتها الشراب ، والفرج ثغرة ، سُدّتها النكاح، وفى القلب ثغرة لا يسُدّها إلا ذكر الله عز وجل ، فإن سُدّت به وإلا عاش الإنسان فى قلق وضجر ، ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾[(٥)].

---

(١) **صحيح** : م (٢٦٧٦/ ٢٠٦٢/ ٤) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٧٤٠٥/ ٣٨٤/ ١٣) ، م (٢٦٧٥/ ٢٠٦١ / ٤)، ت(٣٦٧٣/ ٢٣٨/ ٥)، جه (٣٨٢٢/ ١٢٥٥ / ٢) .

(٣) **صحيح** : [ص .جه: ٣٠٥٧]، جه(٣٧٩٠/ ١٢٤٥/ ٢)، ت(٣٤٣٧/ ١٢٧ / ٥)

(٤) **صحيح** : خ (٦٤٠٧/ ٢٠٨/ ١١) .

(٥) الروم : ٦.

قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربَ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ﴾[(١)] .

وفضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير ، ونحو ذلك ، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكرٌ لله تعالى ، كذا قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء [(٢)] . وقال عطاء مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ؟ وتصلى وتصوم ؟ وتنكح وتطلّق ، هكذا .[(٣)]

وقد سئل الشيخ ابن الصلاح عن القدْر الذى يصير به الرجلُ من الذاكرين الله كثيرا ، فقال : إذا واظب على الأذكار المثبتة صباحاً ومساءً ، فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً ، كان من الذاكرين الله كثيرا [(٤)] .

وبناءً على هذا الجواب ، ومن باب التعاون على البرّ والتقوى ، نذكر إخواننا ببعض الأذكار الصحيحة المثبتة ، حتى يواظبوا عليها فيكونوا من الذاكرين الله كثيرا :

يستحب للمسلم إذا استيقظ من نومه أن يقول : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .[(٥)]

الحمد لله الذى ردّ علىّ روحى ، وعافانى فى جسدى ، وأذن لى بذكره [(٦)] .

---

(١) طه : ١٢٤ - ١٢٧ .　　(٢، ٣) الأذكار للنووى (ص٩)

(٤) المصدر السابق (ص ١٠)

(٥) **صحيح** : خ(٦٣١٢/١١٣/١١)، ت(٣٤٧٧/١٤٦/٥)، د(٥٠٢٨/ ٣٩١/ ١٣) .

(٦) **حسن** : [ص .ج : ٣٣٦]، ت(٣٤٦١/١٣٩/ ٥) .

فإذا أراد دخول الخلاء قَدّم رجْلَه اليُسرى وقال :

بسم الله ، اللهم إنى أعوذ بكَ من الخُبث والخبائث .(١)

فإذا خرج قدّم رجله اليمنى وقال : غُفْرانك .(٢)

فإذا توضأ قال : بسم الله (٣) .

فإذا فرغ من وضوئه قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (٤)، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهّرين (٥) ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لاإله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .(٦)

فإذا خرج إلى المسجد قال : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٧) ،اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى لسانى نورا ، ، واجعل فى سمعى نورا ، واجعل فى بصرى نورا ، واجعل من خلفى نورا ، ومن أمامى نورا ، واجعل من فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، اللهم اعطنى نورا .(٨)

---

(١) **صحيح** : [ص. ج : ٣٦١١] ، ت(٦٠٣ / ٥٩ / ٢) ، جه (٢٩٧ / ١/١٠٩) .

(١) **متفق عليه** : خ (١٤٢/ ٢٤٢ / ١) ، م(٣٧٥ / ٢٨٣ / ١)، د (٤ / ٢١ / ١) ، جه (٢٩٨ / ١٠٩ / ١) ، ت (٦ / ١/٧) ، نس (٢٠ / ١) .

(٢) **صحيح** : [ص. ج: ٤٧١٤]، د(٣٠ / ٥٢ / ١) ، ت(١/٧/٧) ،جه (٣٠٠/ ١/١١٠)

(٣) **حسن** : [ص جه ٣٢٠] ، جه(٣٩٩/ ١/١٤٠) ، د(١٠١/ ١٧٤ / ١) .

(٤) **صحيح** : م (٢٣٤ / ١/٢٠٩) .

(٥) **صحيح** : [ص. ت :٤٨] ، ت (٥٥ / ١/٣٨) .

(٦) **صحيح** : [ص . ت: ٢٢٠] ، كم (١/٥٦٤) .

(٧) **صحيح** : [ص. د: ٤٢٤٩] ،ت(٣٤٨٦/ ٥/١٥٤) ، د (٥٠٧٣ / ٤٣٧/ ١٣).

(٨) **صحيح** : م (٧٦٣-١٩١-/ ١/٥٣٠) ، د(١٣٤٠ / ٢٣٠ / ٤) .

فإذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال :

أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم (١) . بسم الله . اللهم صلّ على محمد وسلّم ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك (٢) .

فإذا صلّى الصبح قال عقب انصرافه من الصلاة :

أستغفر الله – أستغفر الله – أستغفر الله (٣) .

اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام . (٣)

ربّ قني عذابك يوم تبعث عبادك . (٤)

اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . (٥)

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون (٦) .

لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير . اللهم لامانع لما أعطيت ، ولامُعطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ . (٧)

---

(١) **صحيح** : [ص . د : ٤٤١] ، د (٤٦٢ / ١٣٢ / ٢) .

(٢) **صحيح** : [ص . جه : ٦٢٥] ، جه (٧٧١ / ٢٥٣ / ١) ، ت(٣١٣ / ١٩٧ / ١) .

(٣) **صحيح** : م (٥٩١ / ٤١٤ / ١) ، ت(٢٩٩ / ١٨٤ / ١) ، د (١٤٩٩ / ٣٧٧ / ٤) ، جه (٩٢٨ / ٣٠٠ / ١) ، نس (٦٨ / ٣) .

(٤) **صحيح** : م (٧٠٩ / ٤٩٢ / ١) .

(٥) **صحيح** : [ص ج : ٧٩٦٩] ، د(١٥٠٨ / ٣٨٤ / ٤) ، نس (٥٣ / ٣) .

(٦) **صحيح** : م (٥٩٤ / ٤١٥ / ١) ، د(١٤٩٣ / ٣٧٢ / ٤) ، نس (٧٠ / ٣) .

(٧) **متفق عليه** : خ (٨٤٤ / ٣٢٥ / ٢) ، م(٥٩٣ / ٤١٤ / ١) ، د(١٤٩١ / ٣٧١ / ٤) .

ثم يقرأ : آية الكرسيّ [١] ، والإخلاص [١] ، والمعوذتين [٢] .

ثم يقول : سبحان الله ثلاثاً وثلاثين ، الحمد لله ثلاثاً وثلاثين ، الله أكبر ثلاثاً وثلاثين . ثم يقول تمام المائة :

لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير [٣] .

فإذا جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس كما رغّب النبى ﷺ فى ذلك بقوله **« من صلّى الفجر فى جماعة ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلّى ركعتين ، كتبت له كأجر حجة وعُمرة تامّة تامّة تامّة »**[٤] .

فإذا جلس فى مصّلاه ، أو خرج لحاجته ، فعليه أن يأتى بأذكار الصباح .

أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا هو ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، ربّ أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شرّ ما فى هذا اليوم وشرّ ما بعده ، ربّ أعوذ بك من الكسل وسوءالكبر ، ربّ أعوذ بك من عذاب فى القبر وعذاب فى النار . [٥]

أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبيّنا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . [٦] .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٦٤٦٤] ، طب (٧٥٣٢/ ١٣٤ / ٨) .

(٢) **صحيح** : [ص . نس : ١٢٦٨] ، نس (٦٨ / ٣) ، د(١٥٠٩/ ٣٨٥ / ٤) .

(٣) **صحيح** : م (٥٩٧ / ٤١٨ / ١) .

(٤) **صحيح** : [ص. ج : ٦٢٢٢] ، ت(٥٨٣ / ٥٠ / ٢) .

(٥) **صحيح** : م (٢٧٢٣-٧٤و٧٥-/٢٠٨٨و٢٠٨١ / ٤) ، ت(٣٤٥٠ / ١٣٣ / ٥) ، د(٥٠٥٠ / ٤٠٩ / ١٣) .

(٦) **صحيح** : [ص . ج : ٤٥٥٠] ، أ(٩٦/ ٢٣٨/ ١٤) ، مى (٢٦٩١/ ٢٠٢ / ٢) .

اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور[(١)]

اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى ، واحفظنى من بيْن يدىّ ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، اللهم إنى أعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتى [(٢)] .

اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، ربّ كل شئ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شرّ نفسى ، وشرّ الشيطان وشركه .[(٣)]

بسم الله الذى لا يضرّ مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم - ثلاثا . [(٤)]

أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق - ثلاثا فى المساء فقط - [(٥)] ثم يقرأ الإخلاص والمعوذتين - ثلاثا - [(٦)]

---

(١) **صحيح** : [ص . جـه : ٣١١٩] ، جـه(٣٨٦٨/ ١٢٧٢/ ٢)، د(٥٠٤٧/ ٤٠٦/ ١٣) ، ت(٣٤٥١/ ١٣٤/ ٥) .

(٢) **صحيح** : [ص . د : ٤٢٣٩] ، د(٥٠٥٣/ ٤١٤/ ١٣)، جه(٣٨٧١/ ١٢٧٣/ ٢) .

(٣) **صحيح** : [ص . د : ٤٢٣٥] ، د(٥٠٤٦/ ٤٠٦/ ١٣) ، ت(٣٤٥٢/ ١٣٤/ ٥) .

(٤) **صحيح** : [ص. د : ٤٢٤٤] ، د(٥٠٦٦/ ٤٣١/ ١٣) ، ت(٣٤٤٨/ ١٣٢/ ٥) ، جه(٣٨٦٩/ ١٢٧٣/ ٢) .

(٥) **صحيح** : م(٢٧٠٩/ ٢٠٨١/ ٤) ، د (٣٨٨٠/ ٣٩٢/ ١٠) ، ت (٣٦٧٥/ ٢٣٩/ ٠) ، جه(٣٥١٨/ ١١٦٢/ ٢) .

(٦) **حسن** : [ص. د: ٤٢٤١] ، د(٥٠٦١/ ٤٢٧/ ١٣)، ت(٣٦٤٦/ ٢٢٧/ ٥) .

اللهم أنت ربّى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلى أنت (١) .

سبحان الله العظيم وبحمده ، عدد خلقه ، ومداد كلماته ، ورضا نفسه ، وزنة عرشة (ثلاثا)(٢) .

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العزيز الحكيم . اللهم اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وارزقنى وعافنى (٣) .

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شئ قدير - عشر مرات (٤)

الصلاة على النبى ﷺ - عشر مرات - (٥)

سبحان الله العظيم وبحمده - مائة مرة - (٦)

فإن قالها فى المسجد ، وانتظر حتى ارتفعت الشمس ، صلى ركعتين ثم خرج ، ويقدّم رجله اليسرى فى الخروج ويقول :

---

(١) **صحيح** : خ(٣٦٠٦/ ٩٧/ ١١)، ت(٣٤٥٣/ ١٣٥/ ٥)، نس (٢٧٩ / ٨) .

(٢) **صحيح** : م (٢٧٢٦/ ٢٠٩٠/ ٤) ، ت (٣٦٢٦/ ٢١٦/ ٥) ، د (١٤٨٩/ ٣٦٩/ ٤) ، جه (٣٨٠٨/ ٢٥١/ ٢) ، نس (٧٧/ ٤) .

(٣) **صحيح** : م (٢٦٩٦/ ٢٠٧٢/ ٤) .

(٤) **متفق عليه** : خ(٦٠٤٠٤/ ٢٠١/ ١١)، م(٢٦٩٣/ ٢٠٧١/ ٤)، ت(٣٦٢٤/ ٢١٥/ ٥) .

(٥) **حسن** : [ص . ج : ٦٢٣٣] وعزاه السيوطى للطبرانى

(٦) **متفق عليه** : خ(٦٤٠٥/ ٢٠٦/ ١١)، م(٢٦٩٢/ ٢٠٧١/ ٤)، د(٥٠٦٩/ ٤٣٥/ ١٣)، جه (٣٨١٢/ ١٢٥٣/ ٢) .

بسم الله ، اللهم صلّ على محمد وسلم ، اللهم افتح لى أبواب فضلك .(١)

ويستحب له أن يظلّ نهاره ذاكرا ، مسبّحا حامدا ، مهللاً مكبرا ، مصلياً على النبى ﷺ ، مستغفرا .

فإذا كان قبل المغرب تفرغ لأذكار المساء ، وهى نفسها أذكار الصباح ، إلاأنه يقول فى المساء : أمسينا وأمسى الملك لله ، بدلاً من : أصبحنا ، ويقول : وإليه المصير ، بدلاً من : وإليه النشور . فإذا صلى العشاء عجّل بالانقلاب إلى أهله حتى لا يرتكب فى السهر مايحبط عمله بالنهار .

فإذا أوى إلى فراشه توضأ وضوءه للصلاة (٢) ثم قال :

باسمك الله أحيا وأموت .(٣)

باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .(٤)

اللهمّ قنى عذاب يوم تبعث عبادك - ثلاث مرات -(٥)

الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى (٦) .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، ربَّ كل شئ ومليكه ،

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٦٢٥] ، جه (٧٧١/ ٢٥٣/ ١) ، ت (٣١٣/ ١٩٧/ ١) .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٣١١/ ١٢٠٩/ ١١)، م(٢٧١٠/ ٢٠٨١/ ٤)، د(٥٠٢٥/ ٣٨٨/ ١٣) .

(٣) **صحيح** : خ(٦٣١٢/ ١١٣/ ١١)، ت(٣٤٧٧/ ١٤٦/ ٥)، د(٥٠٢٨/ ٣٩١/ ١٣)

(٤) **متفق عليه** : خ (٦٣٢٠/ ١٢٥/ ١١)، م(٢٧١٤/ ٢٠٨٤/ ٤)، د(٥٠٢٩/ ٣٩١/ ١٣) ، ت(٣٤٦١/ ١٣٩/ ٥) ، جه (٣٨٧٤/ ١٢٧٥/ ٢) .

(٥) **صحيح** : [ص . ج : ٤٥٣٢] ، د (٥٠٢٤/ ٣٨٨/ ١٣) .

(٦) **صحيح** : م(٢٧١٥/ ٢٠٨٥/ ٤) ، ت (٣٤٥٦/ ١٣٦/ ٥) ، د(٥٠٣٢/ ٣٩٤/ ١٣) .

أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شرّ نفسى ، وشرّ الشيطان وشركه [١] ، ثم يقرأ : آية الكرسى [٢] ، وخواتيم البقرة [٣] ، والكافرون [٤] .

ويجمع كفيه وينفث فيهما ويقرأ : الإخلاص والمعوذتين ، ثم يمسح رأسه ووجهه ، وما استطاع من جسده ، ويكرر ذلك ثلاثا . [٥]

ثم يقول : سبحان الله - ثلاثاً وثلاثين ، الحمد لله - ثلاثاً وثلاثين - الله أكبر - أربعاً وثلاثين - [٦]

وإن قويت همته وازداد نشاطه فقرأ الإسراء [٧] ، والزمر [٧] ، والسجدة [٨] والملك [٨] ، أوْ واحدة منهن كان خيرا .

ويجعل آخر كلامه :

اللهم أسلمت نفسى إليك ، وجّهت وجهى إليك ، وفوّضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولامنجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيّك الذى أرسلت . [٩]

---

(١) **صحيح** : [ص ج : ٤٢٧٨] ، د(٥٠٤٦ / ٤٠٦ / ١٣) ، ت (٣٤٥٢ / ١٣٤ / ٥) .

(٢) **صحيح** : خ (٢٣١١ / ٤٨٧ / ٤) تعليقا .

(٣) **متفق عليه** : خ(٥٠٠٩ / ٥٥ / ٩) ، م (٨٠٨ / ٥٥٥ / ١) ، د(١٣٨٤ / ٢٧٤ / ٤) ، ت(٤٠٤٣ / ٢٣٤ / ٤) ، جه (١٣٦٩ / ٤٣٦ / ١) .

(٤) **صحيح** : [ص . د: ٤٢٢٧]، د(٥٠٣٤ / ٣٩٥ / ١٣)، ت(٣٤٦٣ / ١٤٠ / ٥) .

(٥) **صحيح** : خ(٥٠١٧ / ٦٢ / ٩) ، ت (٣٤٦٢ / ١٣٩ / ٥) .

(٦) **متفق عليه** : خ (٣٧٠٥ / ٧١ / ٧)، م(٢٧٢٧ / ٢٠٦١ / ٤) ، ت(٣٤٦٩ / ٢٠٦ / ٤) ، د(٢٩٧٢ / ٢١٣ / ٨) .

(٧) **صحيح** : [ص. ج : ٤٧٥٠] ، ت(٣٤٦٦ / ١٤١ / ٥) .

(٨) **صحيح** : [ص. ج : ٤٧٤٩] ، ت(٣٤٦٥ / ١٤٠ / ٥) .

(٩) **متفق عليه** : خ(٦٣١١ / ١٠٩ / ١١) ، م(٢٧١٠ / ٢٠٨١ / ٤)، د(٥٠٢٥ / ٣٨٨ / ١٣)، جه (٣٨٧٦ / ١٢٧٥ / ٢) ، ت(٣٤٥٤ / / ١٣٥ / ٥) .

هذا ، ويدخل في ذكر الله ذكرُ نعمته ، وقد جاء الأمر بذكر النعمة على وجه الخصوص في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(٢) .

والمراد من هذا الذكر أن يفضي إلى الشكر ، والشكر هو الأمر الثاني الذي وصّى النبي ﷺ معاذاً أن يطلب من ربّه العون عليه .

والاستعانه بالله على شكره دأب النبيين وعبا د الله الصالحين :

قال تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾(٣)

وقال عن العبد الصالح : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾(٤) .

وقد أمر الله تعالى بشكره على نعمه الدينية ، كما أمر بشكره على النعم الدنيوية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾(٥) ، وقال عن داود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) ﴾(٦) .

وقال آمراً بشكره على نعمه الدينية :

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا

(١) فاطر : ٣ . (٢) الأحزاب : ٩ . (٣) النمل : ١٩ .
(٤) الأحقاف : ١٥ (٥) البقرة : ١٧٢ . (٦) الأنبياء : ٨٠ .

تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾(٢)

وقد أثنى الله على الشاكرين ومدحهم ، فقال عن نوح عليه السلام : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ (٣)

وقال عن ابراهيم عليه السلام :

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) ﴾(٤) .

وبيّن سبحانه أن نفع الشكر يعود على الشاكر نفسه ، فقال سبحانه : ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ (٥) ، لأن الشكر يعود عليه بزيادة النعمة فى الدنيا ، وبنعيم الجنة فى الآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) ﴾ (٧) .

وكما أمر بالشكر فقد نهى عن الكفر ، وبيّن أن ضرر الكفر عائد على الكافر بزوال النعمة فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾(٨) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾(٩) .

---

(١) البقرة : ١٥١ ، ١٥٢ . (٢) لقمان : ١٢ . (٣) الإسراء : ٣ .
(٤) النحل : ١٢٠و١٢١ . (٥) النمل : ٤٠ . (٦) إبراهيم : ٧ .
(٧) آل عمران : ١٤٥ . (٨) النحل : ١١٢ . (٩) إبراهيم : ٢٨و٢٩ .

وقد اختلفت عبارات العلماء فى معنى الشكر ، وخلاصة القول : أن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما الشكر بالقلب فهو الاعتقاد والاعتراف ، والمحبة والانقياد والخضوع ، بمعنى أن يكون القلب معتقداً ومعترفاً بأن ما بالعبد من نعمة فمن الله وحده لا شريك له ، وأن يكون لذلك محبّاً للمنعم محبةً تستلزم الخضوع والانقياد والتسليم لأمره .

وأما شكر اللسان فيكون بالاعتراف بالنعمة ، والتحدث بها ، والثناء على الله من أجلها ، كما قال تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدّث** ﴾ (٢) .

وقال النبى ﷺ: « **التحدّث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر** » (٣) .

ويكفى فى التحدث الإجمال دون التفصيل ، فإن كل ذى نعمة محسود ، كأن يقول : الحمد لله الذى أعطانا مالم يعط غيرنا ، الحمد لله على نعمه التى لاتعدّ ولا تحصى، أين كنا وإلى أين صرنا ؟ كيف كنا بالأمس، وكيف أصبحنا اليوم ؟ وهكذا .

وأما الشكر بالجوارح فهو أن يستخدم نعمة الله فى طاعة الله ، فلا ينظر إلى ما حرّم الله ، ولا يسمع ما حرّم الله ، ولا يتكلم بما حرّم الله ، ولا تمتد يده إلى ما حرّم الله ، ولا تسعى رجله إلى ما حرّم الله ، وهكذا ، فمن فعل كان من الشاكرين .

والشاكرون أخصّ خلق الله ، وأقل عباده ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٣) ، وهم أطيب الناس نفوسا ، وأشرحهم صدورا ، وأقرّهم

---

(١) الضحى : ١١ .

(٢) **حسن** : [ص. ج : ٣٠١١] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحه "

(٣) سبأ : ١٣ .

عيونا ، فإن قلوبهم ملآنة من حمده والاعتراف بنعمه ، والاغتباط بكرمه ، والإبتهاج بإحسانه ، وألسنتهم رطبة فى كل وقت بشكره وذكره ، وذلك أساسُ الحياة الطيبة ، ، ونعيم الأرواح وحصول جميع اللذائذ والأفراح ، وقلوبهم فى كل وقت متطلعة إلى المزيد ، ورجاؤهم فى كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد . فلو علم العباد ماذا أُعدّ للشاكرين من خيرات لاستبقوا إلى هذه الفضيلة العليا ، ولو شاهدوا أحوالهم فى السرور والابتهاج لعلموا أنهم فى جنة الدنيا (١) .

والأمر الثالث مما أمر النبى ﷺ معاذاً أن يستعين بالله عليه : حسن العبادة .

والإحسان فى العبادة عرّفه النبى ﷺ لجبريل حين سأله عنه فقال : « **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » (٢) .

فجعل الإحسان مرتبتين :

الأولى : أن يقوم العابد بين يدى ربّه ، مستحضرا عظمته ، مستشعراً قربه ، موقناً باطلاعه عليه ، فيقوم بين يديْه مقام العبد المذنب بين يدى السيد العظيم ، فينكسر بين يديه ، ويلح عليه أن يغفر زلته ، ويتجاوز عن خطيئته .

والمرتبة الثانية : أن يعتقد أن الله يراه ، ويطلع عليه ، وأنه لا يرضى منه بغير العمل الحسن ، الذى بذل فيه جهده لإخلاصه له ، وإحسانه من أجله .

وهذا الإحسان هو أعلى مراتب الدين ، وأهله هم السابقون المقربون ، وأولياء الله الفائزون ، الذين يحبّهم ويحبّونه ، قال تعالى :

---

(١) الرياض الناضرة . للشيخ عبد الرحمن السعدى (ص ٤٨) .

(٢) **صحيح** : م (١/٣٦/٨)، ت (٤/١١٩/٢٧٣٨)، د (١٢/٤٥٩/٢٦٧٠) ، جه(١/٢٤/٦٣)، نس (٩٧ / ٨) .

﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٣) .

فيا عبد الله ! كن دائماً مراقباً لله فى كل ما تأتى من عمل ، فأتقنه وجوّده وابذل جهدك فى تحسينه إحساناً يليق بمن تتقرب إليه به ، فإن القربة على قدر المتقرّب إليه ، كما أن الهدية تكون على قدر المهدَى إليه ، فإن فعلت فأبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم . وتذكر دائما قول الربّ سبحانه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٤)، ولم يقل : أكثر عملا : لأن العمل الكثير من غير إحسان لايسمن ولايغنى من جوع ، فليكن اهتمامك بإحسان العمل ، لا بكثرة العمل .

---

(١) البقرة : ١٩٥ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) يونس : ٢٦ .

(٤) الملك : ٢ .

الحديث الثامن عشر

أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنةَ تقوىَ الله وحُسنُ الخلق

عَنْ مُعاذ بن جَبَل رضيَ اللَّهُ عنه أنه قال : يا رسولَ اللَّه أوْصني ، قال : « **اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت** » قال : زدْني . قال : « **أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمحُها** » . قال : زدْني . قال : « **خَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسن** »[1] .

الوصية الأولى : « اتق الله حيثما كنت » :

إنما وصاه أولا بتقوى الله لأنها وصيةالله للأوّلين والآخرين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾[2] .

وهذه الوصية هي مفتاح كل خير ، وأصل كل سعادة فمن اتّقى الله جعل الله له من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لايحتسب ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾[3]

ومن اتقى الله يسّر الله له أموره وقضى له حوائجه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ④** ﴾[4] .

ومن اتّقى الله غفر الله له ذنبه وأعظم أجره ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ⑤** ﴾[5] .

---

(١) **حسن** :[ص. ج:٩٦]، أ(٣٦/ ١٨٥/ ١٩) واللفظ له ، ت(٢٠٥٣و٢٠٥٤/ ٢٣٩و٢٤٠/ ٣)

(٢) النساء : ١٣١ . (٣) الطلاق : ٢و٣. (٤) الطلاق : ٤ . (٥) الطلاق : ٥ .

ومن اتقي الله نجاه من النار بعد دخولها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾[1] .

ومن اتقى الله أدخله الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴾[2] .

وأصل التقوى أن تجعل بينك وبين ماتخافه وتحذره شيئاً يقيك منه ، وليس شئ أخوف للعبد من عذاب الله ، فالنار أعظم شئ يخافه العاقل ويحذره ، ولاينجى من النار إلا تقوى الله ، وهى تتلخص فى القيام بالواجبات واجتناب المحرمات ، فمن فعل ما أمره الله بفعله ، وترك ما أمره الله بتركه ، فقد اتقى .

والنبى ﷺ يوصى معاذاً رضى الله عنه فيقول : « **اتق الله حيثما كنت** » ، أى : فى سرك وعلانيتك ، فى خلوتك واختلاطك ، حيث يراك الناس ، وحيث لا يرونك ، فكفى بالله حسيبا ، وكفى بالله رقيبا ، كماقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾[4] .

فالله سميع بصير ، لطيف خبير ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولافى السماء ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾[5] .

---

(١) مريم : ٧١و٧٢. (٢) مريم : ٦٣ . (٣) النساء : ١ .
(٤) الزخرف : ٨٠ . (٥) المجادلة : ٧ .

ولذلك قال : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) .

اعملوا ما شئتم أنّى شئتم ، فى الأرض أم فى السماء ، فى المغارات أو فى الكهوف ، فى الجبال والوديان أم فى أعماق البحار ، فإنه سبحانه مطلّع عليكم ، وناظر إليكم ، وشهيد عليكم ، ولذلك قال : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾(٣) .

ولذلك كان من وصايا لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾(٤)

فيا عبد الله ! دائماً قل : الله مطلّع علىّ ، الله شاهد علىّ ، الله ناظر إلىّ ، الله رقيب علىّ ،

و إذا ماخلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل علىّ رقيب
ولاتحسبن الله يغفل ساعة ولاأن ما تُخفى عليه يغيب

ولاتكن من الذين : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾(٥) ، قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾(٦) .

---

(١) فصلت : ٤٠ . (٢) الأنعام : ٥٩ . (٣) هود : ٦ .
(٤) لقمان : ١٦ . (٥) النساء : ١٠٨ . (٦) هود : ٥ .

وتقوى الله هى الحارس الأمين الذى لايغفل ولاينام ، فحين يمتلأ الصدر بها تصون صاحبها عن كل خيانة ، فإذا أئتمن على شئ أدّاه ، وإذا وكل إليه عمـــل أتقنه ، لأن التقىّ يَعبد الله كأنه يراه ، ويعلم أن الله معه أينما كان بصفاته ، بسمعه وبصره وعلمه ، وهنا يظهر الفرق جليّا بين المتقين وغيرهم ، فالتقىّ إذا وُكل إليه عمل أتقنه ، وبذل فيه جهده وأحسنه ، وإن لم يراقبه أحد ، لأنه يكتفى بمراقبة الله . وغير التقىّ إذا وُكل إليه عمل لم يتقنه ، ولم يبذل فيه جهدا ولم يحسّنه ، وإن عُيِّنت عليه حراسة مشدّدة .

ولذلك إذا أردنا موظفاً أمينا ، وعاملاً مخلصاً ، فعلينا أن نربيّهم على تقوى الله ، وأن نغرس فى قلوبهم مراقبة الله ، تلك المراقبة التى تجعل الإنسان يوقن بالحساب وجزاء الأعمال ، فيحاسب نفسه قبل الحساب ، ويعاقبها على التقصير قبل يوم العقاب .

الوصية الثانية : « وأتبع السّيئة الحسنة تمحها » :

فالتّقىّ مهما حذر فلابد أن يخطئ ، ومهما أحسن فلابد أن يسيئ ، ولكنه إذا أخطأ استغفر ، وإذا أساء أحسن ، ولذلك قال تعالى فى حق المتقين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾(١)

وقال تعـــالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) ﴾(٢) .

---

(١) آل عمران : ١٣٥و١٣٦ .
(٢) هود : ١١٤ .

وقـال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾[1] .

ومن فضل الله على العاملين أن من عمل حسنةً كتبها الله له عشراً إلى سبعمائة ، ومن عمل سيئة كتبت له سيئة واحدة ، فمن عمل سيئة ثم أتبعها حسنة ذهبت السيئة لحسنه واحده وبقيت له التسع إلى ما شاء الله .

فوطّن نفسك يا عبد الله على هذا ، إذا أسأت فأحسن ، فإنه لابد من الإساءة لغير المعصومين ، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : أيها الناس ! من ألمّ بذنب فليستغفر الله وليتب ، فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإنما هى خطايا مطوّقة فى أعناق الرجال ، وإن الهلاك فى الإصرار عليها .[2]

ومعنى كلامه رضى الله عنه أنه لابدّ للعبد أن يفعل ما قُدّر عليه من الذنوب ، كما قال النبى ﷺ : « **كُتب على ابن آدم حظّه من الزنا ، فهو مدركٌ ذلك لامحالة** »[3] ولكن الله جعل للعبد مخرجاً مما يقع فيه من الذنوب ، بالتوبة والاستغفار ، فإن تاب فقد وقاه الله شرّ ذنوبه ، وإن أصرّ على الذنب هلك .

الوصية الثالثة : « وخالق الناس بخُلق حسن » :

هذه الوصية داخلة ضمن الوصية الأولى ، وهى قوله ﷺ : « **اتق الله حيثما كنت** » ، فإن من صفات المتقين الخلق الحسن ، وحسن المعاملة ، كما قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

---

(١) العنكبوت : ٧ .

(٢) جامع العلوم والحكم (١٤٣) .

(٣) **متفق عليه** : خ(٦٣٤٣/ ٢٦/ ١١)،م(٢٦٥٧/ ٢٠٤٧/ ٤)،د(٢١٣٨/ ١٨٨/ ٦) .

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾[١] .

ولكن النبي ﷺ خصّ الخلق الحسن بالوصية به لشدة الحاجة إليه إذ أن كثيراً من الناس قد يتقى الله فيحسن فيما بينه وبين الله ، ثم يسىء فيما بينه وبين الناس ، ولذلك قيل : « يا رسول الله ! إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ؟ فقال : « **هى فى النار** »[٢]

لذلك وصّى النبى ﷺ بالخلق الحسن بعد الوصية بتقوى الله ، فدلّ على أن الإحسان فيما بين العبد وربّه لا تتم به النجاة حتى يحسن العبد فيما بينه وبين عباد الله ، وبذلك وصف الله أهل رحمته ، قال تعالى : ﴿ **الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)** ﴾[٣] ، فوصف المحسنين بإقام الصلاة دليل على إحسانهم فيما بينهم وبين الله ، ووصفهم بإيتاء الزكاة دليل على إحسانهم فيما بينهم وبين عباد الله ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)** ﴾[٤] . وهذا إحسانهم فيما بينهم وبين الله ، ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)** ﴾[٥] ، وهذا إحسانهم فيما بينهم وبين عباد الله .

---

(١) آل عمران : ١٣٣و١٣٤ .

(٢) **صحيح** : [ص . خـــد :٨٨]، خـــد(١١٩)، حب(٢٠٥٤/ ٥٠٢)، كم(١٦٦/ ٤)، أ(٣٤/ ٢١٩/ ١٩) .

(٣) لقمان : ١-٥ .

(٤) الذريات : ١٥-١٨ .

(٥) الذريات : ١٩ .

من أجل ذلك كان النبى ﷺ يحث على حسن الخلق ، ويبيّن أنه عنوان كمال الإيمان ، وارتفاع العبد فى درجات الجنان :

قال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقا** »[١] .

وقال ﷺ : « **إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** »[١] .

وقال ﷺ : « **إن من أحبّكم إلىّ ، وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً** »[٢] .

فيا عباد الله ! حسّنوا أخلاقكم ، وعاملوا الناس بالحسنى ، فالدين المعاملة ، ولاتنسوا دائماً هذه الدعوة المباركة : « **اللهم كما حسّنتَ خَلْقى حسِّن خُلُقى** »[٣]

---

(١) **حسن صحيح** : [ص . د :٣٩١٦]، د(٤٦٥٧/٤٣٩/١٢) ، ت(١١٧٢/٣١٥/٢).
(٢) **صحيح** : [ص . د : ٤٠١٣] ، د(٤٧٧٧ / ١٥٤ / ١٣) .
(٣) **حسن** : [ص . ج : ٢١٩٧] ، ت (٢٠٨٧ / ٢٤٩ / ٣) .
(٤) **صحيح** : [ص. ج : ١٣١٨] ، أ(٩ / ٧٦ / ١٩) .

الحديث التاسع عشر

بـر الوالدين

عَن الْمِقْدَام بن مَعْدى كَرِبَ رَضِىَ اللَّهُ عنهُ أنَّهُ سَمِعَ رسُولَ اللَّه ﷺ يقُول : « إنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهاتكُم ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بآبائِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بالأَقْرَبِ فَالأقْرَب »[1]

« إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم » :

إن حرص الرجال والنساء على حصول الذريّة غريزة بشرية وفطرة إنسانية ، تبدو أملاً فى حياة الشاب والفتاة قبل الزواج ، فإذا تزوجا صارا على شبه يقين من تحقق هذا الأمل ، فهما ينتظران انتهاء الشهر الأول من الزواج لتنقطع الدورة عن المرأة إيذاناً بتحقيق الحلم وحصول الأمل . فإذا نزل الدم بعد الشهر الأول نزل معه شبه قلق ، وإذا تكرّر نزوله شهرين أو ثلاثة هرولا إلى الأطباء بحثاً عن السبب المانع للحمل ، وطمعاً فى القضاء عليه بالعلاج ، وإذا انقطع الدم من الشهر الأول أو الثانى إيذاناً بالحمل بدت تباشير الفرح والسعادة على الزوجين والأسرتيْن كلتيهما ، وبدأت المرأة تتدللّ على زوجها وتمنّ عليه أنها صارت أمّ ولده ، وحققت له ما يريد فى الحياة من الذرية ، التى هى زينة الحياة الدنيا ، حتى إذا تمّ الحمل وخرج الولد إلى الحياة خرج محفوفاً برعاية الأب والأم والجميع ، الكل يحيطه بعنايته ، ويوليه من رعايته ، والكل يتمنى له طول العمر وبقاء الحياة ،

---

(١) **صحيح** : [ص . خ د : ٤٤]، أ(١٤/ ٣٧/ ١٩)، جه(٣٦٦١/ ١٢٠٧/ ٢)، كم(١٥١/ ٤) .

والكل يحلم باليوم الذى يبلغ فيه هذا المولود مبلغ الرجال . الأم تتعب بالنهار ليرتاح ، وتسهر بالليل لينام ، والأب يكدح طول النهار ويشقى ليوفّر له متطلباته، ويحقق له آماله .

فبّر الأباء والأمهات للأبناء فطرة فطر الله الناس عليها ، وغريزة غُرزت فى نفوسهم ، فلا يكونون إلا بررة . ولذلك لم يحتاجوا إلى وصية من الله لهم بأبنائهم . فلم يرد فى القرآن الكريم كلّه وصيّة الله للآباء بالأبناء إلا مرّة واحدة ، فى معرض بيان أحكام المواريث فإن الله استفتح هذه الأحكام بقوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾[1] .

أما الأبناء فلما كان تطلعهم إلى الذرية وحرصهم على أن يكونوا آباءً ولهم أبناء فإنهم بهذا التطلع والحرص ينسَوْن آبائهم ويغفلون عنهم غفلة تكاد تؤدى إلى التقصير فى حقهم ولذلك كثرت فى القرآن الكريم وصايا الرب سبحانه للأبناء بأباءهم ، حتى لاينسَوْهم فى زحمة الحياة، ولاينشغلوا عنهم بأبنائهم .
قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾[4] .

فالوالدين وصّية الله ورسوله ، بّرهما واجب ، وعقوقهما حرام ، لأنهما

---

(١) النساء : ١١ .
(٢) لقمان : ١٤ .
(٣) الأحقاف : ١٥ .
(٤) العنكبوت : ٨ .

أصحاب حقّ عظيم ، وحقهما أعظم الحقوق بعد حقّ الله ورسوله ، ولذلك كثيراً ، ما يُقرن الله تعالى حقهما فى البّر بحقه فى الإفراد بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٣) .

والأبناء عاجزون عن القيام بهذا الحق مهما قدّموا ، ولذا قال النبى ﷺ : « **لا يجزى ولدٌ والداً ، إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه** »(٤) .

وعن أبى بُرْدَةَ : أنه شهد ابن عمر ورجلٌ يطوف بالبيت ، قد حمل أمّه وراء ظهره ، وهو يقول :

إنى لهـا بعيرُها المذلّل إن أُزعرت ركابها لم أُزعر

ثم قال : يا ابن عمر : أترانى جزيتها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة واحدة .(٥)

لكن النبى ﷺ فى هذا الحديث يبيّن أن الأم مقدّمة فى البّر على الأب ، فيقول : « **إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم** ».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ! من أحق الناس بصحابتى ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال :

---

(١) النساء : ٣٦ . (٢) الأنعام : ١٥١ . (٣) الإسراء : ٢٣ .

(٤) **صحيح** : م (١٥١٠/١١٤٨/٢) ، د (٥١١٥/٤٦/١٤) ، ت (١٩٧١/٢١٠/٣) ، جه (٣٦٥٩/١٢٠٧/٢) .

(٥) **صحيح الإسناد** : [ص . خد : ٩ .]

« **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أبوك** » .[(١)]

والسرّ فى كون الأم أحق بالبّر من الأب أنها قامت بما لم يقم به الأب ، إنها حملت ابنها فى بطنها تسعة أشهر ، عانت خلالها من المتاعب ، وقاست من الآلام ، ففى أول شهر وَحَمٌ واستفراغ ، وقلة طعام ، وطول سهر ، وكلما مرّت الأيام زاد التعب ، وكثر الألم ، ولاسيّما بعد نفخ الروح فى الجنين وبداية تحرّكه ، فبينما هى ساكنة آمنة إذ تحرك فى بطنها تحركاً كاد يقطع أمعاءها ، فأفزعها وآلمها . وبينما هى نائمة إذ تحرّك فى بطنها تحرّكاً قطع عليها نومها وأرّقها . وهكذا إلى أن تنتهى مدة الحمل ، والمسكينة تضعف وهو يقوى ، إذ أنه يتغذى على دمها الذى هو خلاصة غذائها ، ولذلك تكون الفتاة قبل الزواج كالوردة النضرة، والعود الغض الطرى ، فما أن تحمل حتى تذبل نضرتها وييبس عودها .

حتى إذا جاءت ساعة الوضع ، وأراد الولد أن يخرج إلى الحياة ، دفع برأسه وضرب برجله فى بطن المسكينة ، وهى تتألم وتصرخ ، وتُعانى وتُقاسى ، ومع هذا كله تتمنى له السلامة ، وتحلم بالساعة التى تراه فيها بجوارها وقد خرج إلى الحياة سالماً ، فإذا رأته تبسّمت وشكرت ربّها ، ونسيت آلامها ، وربما خرجت روحها بخروجه ، فتموت ويحيا .

وإذا أبقاها الله له عانت من تعب الرضاع ، ومن طول خدمته بالليل والنهار ، وهى مع هذا كله فرحة مسرورة ، لذلك كلّه قُدمت فى البّر على الأب .

وليس معنى ذلك التقليل من شأن الأب ، ومن دوره فى حياة الأبناء ، لا ، فليس التفصيل بين أهل الفضل مُنقصاً للمفضول ، كلا ، ولذلك قال تعالى :

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٩٧١/ ١٠/٤٠١) ، م (٢٥٤٨/ ١٩٧٤/ ٤)

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾(١) وهذا تفضيل له عليه السلام ، على أبيه فى الفهم ، وحتى لا يظنّ أحدٌ أن هذا التفضيل انتقاص لداود عليه السلام أتبع الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾(١)

ومن هذا أيضاً ، قول النبى ﷺ : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** »(٢) ، مع أنه ﷺ اعترف بنفسه بتفضيله عليهم ، فقال :« **فضّلتُ على الأنبياء بستّ** »(٣) .

فالنهى إذن عن تفضيله إنما هو للتفضيل الذى يفضى إلى انتقاص غيره من إخوانه ، أما تفضيلٌ يُعترف معه بفضيلة الآخرين فلابأس . فتفضيل الأم على الأب فى البّر ، وتقديمها عليه فى الإحسان ، لا ينقص من فضل الأب ، ولا يقلّل من دوره فى الحياة ، فلقد كافح الأب كثيراً ليوفر لأبنائه لقمة العيش وضرورات الحياة ، ومنع نفسه ليعطيهم ، ورضى لنفسه بالقديم ليوفّر لهم الجديد ، وربما أفضت به الحاجة إلى السفر خارج البلاد ، و « **السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه** »(٤) ، وهو مع ذلك متحمّل وصابر ، من أجل أن يرى أبناءه سعداء أعزّاء مكرمين . من هنا وصّى الله ورسوله ببر الوالدين والإحسان إليهما ، وجعل ﷺ البّر من أفضل الأعمال :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ! أىّ العمل أفضل ؟ قال : « **الصلاة على وقتها** » . قلت : ثم أىّ ؟ قال : « **برّ الوالدين** » . قلت : ثم

---

(١) الأنبياء : ٧٨و٧٩ .

(٢) **صحيح** : م (٢٣٧٣/١٨٤٣/ ٤) .

(٣) **صحيح** : م (٥٢٣ / ٣٧١ / ١) .

(٤) **متفق عليه** : خ ((١٨٠٤/٦٢٢/ ٣) ، م (١٩٢٧/١٥٢٦/ ٣) .

أىّ ؟ قال : « **الجهاد فى سبيل الله** »(١)

فقدّم ﷺ برّ الوالديْن على الجهاد فى سبيل الله ، يعنى ما لم يتعيّن الجهاد ، ولذلك كان الشباب يأتونه ﷺ يستأذنونه فى الهجرة والجهاد ، فيأمر من كان أبواه أو أحدهما حيّاً أن يرجع إليهما فيجاهد نفسه فى خدمتهما والإحسان إليهما .

فاللّه اللّه عباد الله ! برّوا آباءكم فإن « **رضا الرب فى رضا الوالد ، وسخط الرب فى سخط الوالد** »(٢) .

برّوا آباءكم ، فمن أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخلاه الجنة أبعده الله ، قال ذلك جبريل وأمنّ عليه النبى ﷺ . (٣)

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! أصبتُ ذنباً عظيماً ، فهل لى من توبة ؟ فقال : « هل لك من أمّ؟ » . قال : لا . قال : فهل لك من خالة » قال : نعم . قال : « فبرّها » (٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهم : أنه أتاه رجل فقال : إنى خطبت امرأة فأبت أن تنكحنى ، وخطبها غيرى فأحبّت أن تنكحه ، فغرت عليها فقتلتها . فهل لى من توبة ؟ قال : أمّك حيّة ؟ قال : لا . قال : تبْ إلى الله عز وجل ، وتقرّب إليه ما استطعت . قال عطاء بن يسار : فذهبت فسألت ابن عباس : لم سألته عن حياة أمّه ؟ فقال : إنى لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عزّوجل من برّ الوالدة (١)

برّوا آباءكم ، فإن برّ الآباء سبب إجابة الدعاء :

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٢٧/ ٩/ ٢)،م(٨٥/ ٨٩/ ١)،ت(١٩٦٠/ ٢٠٦/ ٣)،نس(١٩٣/ ١) .

(٢) **صحيح** : [ص خد : ٢]، ت(١٩٦٢/ ٢٠٧/ ٣) ، حب (٢٠٢٦/ ٤٩٦) .

(٣) **صحيح** : [ص . ت ١٥٥٤] ، ت (١٩٦٨/ ٢٠٩/ ٣) .

عن أسير بن جابر قال : « كان عمر إذا أتى عليه أمداد اليمن سألهم : أفيكم أُويس بن عامر ؟ حتى أتى عليه ، فقال : أنت أُويس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برصٌ ، فبرئت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **يأتى عليكم أُويس بن عامر مع أمداد اليمن ،من مراد ثم من قرن،كان به برصٌ فبرئَ منه إلا موضع درهم ،له والدة هو بها بّر ، لو أقسم على الله لأبّره ،فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لى،فاستغفر له »**[2] .

برّوا آباءكم ، فإن برّ الآباء سبب الفرج والنجاة ، والخروج من الأزمات : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار . فقالوا : إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لاأغبق قبلهما أهلاً ولامالاً ، فنأى بى طلب الشجر يوماً فلم أُرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أومالاً ، فلبثت - والقدح على يدى - أنتظر استيقاظهما حتى بَرق الفجر ، والصبية يتَضاغَوْن عند قدمىّ ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه .

---

(١) **صحيح** : [ص . خد : ٤] .
(٢) **صحيح** : م (٢٥٤٢ / ١٩٦٩ / ٤) .

فقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عمّ ، كنت أحبّها كأشدّ ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها فامتنعت منى ، حتى ألمّت بها سنةٌ من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّى بينى وبين نفسها ففعلت ، فلما قعدت بين رجْليها قالت : اتق الله ولاتفضّ الخاتم إلا بحقّه ، فانصرفت عنها وهى أحبّ الناس إلىّ وتركتُ الذهب الذى أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم ، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ إلىّ أجرى . فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى ! فقلت : لا أستهزئ بك . فأخذه كلّه فاستاقه فلم يترك منه شيئا . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فَفَرِّج عنّا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »(١)

بروا آباءكم وإياكم والعقوق فما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له ، من البغى وقطيعة الرحم .(٢)

برّوا آباءكم ، وإياكم والعقوق فإنه يحبط العمل ، ولايقبل الله من العاقّ صلاة ولاصومًا ولاصدقّة ولا نسك :

عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة لايقبل الله عز وجل منهم**

---

(١) **متفق عليه** : خ(٣٤٦٥/ ٥٠٥/ ٦)، م(٢٧٤٣/ ٢٠٩٩/ ٤)، د(٣٣٧١/ ٢٤٤/ ٩) .

(٢)**صحيح** : [ص . د : ٤٠٩٨] ، د (٤٨٨١ / ١٢٤٤ / ٣) ، ت (٢٦٢٩ / ٧٤ / ٤) ، جه(٤٢١١/ ١٤٠٨/ ٢)

صرفاً ولاعدلاً : عاقّ ، ومنّان ، ومكذّب بقدر »(١) .

وعن عمرو بن مرّة الجهنيّ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت إذا صلّيت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأدّيت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لى ؟ فقال ﷺ : **« من فعل ذلك كان مع النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين ، إلا أن يعق والديه »**(٢) .

ولما وصىّ الله ورسوله بالأمهات ، ثم الآباء قال ﷺ : **«ثم الأقرب فالأقرب»** : فعلى العبد إذا وُفق لبر أبويه أن يؤتى أولى القربى حقهم ، فإن حقهم قرين حقّ الوالدين ، قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾(٣) ثم قال : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾(٥) .

فلابدّ مع برّ الوالدين من صلة الرحم ، وإيتاء ذى القربى حقه من البرّ

---

(١) حسن : [ص . ج : ٣٠٦٠] ، لسنة لابن أبى عاصم (٣٢٣/ ١٤٢ / ١) .

(٢) صحيح : رواه البزار (٢٥/ ٢٢/ ١) والخطيب البغدادى فى كتابه الجامع (١٦٣٢/ ٢٠٧/ ٢) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٥٠/٨ رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ورجاله أحد اسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح .

(٣) الإسراء : ٢٤-٢٦ .

(٤) النساء : ٣٦ .

(٥) البقرة : ٢١٥ .

والإحسان ، فإنه إذا كان « **لايدخل الجنة عاق** » ، **فإنه** « **لايدخل الجنة قاطع** »[(١)]

ولقد أمر الله بصلة الأرحام ونهى عن قطعها ، فقال : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾[(٢)] .

وقال : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾[(٣)] .

فبرّوا ولاتعقوا ، وصلوا ولاتقطعوا ، فإنما جزاء البر والصلة الجنة ، وجزاء العقوق والقطيعة النار .

قال تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)** ﴾[(٤)] .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٩٨٤/٤١٥/١٠) ، م (٢٥٥٦/١٩٨١/ ٤) ، د(١٦٨٠/١١٤/ ٥) ، ت (١٩٧٤/ ٢١١ / ٣) .

(٢) النساء : ١ .

(٣) محمد : ٢٢و٢٣ .

(٤) الرعد : ١٩ - ٢٥ .

الحديث العشرون

الحث على الخشوع في الصلاة

عَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ رضِىَ اللَّهُ عنهُ قَال : جاءَ رجلٌ إلى النَّبِىِّ ص فَقَالَ : عظْنى وأَوجزْ ، فقال :

« إِذَا قُمتَ فى صَلاَتَكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ ، وَلاَ تَتكلّم بكَلامٍ تَعْتذرُ منْهُ غَداً ، واجْمَعِ الإِياسَ مِمَّا فِى أَيْدى النّاسِ » (١)

إن « **الصلاة نور** » (٢) ، نور فى القلب ، ونور فى الوجه ، ونور فى القبر ، ونور بين يدى العبد يوم القيامة ، ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾(٣) .

والصلاة تغسل العبد من الخطايا ، وتطهره من دنس الذنوب ، كما قال ﷺ : «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، ماتقولون يبْقى من درنه ؟** » قالوا : لايُبقى من درنه شيئا . قال : « **فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهنّ الخطايا** »(٤) .

وقال ﷺ : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ،**

---

(١) **حسن** : [ص . ج : ٧٥٥] ، أ (١٩/١٨٥/٣٧) ، جه (٢ . /١٣٩٦/٤١٧١) .

(٢) **صحيح** : م (٢٢٣/ ٢٠٣/١) ، (٣٥٨٣/ ١٩٦ / ٥) ، نس (٥/٥) .

(٣) الحديد ١٢ .

(٤) **متفق عليه** : خ (٥٢٨ / ١١ / ٢) ، م(٦٦٧ / ٤٦٢ / ١) .

مكفّرات لما بينهنّ إذا اجتُنبت الكبائر »[1] .

لكن هذه الفضائل مشروطة بالخشوع ، ولذلك قال ﷺ : **« مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفّارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كلّه »**[2] .

وقال ﷺ : **« ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة »**[3] .

وقال ﷺ - وقد أراهم الوضوء عملياً - : **« من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه »**[4] .

وقال ﷺ : **« خمس صلوات افترضهنّ الله تعالى ، من أحسن وضوءهنّ لوقتهنّ ، وأتمّ ركوعهنّ وخشوعهنّ كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ،إن شاء عذبه »**[5] .

فالخشوع هو المقصود الأعظم من الصلاة ، ومعناه : حضور القلب بين يدى الله ، ، مستحضراً لقُربه ، فيسكن لذلك قلبه ، وتطمئن نفسه وتسكن حركاته ، ويقلّ التفاته ، متأدباً بين يدى ربه ، مستحضراً جميع ما يقول ويفعل فى صلاته من أولها إلى آخرها ، فتنتفى بذلك الوساوس والأفكار الرديئة ، وهذا هو روح الصلاة ، والمقصود الأعظم فيها ، وهو الذى يُكتب للعبد أجرْه وثوابُه ، فالصلاة

---

(١) **صحيح** : م (٢٣٣-١٦-/ ٢٠٩/ ١) .

(٢) **صحيح** : م (٢٢٨ . ٢٠٦ / ١) .

(٣) **صحيح** : م (٢٣٤ / ٢٠٩/ ١) ، د(٨٩٢/ ١٧٤ / ٣)، نس (٩٥/ ١) واللفظ لهما .

(٤) **متفق عليه** : خ(١٦٤/ ٢٦٦/ ١)، م(٢٢٦/ ٢٠٤/ ١)، د(١٠٦/ ١٨٠/ ١)، نس(٦٤/ ١) .

(٥) **صحيح** : [ص. ج : ٣٢٣٧] ، د (٤٢١/ ٩٣ / ٢) .

التى لاخشوع فيها وإن كانت مجزئة إلا أن الثواب على قدر ما يعقل منها [١]، ولذا قال ﷺ : « **إن الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عُشر صلاته ، تُسعها ، ثمنها، سُبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها**»[٢] .

وحصول الخشوع فى الصلاة له شروط لابد من توفّرها ، وموانع لابد من انتفائها ، فإذا انتفت الموانع ، وتحققت الشروط ، حصل الأثر المطلوب من الخشوع .

فمن الموانع : مدافعة الأخبثين ،وحضور الطعام ، وغلبة النعاس ، والالتفات فى الصلاة ، ولذلك أمر النبى ﷺ من أراد القيام إلى الصلاة بنفى هذه الموانع أوّلاً فقال ﷺ«**إذا أراد أحدكم أن يذهب الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء**»[٣] .

وقال ﷺ : « **لا صلاة بحضرة الطعام ولاهو يدافعه الأخبثان** » [٤] .

وقال ﷺ « **إذا كان أحدكم على طعامه فلا يعجلنّ حتى يقضى حاجته منه وإن أُقيمت الصلاة** »[٥] .

وسئل ﷺ عن الالتفاف فى الصلاة ، فقال : « **اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** »[٦] .

وقال ﷺ : « **إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن**

---

(١) تفسير السعدى (٢٣٢و ٢٣٣ / ٥) .

(٢) **حسن** : [ص . د : ٧١٤] ، د(٧٧٥ / ٣ / ٣) .

(٣) **صحيح** :[ص. د: ٨٠]، د(٨٨/ ١٥٦/ ١)، ت(١٤٢/ ٩٥/ ١) ، جـه (٦١٦/ ٢٠٢/ ١) ، نس (١١٠/ ١)

(٤) **صحيح** : م (٥٦٠ / ٣٩٣ / ١) ،د(٨٩/ ١٦٠ / ١) .

(٥) **صحيح** : خ (٦٧٤ / ١٥٩ / ٢) .

(٦) **صحيح** : خ(٧٥١ / ٢٣٤ / ٢) ، د(٨٩٧ / ١٧٨ / ٣) ، نس (٨/ ٣) .

أحدكم إذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه »(١)

فيجب على كل من أراد الصلاة أن يقطع جميع الشواغل التى تشغل قلبه ، وينفى الموانع التى تمنع الخشوع عنه ، ثم يوفر الشروط التى لايحصل الخشوع إلا بها ، ومن هذه الشروط ما ذكره النبى ﷺ فى :

الوصية الأولى : « اذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودّع » :

أى اعتبرها آخر صلاة لك ، اجعلها أُمنيتك فى الحياة لو حضرك الموتُ فقيل لك تمنّ ، فتمنيت أن تصلى ركعتين ، فإن ذلك يُعينك على أن لا تُحدث نفسك بشىء من أمور الدنيا التى ستودّعها وتخرج منها ، ويُعينك على الإقبال بقلبك ووجهك على الله سبحانه ، ولذلك قال تعالى :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢) .

فوصف الصلاة بالكبر والثقل والمشقة ، واستثنى الخاشعين فإنها سهلة يسيرة عليهم .

ثم وصفهم بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٢)

فهم يعتقدون أنهم إلى الله راجعون وبين يدى الله موقوفون ، وأمام الله مسئولون ، فهم مشفقون من ذلك كلّه ، ويعلمون أنه الحق من ربهم ، ويظنون أنهم قد يلقونه فى هذه الصلاة وهم قائمون بين يديه ، أو بعد انصرافهم منها ، بحيث أنهم إذا قاموا فى الصلاة لايظنون أنهم سيصلّون غيرها ، وبذلك وصّى النبى ﷺ ، فقال : **« اذكر الموت فى صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت فى**

---

(١) **متفق عليه** : خ (٢١٢/ ٣١٣/ ١) ، م(٧٨٦/ ٥٤٢/ ١)، د(١٢٩٦/ ١٩٥/ ٤) ، ت(٣٥٢/ ٢٢١/ ١)، جه (١٣٧٠/ ٤٣٦/ ١) .

(٢) البقرة : ٤٥ ، ٤٦ .

صلاته لحرىّ أن يُحسن صلاته ، وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلى غيرها » (١)

فيا عبد الله ! إذا قمت للصلاة فاجعل القبلة أمامك ، والصراط تحتك ، والجنة عن يمينك ، والنار عن شمالك ، وملك الموت وراءك ، وتأمل إلى أين تصير(٢) .

وحاول دائما أن يذكّرك كل شئ متعلق بالصلاة بلقاء الله . فإذا سمعت المؤذن ينادى للصلاة فتذكر قول الله : ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾** ﴾(٣) ، فإذا طهّرت ظاهرك بالوضوء ، وسترت عورتك بالثياب ، فاعلم أن باطنك أولى بذلك كله ، لأنه محلّ نظر الله عز وجل ، كما قال ﷺ : **« إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »**(٤) . فاستحِ من الله أن تظهر ظاهرك دون باطنك ، وأن تجمّل جسمك دون قلبك .

وإذا خرجت من البيت إلى المسجد فتذكر خروجك من القبر إلى أرض المحشر ، فإذا جلست فى المسجد تنتظر الإقامة فتذكر قيامك فى أرض المحشر تنتظر مجئ الرب سبحانه لفصل القضاء .

فإذا أقام المؤذن الصلاة فتذكر . بهذا النداء النداءَ الخاص يوم القيامة ، يوم يقول الملَك : أين فلان بن فلان ؟ ليقم للعرض على الملك الديّان . فإذا قمت من مكانك فى المسجد تسعى إلى الصف فتذكر سعيك يوم القيامة بين يدى الملكين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾** ﴾ (٥) .

---

(١) **حسن** : [ص . ج : ٨٦٢] ، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (١٤٢١) .
(٢) إحياء علوم الدين (١٥١ / ١) . (٣) ق : ٤١و٤٢ .
(٤) **صحيح** : م (٢٥٦٤-٤-/١٩٨٧/٤) ، جه (٤١٤٣/١٣٨٨/٢) .
(٥) ق : ٢١ .

فإذا قلت « الله أكبر » دخلت فى الصـــلاة فتذكر قيامك بين يدى الله يوم القيامة ، وهو يقرّرك بذنوبك ، عملت يوم كذا وكذا ، وعملت يوم كذا كذا وكذا ، فتخرج من صلاتك وقد عزمت ألا تترك واجبا ، وأن لاتفعل محرّما .

ومن شروط الخشوع : القيام إلى الصلاة . بجدّ ونشاط ، فإن الكسل فى القيام الى الصلاة يمنع الخشوع ، ويجلب الغفلة ، وهو من صفات المنافقين كما قال تعالى : ﴿ **إنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** (١٤٢) ﴾[١] .

وقد أمر النبى ﷺ بالجد والنشاط فى الصلاة ، ونهى عن الكسل ، فقال : « **ليصلّ أحدُكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتَر فليقعد** »[٢] . وكان قد دخل المسجد فرأى حبلاً ممدوداً بين ساريتيْن ، فقال : « **ماهذا ؟** » قالوا : حبل لزينب ، تصلّى ، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : « **حلّوه ، ليصلّ أحدُكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر فليقعد** »[٢] .

ومن شروط الخشوع : التدبر والفهم لما يُقرأ ، وهذا من أهم شروط الخشوع ، ولذلك نهى الله تعالى عن القيام إلى الصلاة حال السكر - وذلك قبل نزول آية التحريم ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** (٩١) ﴾[٣] - لأن السكران لايدرى ما يقول ولايفهم ما يقرأ ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾[٤] ، ففهم من ذلك أنه لابد لكل مصلٍ أن يعى ما يقول ،

---

(١) النساء : ١٤٢ .

(٢) **صحيح** : خ (١١٥٠/٣٦/٣) ، د(١٢٩٨/١٩٦/٤)، نس (٢١٨/ ٣) .

(٣) المائدة : ٩١ .

(٤) النساء : ٤٣ .

وأن يفهم ما يقرأ ، ولذلك نهى ﷺ النعسان عن الصلاة لنفس العلّة ، فقال : « **إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه** »(١) .

فإذا قرأت يا عبد الله فتدبر ما تقرأ ، وإذا قرئ عليك فى الجهرية فاستمع لإمامك وأنصت له وتدبر ما تسمع .

ومما يعين على التدبر أن ترتل القرآن ترتيلا ، وأن تقطع القراءة آية آية ، كما كان ﷺ يقرأ(٢) .

فتقول ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢** ﴾ وتتدبّر معنى الحمد وأسبابه ، وتتذكر أن الله تعالى هو المستحق للحمد دون سواه ، لأنه ذو الطول والأنعام ، ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾(٣) .

ثم تحاول أن تستشعر إجابة الله لك وهو يقول : حمدنى عبدى . ثم تقول : ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣** ﴾ وتتذكر أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة ، ورحمته وسعت كل شئ ، فتطمع فى رحمته ، ثم تحاول أن تستشعر إجابة الله لك وهو يقول : أثنى علىّ عبدى .

ثم تقول : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤** ﴾ وتتذكر هذا اليوم وأهواله ، وتعظيم الله شأنه ، حيث قال : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩** ﴾(٤) ، فتعزم على عمل صالح ينجيك من هول هذا اليوم ، ثم تحاول أن تستشعر إجابة الله لك وهو

---

(١) سبق قريبا .

(٢) **صحيح** : [ص . د : ٣٣٧٩] ، د(٣٩٨٢/ ٣٤/ ١) ، ت(٣٠٩١/ ٢٥٤/ ٤)

(٣) إبراهيم : ٣٤ . (٤) الانفطار : ١٧-١٩ .

يقول: « **مجّدني عبدي ، أو فوّض إليّ عبدي** » .

ثم تقول : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ۝٥ ﴾ وتتذكر ضرورة تصديق هذا القول بالعمل ، فلا تقل فى الصلاة ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ فإذا انصرفت نذرت لغير الله ، وذبحت لغير الله ، وتقرّبت بالقربات لغير الله ، ولاتقل فى الصلاة ﴿ **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فإذا انصرف استعنت بغيره ، بل تقول ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ وتصدّق هذا القول بالعمل ، فتفرد اللّهَ بالعبادة والاستعانة ، وتعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك . ثم تستشعر إجابة الله لك وهو يقول : « **هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل** ».

ثم تقول : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ۝٦ ﴾ وتحاول التعرف عليه ، وأنه الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح ، ومعناه إفراد الله بالعبادة ، حتى لايُعبد غيره استقلالاً ولا مع الله ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ۝٦٠ **وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ۝٦١ ﴾[١] .

فإذا قلت : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ تذكرت هذه الكوكبة من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، فتستأنس بهم فى هذا الطريق ولاتستوحش من قلة السالكين .

وإذا قلت : ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ تذكرت اليهود وتركَهم العمل بالعلم حتى غضب الله عليهم .

وإذا قلت : ﴿ **وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ تذكرت النصارى وما ابتدعوه من البدع التى ما أنزل الله بها من سلطان ، فضلوا السبيل ، ثم تستشعر إجابة الله لك وهو يقول :

---

(١) يس : ٦٠و٦١ .

« **هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** »[(١)]، فتقر عينك ، وتفرح بما آتاك الله من الإجابة

وبهذا التدبر والتأمل يحصل الخشوع فى الصلاة ، ولا يجد الشيطان سبيلاً للدخول إلى قلبك بالوساوس والأفكار الرديئة .

ولابأس بترديد آية أكثر من مرّة إمعاناً فى التدبر ، واستجلاباً للخشوع ، فقد قام النبى ﷺ ليلةً يصلى فأتى على قول الله تعالى : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١١٨) ﴾[(٢)] فأخذ يردّدها ويبكى [(٣)] .

وكذلك كان السلف يفعلون .

فقد قام قتادة بن النعمان الليل لايقرأ إلا ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ يرددها ، لايزيد عليها [(٤)] .

وكان سعيد بن جبير يؤمّهم فى رمضان ، فأتى على قول الله تعالى : ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (٧٠) **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** (٧١) **فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** (٧٢) ﴾[(٥)] فأخذ يرددها[(٦)] .

وأتى ذات ليلة على قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (٢٨١) ﴾[(٧)] فردّدها بضعاً وعشرين مرة .

ومن شروط الخشوع فى الصلاة : استحضار عظمة الله عزوجل ، واستحضار أسمائه وصفاته ، فيتذكر العبد أنه سيقوم بين يدى الملك القدوس ، العزيز الجبار

---

(١) **صحيح** : م (٣٩٥/٢٩٦/١) ، د (٨٠٦/٣٨/٣) ، ت (٤٠٢٧/٢٦٩/٤) ، نس(١٣٥/٢) ، جه (٣٧٨٤/١٢٤٣/ ٢) .

(٢)المائدة : ١١٨ .

(٣) **حسن** : [ص . جه ١١١٠] ، جه (١٣٥٠ / ٤٢٩ / ١) .

(٤) **صحيح** : خ (٥٠١٤ / ٥٩ / ٩) ، أ (٥٣٠ / ٣٤٦ / ١٨) .

(٥) غافر : ٧٠-٧٢ . (٦) ابن أبى شيبه (٤٧٧ / ٢) (٧) البقرة : ٢٨١ .

لمتكبر ، فيقشعر بدنه ، وترتعد فرائصه ، كما يروى عن على بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يَدَىْ مَنْ أريد أن أقوم ؟! [1] .

الوصية الثانية : « ولا تكلّم بكلام تعتذر منه غداً » :

يعنى كن مالكاً للسانك ، لايملكك لسانُك :

وزن الكلام إذا نطقت فـــإنّما　　　يُبدى عيوب ذوى العقول المنطقُ

فأنت سالم ما سكت ، فإذاتكلمت غنمت أو غـرمـت ، فـزن الكـلام قـبل النطق، وتأمل ما فيه من الغنم والغرم ، واعرف هل هو لك أم عليك ، فما كان فيه غنم لك فتكلم به ، وما كان فيه غرم عليك فأمسك لسانك عنه ، وامسك لسانك عن كل قبيح تُعاب به ، وعن كل عيب تُلام عليه وتعتذر منه ، ولاتُذل نفسك بالتأسف والاعتذار « **فـلا ينبغى لمـؤمن أن يُذلّ نفسـه** »[2] ، وربّ كلمة أورثت ذلّ العمر ، وكنت فى غنىً عنها ، فعليك بالحَسن دائما من الكلام ، ودع عنك القبيح وانأ بنفسك عن ذلّ الاعتذار والتأسف ، واستجب لربك حيث قـال : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴿٥٣﴾ ﴾[3] . وما أحسن قول القائل :

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى　　　وحظـك موفـور وعرضك صيّن
لســانك لاتذكر به عورة امــرئ　　　فكلك عورات وللناس ألســـنُ

وما أجمل هذه الحكمة : إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢٩) .
(٢) **صحيح** : [ص ج٧٦٧٤] ، ت(٢٣٥٥/٣٥٦/٣) ، جه (٤٠١٦/٣٣٢/٢) .
(٣) الإسراء : ٥٣ .

ومن هنا كثرت وصايا الرسول ﷺ بحفظ اللسان ، منها قوله ﷺ : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »**(١) .

الوصية الثالثة : « واجمع الإياس مما فى أيدى الناس » :

إن فى اليأس مما فى أيدى الناس عزّ النفس ، كما قال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ : **« واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزّه استغناؤه عن الناس »** (٢) .

وقد قيل : استغن عمن شئت فأنت نظيره ، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره .(٣)

والناس يبغضون من يحرص على ما فى أيديهم ويكثر سؤالهم ، ويحبون من استغنى عنهم ، ولذلك قال ﷺ لمن قال له : دلّنى على عمل إذا عملته أحبّنى الله وأحبنى الناس ، فقال ﷺ : **« ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبّك الناس »**(٤) .

وقال الحسن : لاتزال كريماً على الناس ولايزالون يُكرمونك مالم تعاط ما فى أيديهم ، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك ، وكرهوا حديثك ، وأبغضوك(٥) .

لأن النفس مجبولة على حب المال ،وقد شهد بذلك خالقها ، فقال : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ ﴾(٦) .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٦٠١٨/٤٤٥/١٠) ، م(٤٧/٦٨/١) ، ت(٢٦١٧/٧٠/٤) ، د(٥١٣٢/٦٢/١٤) ، جه (٣٩٧١ /١٣١٣/ ٢) .

(٢) **حسن** : [ص ج ٧٣] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٨٣١) .

(٣)فيض القدير (١٠٢ / ١) .

(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٩٣٥] ، جه (٤١٠٢ / ١٣٧٣ / ٢) ، كم (٣١٣/٤) .

(٥) فيض القدير (٤٨١/١) .

(٦) الفجر : ٢٠ .

فمن سأل الناس أموالهم فقد سألهم ما يحبون إمساكه ويكرهون إنفاقه ، فهم يبغضونه ولا يحبونه ، ويسخطون عليه ولا يرضون عنه ، ولذلك قال القائل :

لاتسألنّ بُنىّ آدم حـــاجةً وسل الذى أبوابه لا تُحـــجب

الله يغضب إن تركت سـؤاله وبُنىّ آدم حين يُســأل يغضـب

وكلما ازداد استغناء العبد عن الناس كلما ازداد حبهم له وتوقيرهم حتى يسوّدوه عليهم ، ولذلك دخل أعرابى البصرة فقال : من سيّد أهل هذه القرية ؟ قالوا : الحسن . قال : بم سادهم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم (١) .

ولذلك كان الأنبياء أزهد الناس فيما فى أيدى الناس ، وكانوا يعلّمونهم الخير بلا أجر ، وإنما كان شعارُ كل واحد منهم : ﴿ **إن أجرى إلا على الله** ﴾ .

اللهم زهدنا فيما فى أيدى الناس واغننا بالافتقار إليك وحدك .

---

(١) فيض القدير (١/٤٨١) .

الحديث الحادى والعشرون

الحثُّ على العمل

عَنْ أَنَس بن مَالك رضىَ اللَّهُ عنهُ عن النَّبىِّ ﷺ قال : « إنَ قَامت السَّاعةُ وفِى يد أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِن استَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا »(١).

إن المال هو عماد الحياة وعصبها ، به يسدّ الإنسان فاقته ، ويقضى حاجته ، ويصون حرماته ، ويحفظ ماء وجهه .

ولقد حث الإسلام على العمل لكسب المال ، وعدّ ما يأكله الإنسان من كدّه وكسبه أفضل الأكل ، فقال النبى : **« إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم »**(٢) .

وقال ﷺ : **« ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده »** (٣) .

وهذه حقيقة يستشعرها أهل الجد والاجتهاد دون أهل العجز والكسل ، ويظهر ذلك جلياً فى أول مرة يكسب فيها الإنسان مالاً ويحصله من عمله ، كالطالب إذا تخرّج فتعيّن ، فإن أول مرتّب يقبضه يكون له فى قلبه فرحة وبهجة ، وسعادة وسرور ، حتى إنه يكاد يشترى بمرتبه كلّه هدايا لأهل البيت ، ليشعرهم

---

(١) **صحيح** : [ص. ج : ١٤٣٧] ، وانظر تخريجه وتحقيقه وفقهه فى " الصحيحة " (٩) .

(٢) **صحيح** : [ص .جـه : ١٨٥٤]، جـه(٢٢٩٠/ ٧٦٨/ ٢)، ت(١٣٦٩/ ٤٠٦/ ٢)، نس(٢٤١/ ٧) ، د(٣٥١١/ ٤٤٤/ ٩) .

(٣) **صحيح** : خ (٤٠٧٢/ ٣٠٣/ ٤) .

أنه صار رجلاً ذا كسب ودخل ، والإسلام يحب هذا الصنف من الشباب ، ويعدّ سعيه فى طلب الرزق وكسب المال الحلال جهاداً فى سبيل الله .

عن كعب بن عُجْرة « أن النبى ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا إلى شاب ذى جلَد وقوة ، وقد بكّر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ! لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ! فقال ﷺ : **« لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبويْن ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو فى سبيل الشيطان »**(1) .

وطرق الكسب كثيرة : منها الزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، وغيرها ، وكلها فى نظر الإسلام أعمال شريفة لاتنقص من قدر العامل منها شيئا ، بل بالعكس ، تزيده احتراماً وتوقيراً عند أهل الجد من الناس .

وهذا الحديث يوصينا فيه النبى ﷺ : باغتنام آخر فرصة من الحياة فى زرع ما ينفع الناس ، فيقول :

« إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة - وهى النخلة الصغيرة - فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها » .

لقد امتن الله تعالى على بنى الإنسان بما هيأ لهم من أسباب الزراعة ، فقال فى معرض التذكير بنعمه والامتنان بها : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) ﴾(2)

---

(1) صحيح : [ص. ج : ١٤٤١] ، طب (٢٨٢ / ١٢٩ / ١٩)   (2) النحل : ١٠و١١ .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ﴾[2] .

وكان النبي ﷺ يحث على الزراعة ويرغّب فيها فيقول : « **ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة** »[3]

ويقول ﷺ : « **ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهوله صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولايرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة** »[4] .

وحتى يشجع الناس على الزراعة كان يحث على استصلاح الأراضى وتملكها ، فكان يقول : « **من أحيا أرضاً ميتة فهى له** »[5] .

ولقد آتت هذه التوجيهات أكلها ، وأثمرت ثمارها ، فاهتم الصحابة بالزراعة ، وأحيوا الأرض الميتة ، وكانت لهم الحوائط والبساتين الواسعة ، حتى

---

(١) عبس : ٢٤ - ٣٢ .

(٢) الحجر : ١٩-٢٢

(٣) **متفق عليه** : خ(٢٣٢٠/٣/٥) ، م(١٥٥٣/١١٨٩/٣)،ت(١٤٠٠/٤٢١/٢) .

(٤) **صحيح** : م(١٥٥٢/ ١١٨٨/ ٣) .

(٥) **صحيح** : [ص.د : ٢٦٣٨]،د(٣٠٥٧/٣٢٦/٨)،ت(١٣٩٤/٤١٩/٢) .

كان لعمرو بن العاص رضى الله عنه حائط بالطائف فيه ألف ألف خشبة ، اشترى كل خشبة بدرهم [١] .

وكان لأبى طلحة الأنصارى حدائق نخل كثيرة ، وكانت أحبّها إليه بيُرحاء ، فلما نزل قول الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، قال يا رسول الله ! إنها صدقة لله ، أرجو ذخرها وبرّها يوم ألقاه، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فأرشده ﷺ أن يجعلها فى أقاربه [٢] ، فقسمها فى بضعهم ، فباعوا حصصهم لحسان بن ثابت ، فباع حسان الحديقة لمعاوية بمائة ألف . [٣] .

وإننا لنحمد الله تعالى على هذه التوجه الزراعى نحو الصحراء، ونرجو المزيد من هذا التوجه من الحكومة والشعب على حدّ سواء ، حتى تعود كل صحراء مصر مروجاً خضراء ، ولاسيما وقد أنعم الله علينا بالماء العذب ، والأرض الذلول ، واليد العاملة ، وأحُثُّ الشباب خاصة على استغلال هذه الفرصة التى أتاحتها لهم الحكومة مشكورة ، وهى إعطاء الخريجين أرضاً زراعية بدلاً من الوظيفة . نرجو من الشباب أن يغتنموا هذه الفرصة وأن يستصلحوا هذه الأرض ويزرعوها ولايعطلوها .

ومن طرق الكسب التجارة :

ولقد حث الإسلام عليها ورغّب فيها بأكثر من أسلوب :

---

(١) انظر " الصحيحة " (ص ١٢و١٣/ ١) .

(٢) **متفق عليه** : خ (١٤٦١/ ٣٢٥/ ٣) ، م(٩٩٨/ ٦٩٣/ ٢) .

(٣) تنظر " فتح البارى " (٣٨١/ ٥)

فتارة ينهى عن أكل أموال الناس بالباطل ويستثنى التجارة ، فيفيد أن التجارة من الكسب الحلال الطيب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(١)

وتارة يأمر بكتابة الدّين ويستثنى التجارة ، تيسيراً على التجار ، ورفعا للحرج عنهم ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ ﴾ أى الدين ﴿ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا ﴾(٢) .

وكانوا يتحرّجون من التجارة فى الحج فرخّص الله لهم فيها ، فقال : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾(٤) .

ويوم الجمعة الذى أُمرنا بتعظيمه لمْ يحرّم الله تعالى التجارة فيه إلا بعد الأذان إلى انتهاء الصلاة، فلا حرج فى التجارة قبل الأذان وبعد الصلاة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٥) .

---

(١) النساء : ٢٩ . (٢) البقرة : ٢٨٢ . (٣) البقرة : ١٩٨ .
(٤) الحج : ٢٧و٢٨ . (٥) الجمعة : ٩و١٠ .

وتارة يمدح التجار الذين لم تشغلهم الأسواق عن ذكر الله وعن الصلاة فيقول سبحانه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ (١) .

ولقد امتنّ الله تعالى على قريش بما يسّر لهم من أسباب الأمن والأمان الذى حقق لهم الغدوَ والرواح فى التجارة ، فقال : ﴿ **لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا ربَ هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ (٢) .

ولقد كانت التجارة سبباً من أسباب تخفيف الله عن المؤمنين بوضع فريضة قيام الليل عنهم ، قال تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٣) .

أما النبى ﷺ فقد كان يحث على التجارة فيما تيسّر من الأشياء حتى يستغنى التاجر برزق الله عن سؤال خلق الله ، فكان يقول : « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها ، فيكفَّ اللهُ بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** » (٤) .

---

(١) النور : ٣٦-٣٨ .

(٢) سورة قريش .

(٣) المزمل : ٢٠ .

(٤) **صحيح** : خ (١٤٧١/ ٣٣٥/ ٣) .

وهذا يدل على أن العمل مهما كان ، خيرٌ من ذلّ المسألة والحاجة ، ومعناه أن الذين يحملون على رءوسهم القليل من الخضار كالجرجير ونحوه ليبيعوه فيستغنوا به أشرف من ذوى البطالة والكسل الذين هم عالة على أهليهم وبيوتهم ومجتمعهم .

فياشباب المسلمين : كل عمل وإن كان دنيئا - وليس فى العمل دنيء - أشرف من العجز والكسل ، فاخرجوا من هذه البطالة إلى العمل مهما كان ، واعلموا أن التجارة لا تحتاج إلى رأس مال كبير كما تتخيلون ، وكلكم يستطيع أن يبدأ بجنيهات معدودة ، واعلموا أن كل شئ يبدأ صغيرا ، واسألوا مشاهير التجار عن تاريخ كفاحهم ، وقصة حياتهم فسترون أمثلة عجيبة من الكفاح ، فابدأوا بأى شئ كان ، والبركة من الله ، ولاتشقوا على آبائكم ، فلقد كانوا يحلمون بيوم تخرّجكم لتخلفوهم فى المسئولية فتتعبوا ويرتاحوا ، وإذا بهم وقد فاجئتموهم بالتخرج والقعود وسؤال المصروف . فاعملوا معشر الشباب واكدحوا ، واعلموا أنه ما آكل آدمىٌّ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من كسب يده [(١)] .

ومن طرق كسب المال الصناعة :

ولقد امتن الله تعالى على بنى الإنسان بما علمهم من الحرف الصناعية ، فقال عن دواد عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)﴾ [(٢)] وذكر ما علّمه داود من ذلك فقال : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [(٣)] .

---

(١) **صحيح** : خ(٤٠٧٢/ ٣٠٣/ ٤) .
(٢) الأنبياء : ٨٠ (٣) سبأ : ١٠-١١ .

وقال عن سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (١) .

وعلّم سبحانه نوحاً عليه السلام صناعة الفلك فقال : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٢) ، وعدَ ذلك آية من آيات الله سبحانه فقال : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾(٣) .

ولم يكتف الإسلام فى الترغيب فى الصناعة حتى جعلها من فروض الكفاية فالعلم – كما يقول العلماء – نوعان : فرض عَيْن ، وفرض كفاية ، ففرض العين ما لايسع مسلماً جهله ، كالعلم بأصول الدين ، والعلم بالواجبات والمحرمات ، وفرض الكفاية هو ما يجب على مجموع الأمة ، فإن قام به من يكفى سقط الحرج عن الباقين ، وإلا أثموا أجمعون .

وقد عدّ العلماء من فروض الكفاية علم الطب ، والحساب ، والفلاحة ، والخياطة ، ونحوها من الصناعات .

وكل صنعه مهما كانت فهى فى نظر الإسلام أمر ذو بال ، ما دامت تسدّ حاجة من حاجات المجتمع .

فعلى شباب المسلمين أن يتركوا الأنفة والاستكبار ، وأن يتركوا الحرص على المكاتب والوظائف ، وأن ينزلوا إلى ميدان العمل ، وأرض معركة الحياة وليتعلم

---

(١) سبأ : ١٢ - ١٣

(٢) هود : ٣٧ .

(٣) يس : ٤١و٤٢ .

كل منهم ما يجد فى نفسه حبّه والميل إليه ، والشعور بأنه إن عمل فيه أتقنه ، والحرف والصناعات كثيرة . ويا ليت بنات المسلمين يرجعن إلى العهد القديم عهد تعلم الخياطة والتفصيل والتريكو ونحو ذلك من أعمال النساء التى تجيدها المرأة ، وتكسب منها وهى فى بيتها محفوظة مصانة ، شريفة عفيفة ، فهذا والله خير لهنّ من وقوفهنّ فى المحلات طول النهار بثمن بخس دراهم معدودة ، وهى فى تلك المحلات عرضة للمعاكسات والمضايقات وارتكاب المحرمات .

نسأل الله تعالى أن يصلح حال شباب المسلمين وبناتهم ، وأن يهىء لهم من أمرهم رشدا .

وبعد : فإنى أوجه نظر الأغنياء المسلمين الذين يؤتون زكاة أموالهم إلى ضرورة الانتباه لهؤلاء الشباب القاعدين بلا عمل ، أن يركزوا عليهم بزكاتهم ، بمعنى أنه لوقلنا : مسلم علية خمسة آلاف جنيه زكاة ، فعليه بدلاً من أن يفرّقها على جمع كثير من المسلمين جنيهات ، أن يتفرّس فى خمسة من الشباب - مثلا - ممن يظن فيهم الجد والاجتهاد ، ويرى عليهم أمارات الصلاح ، فيعطى كل شابّ ألف جنيه ، ويقول له : هذا قرض حسن منى لك ، لتتاجر به ، أو تبدأ به مشروعاً، وأنت فى حلّ من السداد حتى يوسع الله عليك ، يقول له هذا ليأخذ الشاب الأمر بجد ، ويعمل وهو معتقد أنه مدين ، فيحرص على سداد دينه ، وصاحب المال فى نفسه لاينتظر سداد لأنه أعطاه زكاة ، فإذا ما عمل الشاب ورزقه الله وأراد السداد قال له : سامحك الله ، هذا منى لك شكراً لك على اجتهادك .

ويأتى غنىّ آخر فيتفقد بعض الأرامل أو بعض البنات ويقول لهن : تعلمن الخياطة أو التريكو على حسابى ، ومن تعلمت منكن فسأشترى لها ماكينة ، وهكذا .

وبذلك تؤدى أموال الزكاة ثمارها ، وتخرج بإذن الله كل عام أُسراً كاملة من الفقر إلى الغنى ، ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) ﴾[1]

---

(١) البقرة : ٢٤٥ .

الحديث الثانى والعشرون

الحثّ على الزّواج

عَنْ علقمةَ قال : كنتُ أمشى معَ عبد اللَّه بمنىً ، فلَقِيَهُ عُثمانُ فقامَ معهُ يُحدِّثُهُ ، فقالَ لهُ عُثمانُ : يا أبا عبدَ الرحمن ! ألاَ نُزوِّجُكَ جاريةً شابةً ، لعلَّها تُذكِّرُكَ ببعضِ ما مَضَى مِنْ زَمانكَ؟ قالَ : فقالَ عبدُ اللَّه : لَئِن قُلتَ ذَاكَ، لَقدْ قالَ لنا رسولُ الله ﷺ : « يا مَعْشَرَ الشبَابِ ! مَنِ اسْتطَاعَ منكُمْ ألبَاءةَ فَليتَزوَّجْ ، فَإنَّهُ أَغَضُّ للبَصَرِ وأَحْصَنُ للفَرْجِ ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ ، فإنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »(1) .

علقمة : هو ابن قيس صاحب عبد الله المذكور ، وهو ابن مسعود . فلقيه عثمان : أى ابن عفان . فكأن عثمان رأى على عبد الله ما يُرى على العزب من رثاثة الهيئة ، وقلّة الترفة والزينة ، التى لا تتوفر إلا للمتزوج . وكان ذلك بعد وفاة زوج ابن مسعود ، فشق على عثمان أن يرى أخاه بهذه الحال ، فعرض عليه أن يزوّجه ، فقال : ألا نزوجك ؟ . وفى هذا العرض من عثمان على ابن مسعود دليل على جواز ذلك من الصاحب لصاحبه ، بل على استحبابه ، فإن كمال الأخوة يقتضى أن يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن ينظر فى حاجته ويقضى مصالحه ، ويشير عليه بما هو خير له .

---

(1) **متفق عليه** : خ(٥٠٦٥/١٠٦/٩)،م(١٤٠٠/١٠١٨/٢)،د(١٠٣١/٣٩/٦)،نس(٥٨/٦)

ولا بأس إذا كان عند الصاحب والصديق امرأة تصلح لهذا الأمر كابنته وأخته ونحوهما ، لا بأس أن يعرضها بنفسها عليه ، فلا يقتصر على نصحه بالزواج فقط بل يعرض عليه ما عنده من النساء ، كما فعل عمر بن الخطاب مع عثمان نفسه ، فلئن كان عثمان عرض على ابن مسعود أن يُزوجّه ، فقد عرض عمر على عثمان أن يُزوجّه بنته ، عن عبد الله بن عمر أن عمر حين تأيّمت حفصة ، أتى عثمان فعرض عليه حفصة ، فقال : سأنظر فى أمرى ، فلبث ليالى ، ثم لقى عمر فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا . فقال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت : إن شئت زوجتك حفصه ، فَصَمَت ، فلم يرجع إلىّ شيئا ، وكنت أوْجد عليه منّى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه .[1]

وقد فعل ذلك من قبلُ الرجلُ الصالح صاحب موسى عليه السلام ، اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] .

---

(١) **صحيح** : خ(٥١٢٢/ ١٧٥/ ٩)، نس(٨٣/ ٦) .   (٢) القصص : ٢٣-٢٨ .

قال عثمان لابن مسعود : « ألا نزوّجك جارية شابة لعلّها تذكرك بعض ما مضى من زمانك ؟ » : فيه استحباب نكاح البكر الشابة ، ولو كان الرجل قد سبق له الزواج ، لأن الشابة هى المحصلة لمقاصد النكاح ، فإنها أكثر استمتاعا ، وأطيب نكهة ، وأرغب فى الاستمتاع ، وأحسن عشرة ، وأفكه محادثة ، وأجمل منظرا ، وأحسن ملمسا ، وأقرب إلى أن يعوّدها زوجها الأخلاق التى يريدها . (١)

وقوله : « تذكرك بعض ما مضى من زمانك » :

معناه تتذكر بها بعض ما مضى من نشاطك وقوة شبابك ، فإن نكاح البكر الشابة يزيد فى القوة والنشاط ، ولذلك وصّى النبى ﷺ بنكاح الأبكار ، فقال : **« عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحاماً ، وأعذب أفواها ، وأقلّ خبّاً ، وأرضى باليسير »**(٢) .

وقال لجابر : **« هلّا بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟ »** فقال جابر : إن عبد الله - يعنى أباه - مات وترك تسع بنات أو سبع ، وإنى كرهت أن آتيهنّ بمثلهنّ ، فأحببت أن آتى بامرأة تقوم عليهن وتصلحهنّ ، فقال ﷺ : **« فبارك الله لك »** . وفى رواية فقال : **« فذاك إذن »** . (٣)

فدلّ ذلك على استحباب نكاح البكر ، إلا أن تكون للرجل مصلحة فى الثيّب ، كأن تموت زوجة الرجل وله أولاد ، أو أخوة صغار ، فيتزوج امرأة كبيرة لتقوم على خدمتهم ، فلا بأس إذن للمصلحة .

---

(١) انظر " صحيح مسلم بشرح النووى " (٩/١٧٤) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ٣٩٣٢]، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٦٢٣) .

(٣) **متفق عليه** : خ(٥٣٦٧/٥١٣/٩)، م(٧١٥-٥٦-/١٠٨٧/٢) .

فلما قال عثمان لابن مسعود ما قال ، قال ابن مسعود : لئن قلت ما قلت فلقد قال لنا رسول الله ﷺ :

« يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » :

« من استطاع منكم الباءة » وهى القدرة على مؤن النكاح ، وتحمل مسئوليته وما يترتب عليه من واجبات ، **« فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج »** ، فرغّب ﷺ فى الزواج بذكر هاتين الفائدتين .

وللزواج فوائد كثيرة :

منها : أنه يعين على غض البصر ، فإن البصر لا يمتد إلا إلى ماليس يملكه صاحبه ، أما إذا كان عنده مثله أو أحسن منه ، فإنه لايتطلع إليه ولا يتمناه ، وإذا وقع بصره عليه فجأة سهل عليه غضّه وصرفه ، ولا سيما وهو يعلم أن هذه النظرة محرمة .

ولذلك قال ﷺ : **« إن المرأة تُقبل فى صورة شيطان ، وتُدبر فى صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله ، فإن ذلك يردّ ما فى نفسه »**[(١)] وفى رواية : **« فليأت أهله ، فإن معها مثل الذى معها »** [(٢)] .

ومنها : إنه يعين على تحصين الفرج ، فإن هذه الغريزة أقوى الغرائز فى الإنسان ، فإذا اشتدت عليه فى أية ساعة وعنده المصرف الحلال الذى يصرفها فيه صرفها ، فسكنت نفسه ، وهدأت أعصابه ، وكان أملك لإربه ، ولا يملكه إربُه ، فإذا وُجد المصرف الحلال ، وأعرض عنه إنسان إلى الحرام ، فإنه عضو فاسد فى

(١) **صحيح** : م(١٤٠٣/١٠٢١/٢) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ١٩٣٥] ، ت(١١٦٨/٣١٣/ ٢) .

المجتمع ، يجب بتره لئلا يستشرى شرّه ، ويستفحل خطره ، ومن هنا أوجب الإسلام رجم الزانى المحصن بالحجارة حتى الموت ، بينما اكتفى فى الأعزب إذا زنى أن يجلد مائة .

ومنها : انتشار الفضيلة فى المجتمع ، واختفاء الرذيلة ، إذ أنه لا يبقى راغب فى الزواج ، قادر عليه إلا تزوج .

ومنها : صيانة الأنساب التى تجعل الأبناء دائماً مرفوعى الرأس أعزّة ، لأنهم أبناء نكاح لا أبناء سفاح .

ومنها : سلامة المجتمع من الأمراض الفتاكة التى تُشيعها الفاحشة ، مثل الزهرى ، والسيلان ، وما مرض الإيدز منكم ببعيد .

ومنها : تنمية روح المسئولية فى نفس الزوجين ، فالشاب قبل الزواج مهمل ، ضائع ، لايقوم بواجب ، ولايتحمل مسئولية ، فإذا تزوج وفتح بيتاً شعر بالمسئولية ، وعلم أن وقت اللهو والضياع قد انتهى ، وبدأ وقت الجد والنشاط ، والقيام بالواجب ، وأداء المسئولية ، وكذلك المرأة تشعر أنها صارت ربّة بيت ، مسئولة عن كل كبيرة وصغيرة فيه ، مسئولة عن جماله ونظافته ، مسئولة عن توفير الراحة لزوجها والعمل على سعادته ، ومن هنا تتحقق فائدة أخرى من فوائد الزواج وهى : حصول السكن المراد من الزواج ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(١) .

وبذلك تدوم المودة والرحمة ، والمحبة والألفة بين الزوجين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٢)

---

(١) الأعراف : ١٨٩ . (٢) الروم : ٢١ .

ومنها : غرس روح التعاون فى نفس الزوجين ، حيث يشعران أن هذا البيت الذى أسساه مسئوليتهما ، وأن المسئولية موزّعة عليهما ، فالرجل يخرج صباحاً لعمله خارج البيت ، والمرأة تقوم بعملها داخل البيت ، من تنظيف وغسيل وطبخ وغير ذلك من أنواع الخدمة المنزلية ، حتى إذا رجع الرجل آخر النهار - وقد أدّى ما عليه وجد البيت جنّة فسيحة ، وواحة مريحة ، فيها من كل ما يحب ، نتيجة قيام الزوجة بواجبها ، فيسكن إليها وتسكن إليه ، ويشكر لها وتشكر له .

ومنها : حصول الذرية التى تكون قرّة عين للوالدين ، ويحصل بها الأجر والثواب ، فإن مات الوالدان قبل الأولاد انتفعا بدعائهم واستغفارهم ، كما قال النبى ﷺ : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » (١) .

وقال ﷺ : « **إن الرجل لترفع درجته فى الجنة ، فيقول : يارب بم هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك** »(٢) .

وإن مات أحد الأولاد فى حياة أبويه كان سبب رحمتهما ومغفرة الله لهما ، كما قال ﷺ : « **قال الله تعالى : مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** » (٣) .

وقال ﷺ : « **إذا مات ولد العبد المؤمن قال الله للملائكة : أقبضتم روح ولد عبدى ؟ يقولون : نعم يا رب . أقبضتم ثمرة فؤاده ؟ يقولون : نعم يارب ، فيقول**

---

(١) صحيح : م(١٦٣١/١٢٥٥/٣)،د(٢٨٦٣/٨٦/١)،ت(١٣٩٠/٤١٨/٢)،نس(٦/٢٥١).

(٢) حسن : [ص . جه : ٢٩٥٣] ، جه (٣٦٦٠/ ١٢٠٧/ ٢) .

(٣) صحيح : خ (٦٤٢٤/ ٢٤١/ ١١) .

: فماذا قال عبدى ؟ يقولون : حمدك واسترجع . فيقول : يا ملائكتى ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسمّوه بيت الحمد » (١) .

ومنها : أن تكثر الطاقة البشرية التى هى أعظم الطاقات ، وأصل كل خير وبذلك تُهاب الأمة المسلمة من عدوها ، ويُباهى بها نبيها يوم القيامة ، كما قال ﷺ : **« تزوّجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأمم »**(٢) .

ومنها : تقوية الروابط بين العائلات والأسر بالمصاهرة ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾(٣) .

فالعائلات تنصهر فى بعضها البعض بالزواج وتصير العائلتان عائلة واحدة ، فتقوى الروابط ، وتزداد العلاقات وتتوطد الصلات ، حتى يشعر أبناء البلد جميعا أنهم عائلة واحدة ، وأسرة واحدة ، لتداخلهم فى النسب والمصاهرة .

ومنها : أن الزواج نصف الدين ، كما قال ﷺ : **« إذا تزوّج العبد فقد استكمل نصف دينه ، فليتق الله فى النصف الباقى »**(٤) .

ومنها حصول الأجر والثواب بالمباضعة ، كما قال ﷺ : **« وفى بُضع أحدكم صدقة »** . قالوا : يا رسول الله ! أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : **« أرأيتم لو وضعها فى الحرام أيكون عليه وزر ؟»** قالوا : نعم . قال : **« فإذا وضعها فى الحلال كان له أجر »** (٥) .

---

(١) **حسن** : [ص . ج : ٨٠٧] ، ت(١٠٢٦ / ٢٤٣ / ٢) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٢٩٣٧] ، د(٢٠٣٥ / ٤٧ / ٦) ، نس(٦٥ / ٦) .
(٣) الفرقان : ٥٤ .
(٤) **حسن** : [ص . ج : ٤٤٣] ، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٦٢٥) .
(٥) **صحيح** : م(١٠٠٦ / ٦٩٧ / ٢) .

لهذا كله وغيره من المصالح التى تترتب على الزواج وصّى النبى ﷺ الشباب بالزواج ، ورغّبهم فيه ، ووعدهم بمعونة الله عليه ، فقال ﷺ : « **ثلاثةٌ حقّ على الله عونهم ، المجاهد فى سبيل الله ، والعبد المكاتب ، والناكح للعفاف** »(١) .

وكذلك وصّى ﷺ أولياء أمور النساء بتزويج من يطرق أبوابهم من الشباب الطيّب الصالح ، فقال ﷺ : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** »(٢) .

إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوجوه ولا تسألوا عن شئ بعدما رضيتم دينه وخُلقه ، لا تسألوا عن حسبه ، لا تسألوا عن نسبه ، لا تسألوا عن وظيفته ، لا تسألوا عن درجته المالية ، لا تسألوه كم شبكة ستدفع ؟ وكم مهراً ستقدم ؟ وكم مؤخّراً ستكتب ؟ وكم غُرفة ستجهّز ؟

لاتسألوا عن هذا كله بعد ما رضيتم دينه وخلقه ، فدينُه حسبه ونسبه ، ودينُه جماله وشرفه ، وخُلُقه مهره ، ولا تفرضوا عليه أن يؤسس ويجهّز ، ولاتفرضوا عليه أن يسافرأوّلا ، ولاشيئاً من ذلك ألبتة ، بل زوّجوه ولو لم يكن عنده إلا خاتم من حديد ، لا من فضة ولا من ذهب ، لا ، بل زوّجوه ولو لم يكن عنده خاتم من حديد ، زوّجوه إذا كان معه سورٌ من القرآن ، سنة نبيكم ﷺ :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : إنى لفى القوم عند رسول الله ﷺ إذ قامت امرأة فقالت : يا رسول الله ! إنها قد وهبت نفسها لك ، فَرَ فيها رأيك . فلم يُجبها شيئا . ثم قامت فقالت : يا رسول الله ! إنها قد وهبت نفسها لك ، فَرَ

---

(١) **حسن** : [ص . جه : ٢٠٤١]، جه (٢٥١٨/ ٨٤١/ ٢)، ت(١٧٠٦/ ١٠٣/ ٣)، نس(٦١/ ٦) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ٢٦٧] ،ت(١٠٩٠/ ٢٧٤/ ٢)، جه (١٩٦٧/ ٦٣٢/ ١) .

فيها رأيك ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ! أنكحنيها ، قال : « **هل عندك من شئ ؟** » قال : لا . قال : « **اذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد** » ، فذهب وطلب ، ثم جاء فقال : ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديد . قال « **هل معك من القرآن شئ ؟** » قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا . قال : « **اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن** » [1] .

إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، فإن زوجتم ذا المال والغنى والحسب ، عديم الدين تكن فتنة فى الأرض ، وأى فتنة أعظم من وقوع امرأة صالحة تحت رجل فاجر فاسق متحلّل ، لا يعترف بدين ولاخُلق ، ولا يعترف بقيم ولا مبادئ ، أى فتنة أعظم من تزويج امرأة صالحة لرجل خبيث ، يُجبر المرأة على التبرج والسفور ، ويأمرها بمخالطة الرجال وخدمتهم ، والسهر عليهم وهم يلعبون الميسر ويشربون الخمر .

وكم رأينا من فتاة طيّبة ديّنة ، كانت صالحة قانتة ، ابتُليت برجل فاسق فتعلمت منه العهر والفجور واتخاذ الأخدان ؟

وإن لم تزوجوا ذا الدين والخلق يكن فساد كبير ، وأى فساد أعظم من فساد الدين ؟ وأى فساد أعظم من فساد الخلق ؟ وأى فساد أشدّ من فساد العرض وضياع الشرف ؟

إن المغالاة فى المهور أرهقت الظهور ، وتسببت فى إعراض الشباب عن الزواج ، حتى بلغوا من الكبر عتيّا ، وفاتهم شبابُهم ، وضاعت عليهم فرصة عمرهم ، أما تعلمون أن الشباب ينتهى عند الثلاثين ، فإذا تجاوز الرجل الثلاثين

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥١٤٩/ ٢٠٥/ ٩) واللفظ له ، م(١٤٢٥/ ١٠٤٠/ ٢)، د(٢٠٩٧/ ١٤٣/ ٦)، ت(١١٢١/ ٢٩٠/ ٢)، نس(١٢٣/ ٦) ، جه (١٨٨٩/ ٦٠٨/ ١) مختصرا .

من عمره قيل له كهل ، وإذا تجاوز الأربعين قيل له شيخ ؟

فانظروا - رحمكم الله - وتأملوا ، كم رجلاً يتزوج فى شبابه اليوم ؟ نكاد نجزم بالعدم، لأننا لانرى رجلا يتزوج الآن إلا بعد الثلاثين ، يعنى وهو كهل ،

فأين صرف الشباب ماء الحياة ؟ وأين أراقوه ؟ وكيف تخلصوا من عنفوان هذه الغريزة ؟

وانظروا ، كم من العوانس فى البيوت الآن ؟

فاتقوا الله يرحمكم الله ! اتقوا الله فى أنفسكم ، اتقوا الله فى شبابكم ، اتقوا الله فى بناتكم ، اتقوا الله فى مجتمعكم ، اتقوا الله فى الشرف ، اتقوا الله فى العرض، زوّجوا الشباب ، واستروا البنات ، وافتحوا البيوت ولا تنسوا ماضيكم .

بكم تزوجت أيها الأب ؟ وكم غُرفة جّهزت ؟ رحم الله أيام الحصيرة والصندوق ، فيسّروا ولا تعسّروا ، وبشروا ولاتنفروا .

ويا معشر الشباب ! جّدوا واعملوا واكسبوا ، اعملوا أى عمل ، فالعمل شرف ، والعامل بطل ، مهما كانت نوعية العمل ، وإياكم والكسل ، وإياكم والخمول ، وإياكم والحرص على الوظيفة ، والجلوس على المكتب ، ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾(١) واستعينوا بالله يعنكم ، كما وعدكم على لسان رسوله ﷺ ، واعلموا أنكم الذين تتسببّون فى شقاء أنفسكم ، بحرصكم على الزواج من بنت زيد وعمرو، دعوكم من زيد وعمرو ، وفلان وعّلان ، وعليكم بذات الدين ، كما وصاكم رسولكم الأمين ﷺ : « **تُنكح المرأة لأربع ، لمالها ،**

(١) الملك : ١٥ .

ولحسبها ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[١] .

* **وقوله ﷺ : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » :**

أى : من لم يستطع الزواج لعجزه عن مؤنه وتكاليفه فعليه بكثرة الصوم ، حتى يحدّ من شهوته ويكسر قوّتها ، فإن الطعام والشراب هما المادة التى تغذى ماء الحياة وتزيد فيه .

فإذا أكثر الشباب من الصيام انقطعت مادة الغذاء عن هذا الماء ، فسكن جريانه ، وانطفأت ثورته ، فلا يعانى الشباب من مقاومة هذه الغريزة ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [٢] .

وفى هذا الإرشاد النبوىّ الحكيم إشارة إلى أنه ليس ثمّ طريق آخر لقضاء الوطر ، وإشباع الغريزة ، سوى الزواج ، فالزواج هو السبيل الأوحد لذلك ، فمن استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ، فمن استسلم لنفسه وغلبته شهوته ، فصرفها فى غير هذا المصرف فقد بغى واعتدى ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝** ﴾[٣] .

فمن طلب مصرفاً يصرف فيه شهوته غير المصرف الحلال ، مصرف الزواج ،

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٠٩٠/ ١٣٢/ ٩) ، م (١٤٦٦ / ١٠٨٦/ ٢) ، د (٢٠٣٢/ ٤٢/ ٦) ، نس(٦٨/ ٦) ، جه (١٨٥٨/ ٥٩٧/ ١) .

(٢) النور : ٣٣ .

(٣) المؤمنين : ٥-٧ .

فهو باغ ، عاد ، ملوم .

فيا أيها الشباب ! اغضض بصرك ، واحفظ فرجك ، :

واحفظ منيّك ما استطعت فإنه ماء الحيـاة يصب فى الأرحام

واعلم أن فى إراقة ماء الحياة فى غير ما أحلّ الله إهداراً لهذا الماء ، ينتج عنه نقص فى دمك ، ووهن فى ظهرك ، وضعف فى بصرك ، وعجز عن الاستمتاع بالحلال إذا قدرت عليه ، فاستجب لوصية سيد المرسلين الذى بعثه ربّه رحمة للعالمين ، ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

الحديث الثالث والعشرون

كيف تربى أولادنا

عَنْ عَبد الله بن عَمرو بن العاص رضىَ اللهُ عنهُما قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « **مُرُوا أَولَادَكُمْ بالصلَاة وهُم أَبناءُ سَبْعٍ ، واضْرِبُوهُمْ علَيهَا وهُمْ أَبناءُ عَشْرٍ ، وفَرِّقُوا بَينَهُمْ فِى المَضَاجِعِ** »(١).

إن أولادنا هم ثمرة فؤادنا وفلذة كبدنا ، ومحطّ أنظارنا ، ومنتهى آمالنا وحملة اللواء من بعدنا ، ومتمّموا المسيرة بعد انتهائنا ، لا جرم اهتم الإسلام بالأولاد ، وأكثر من الوصايا بتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة ، حتى لا يسقط اللواء من أيديهم ، ولا يقفوا دون تكميل المسيرة ، وهذا الحديث واحد من هذه الوصايا .

وإذا دققنا النظر فى حياة النبى ﷺ العملية وجدنا أنه ﷺ كان يهتم بنفسه بتربية الأطفال وتعليمهم وتوجيههم وإرشادهم : يجلس يوماً على الطعام ويجلس معه عمر بن أبى سلمة رَبِيبُه ، فتطيش يدُ عمر فى الصحفة ، فيقول له ﷺ معلّماً مؤدّباً ومربياً : « **يا غلام : سمّ الله ، وكُل بيمينك ، وكُل مما يليك** »(٢)

وذات يوم يركب ﷺ دابته ، ويُردف ابن عمه عبد الله بن العباس ، فيجد قرب الغلام منه ، وأُنسه به ، فرصة لتعليمه ، فيقول له وهو كذلك :

---

(١) **حسن** : [ص. د : ٤٦٦] ، د(٤٩١/ ١٦٢/ ٢) .

(٢) **متفق عليه** : خ(٥٣٧٦/ ٥٢١/ ٩)، م(٢٠٢٢/ ١٥٩٩/ ٣)، د(٣٧٥٩/ ٢٥١/ ١٠) ، ت (١٩١٨/ ١٨٨/ ٣) .

« يا غلام ! إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف »[١] .

وإذا نظرنا فى القرآن الكريم وجدنا الله تعالى يأمرنا بتربية الأولاد فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾[٢] .

ووقاية النفس تكون بفعل الواجبات وترك المحرمات ، ووقاية الأهل تكون بأمرهم بالواجبات ونهيهم عن المحرمات .

كذلك نجد فى القرآن الكريم أن الله تعالى يأمرنا بتعويد أطفالنا على مكارم الأخلاق وجميل الآداب والعادات ، فيقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾[٣]

فالعبد المملوك والأمة ، ومن حلّ محلّهم اليوم من الخدم يحتاجون إلى كثرة التردد على ربّ البيت وربّته ، والدخول عليهما لخدمتهما وقضاء حاجتهما ،

---

(١) **صحيح** : [ص. ج: ٧٨٣٤]، أ(١٢/٢٦/١)، ت(٢٦٣٥/٧٦/٤) ، كم (٥٤١ / ٣) .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) النور : ٥٨ .

والأطفال أيضا محتاجون لكثرة التردد على آبائهم لحوائجهم ، والله تعالى يأمر الآبـــاء أن يعلموا هؤلاء الأطفال آداب الإستئذان .

ورفقاً بالأطفال يجعل الله سبحانه استئذانهم فى ثلاثة أوقات : ﴿ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ﴾ ، وذلك أن هذه الأوقات غالباً ما يضع الناس فيها ثيابهم فتتكشف عوراتهم .

وحتى لاتقع عين الطفل على عورة أبويه أو أحدهما يؤمر أن لايدخل عليهما فى هذه الأوقات حتى يستئذنهما ليتأهبا لدخوله بالتستر والحيطة .

حتى إذا بلغ مبلغ الرجال انتهت هذه الرخصة وأُمر بالإستئذان فى كل وقت ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[1] ، وحينئذ سيكون الأمر هيّناً ليّناً ، سهلاً على الشباب ، لايشق عليه ولايجد صعوبة فى الاستئذان كل وقت على أبويه ، لأنه تعود عليه .

ولقد أثنى الله تعالى على النبيين وعباده الصالحين الذى أعطوا أبناءهم من أوقاتهم ، واهتموا بتربيتهم ، وجعل هذا الثناء قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ، ليكون فى تلاوته ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فيقتدى بهم ، ويهتدى بهديهم ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾[2] .

---

(١) النور : ٥٩ .

(٢) مريم : ٥٤و٥٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(١) .

وتعترض وصيةُ الله للأبناء بالآباء وصية لقمان لابنه ، ثم تفصيل وصيته : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(٢) .

وما أحوجنا إلى هذه الموعظة ، نتدبرها ونعمل بها في أنفسنا ، ثم نعظ بها أبناءنا . ما أحوجنا إلى تعليم أبنائنا خطر الشرك وضرره ، وفضل التوحيد ونفعه! ما أحوجنا إلى أن نردد مع أبنائنا : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾(٣)

وما أحوجنا إلى أن نردد مع أبنائنا في فضل التوحيد : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٤) .

ما أحوجنا إلى أن نردد مع أبنائنا دعوة أبينا إبراهيم : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾(٥) .

---

(١) لقمان : ١٢و١٣ .
(٢) لقمان : ١٦-١٩ .
(٣) المائدة : ٧٢ .
(٤) الأنعام : ٨٢ .
(٥) إبراهيم : ٣٥ .

ما أحوجنا إلى أن نغرس فى نفوس أطفالنا مراقبة الله حتى ينتهوا عن كل قبيح ما أحوجنا أن نردد مع أطفالنا أن الله مطلع علينا، الله ناظر إلينا، الله شهيد علينا . ما أحوجنا أن نردد مع أطفالنا قول ربنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .(١)

ما أحوجنا أن نردد على مسامع أطفالنا وصية لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾(٢) ، فنغرس بذلك فى قلوب أطفالنا مراقبة ربّنا ، فإذا كلّف الطفل بعمل أتقنه ، وإذا دخل الامتحان لم يغش ، وإذا حدّث لم يكذب ، لأنه تربّى على مراقبة الله .

ما أحوجنا أن نردد مع أطفالنا قول ربنا : ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾(٣)، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾(٤)، ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ ﴾(٥) .

ما أحوجنا أن نردد مع أطفالنا قول نبيّنا : **« من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له فى الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح »**(٦) .

---

(١) المجادلة : ٧.
(٢) لقمان : ١٦ . (٣) النساء : ١٠٣ .
(٤) البقرة : ٤٣ . (٥) التوبة : ١٨ .
(٦) **متفق عليه** : خ(٦٦٢/١٤٨/٢) ، م(٦٦٩/ ٤٦١/ ١) .

« بشّر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[١] .

« ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذالكم الرباط ، فذالكم الرباط »[٢] .

« أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أيبقى من درنه شئ » ؟ قالوا : لايبقى من درنه شئ . قال : **« فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنّ الخطايا »**[٣] .

« إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطرة الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتْها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب »[٤] .

ما أحوجنا إلى أن نغرس فى نفوس أطفالنا حبّ الخير للناس كما قال ﷺ : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »**[٥] .

ما أحوجنا إلى أن نغرس فى نفوس أطفالنا أن لايذهب أحدهم إلى المسجد حتى يأخذ صديقه معه ، وأن لايذهب إلى المحفّظ حتى يأخذ صديقه معه ،

---

(١) صحيح : [ص . د : ٥٢٥] ، د(٢/٢٦٨/٥٥٧)، ت(١/١٤٢/٢٢٣) .
(٢) صحيح : م (١/٢١٩ /٢٥١) ،ت(١/٣٦/٥١) ، نس (١/٨٩) .
(٣) متفق عليه : خ(٢/١١/٥٢٨) ، م (١/ ٤٦٢ /٦٦٧) .
(٤) صحيح : م (١/ ٢١٥ /٢٤٤) ،ت (١/٤/٢) .
(٥) متفق عليه : خ (١/ ٥٦ /١٣)،م (١/ ٦٧ /٤٥) ، ت(٤/ ٧٦ /٢٦٣٤) ، نس(٨/١١٥)، جه (١/٢٦/٦٦) .

فيتعود الطفل على حب الخير للناس ودعوتهم إليه ، كما يتعود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ما أحوجنا إلى أن نردد مع أطفالنا وصيّة لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[٤] .

ما أحوجنا إلى أن نعلم أبناءنا كيف يحترمون الناس ، وكيف يخاطبونهم ، وكيف يتأدبون فى الحديث معهم ، فإذا خاطب الصغير الكبير خاطبه بأدب ، وناداه باحترام ، كأن يقول : يا عماه ، أو يا أبتاه ، وإذا تكلم الكبير أنصت له وأقبل عليه ، ولم يقاطعه حتى يُنهى حديثه .

ما أحوجنا إلى أن نعلّم أبناءنا صفة المشى وآداب الطريق ، ما أحوجنا إلى أن نعلم أبناءنا إذا مشى أحدهم فى الشارع أن يمشى بسكينة ووقار وأدب ، وأن لا يكثر الالتفاف ، وأن لا يسرع فوق العادة ، وأن لا يضرب الحجارة بقدمه ، ولا يرميها بيده ، وأن لا يعبث بممتلكات الناس التى يجدها فى طريقه من زرع أو طير أو سيارة ونحو ذلك .

ما أحوجنا أن نعلمهم صفة المشى إلى المساجد ، وصفة دخولها ، وكيف يكونون فيها . ما أحوجنا إلى أن نعلّم أطفالنا حرمة المساجد وضرورة المحافظة عليها وعلى نظافتها وعلى أثاثها .

ما أحوجنا إلى أن نعلم أطفالنا فضل تنظيف المساجد واخراج القمامة منه ما أحوجنا إلى أن نعلم أطفالنا كيف يحترمون الكبار فى المسجد ، فلا يتخطونهم ، ولا يتقدمون عليهم ، ولا يزاحمونهم فى الصفوف الأولى .

---

(١) لقمان : ١٧ .

ما أحوجنا إلى أن نرفع مع أطفالنا وصية لقمان لابنه :

﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[١]

ما أحوجنا إلى أن نردد مع أطفالنا قول ربنا : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ ﴾[٢] .

ما أحوجنا إلى أن نردد مع أطفالنا قول نبينا :

« **إماطة الأذى عن الطريق صدقة** »[٣] ، « **الكلمة الطيبة صدقة** »[٤] ،

« **ليس منّا من لم يجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه** »[٥] .

ما أحوجنا إلى أن نردد على بناتنا قول ربنا : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٦] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[٧] .

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[٨] .

---

(١) لقمان : ١٨و١٩ .
(٢) الفرقان : ٦٣ .
(٣) **صحيح** : [ص . د : ١١٤٣] ، د(١٢٧١ / ١٦٤ / ٤) .
(٤) **متفق عليه** : خ (٢٩٨٩ / ١٣٢ / ٦) ، م(١٠٠٩ / ٦٩٩ / ٢) .
(٥) **حسن** : [ص . ج : ٥٣١٩] ، أ(٦ / ١٤٧ / ١) ، كم (١٢٢ ، ١) .
(٦) الأحزاب : ٣٣ .
(٧) الأحزاب : ٥٩ .
(٨) النور : ٣١ .

ما أحوجنا إلى أن نعلم أولادنا دخول البيت بعد صلاة العشاء ، فمن شاء نام ومن شاء ذاكر ، فقد كان ﷺ يكره النوم قبل صلاة العشاء والسهر بعدها .(١)

ما أحوجنا إلى الفصل بين البنين والبنات فى الفراش ، بل ما أحوجنا إلى الفصل بين البنين أنفسهم بعضهم عن بعض والبنات أنفسهن بعضهن عن بعض ما أحوجنا إلى تخصيص كل ولد بفراش ، فإن النائم ميت ، وقد يفعل النائم أفعالاً تؤذى جاره ، وقد يتكلم كلاماً يؤذى جاره ويخدش حياءه ، ولذلك قال ﷺ : **« وفرّقوا بينهم فى المضاجع »** ، وهذا التفريق لا يكون لعشر ، بل قال ﷺ : **« إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم »**(٢) .

وقال ﷺ : **« لا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد ، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى ثوب واحد »** (٣) .

هذا هو واجب الآباء نحو الأبناء ، فهل يقوم الآباء بهذا الواجب ؟ .

وهل يقدرون هذه المسئولية حق قدرها ؟! إنها والله مسئولية عظيمة سيسألون عنها غداً ، يوم يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، ثم يقول للملائكة : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤) .

قال النبى ﷺ : **« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها »**(٥)

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٤٧/ ٢٦/ ٢)، م(٦٤٧/ ٤٤٧/ ١)، م(٣٩٤/ ٦٩/ ٢)، نس(٢٤٦/ ١) .

(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٤١١] قط (١/ ٢٣٠/ ١) ، كم (٢٠١/ ١) .

(٣) **صحيح** : م(٣٣٨/ ٢٦٦/ ١)، د(٣٩٩٩/ ٥٨/ ١١)، ت(٩٤٥/ ١٩٦/ ٤) .

(٤) الصافات : ٢٤ .

(٥) **متفق عليه** : خ (٧١٣٨/ ١١١/ ١٣) ، م(١٨٢٩/ ١٤٥٩/ ٣) .

فاتقوا الله عبادالله فى أولادكم ، ربّوهم التربية الصحيحة ، وأدبّوهم بالآداب الجميلة ، وعلّموهم مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، فإن هؤلاءالأطفال هم رجال الغد وصانعوا المستقبل .

وإذا كنا نشكوا من واقعنا المعاصر فهلا نعمل على تغيير مستقبلنا إلى الأحسن بإعداد رجاله وقوّاده من الآن ، وهم فى أيدينا صفحة بيضاء ، وعجينة طرية سهلة التشكيل .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

---

(١) إبراهيم : ٤٠و٤١ .

الحديث الرابع والعشرون

من آداب النوم

عَنِ الْبَراء بن عَازِب رضيَ اللَّه عنهُ قالَ : قالَ لي رسُولُ اللَّه ﷺ : «إذَا أَخذْتَ مَضْجعَكَ فَتَوضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاة ، ثُمَّ اضْطَجعْ علَى شقِّكَ الأيْمَن ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهي إليْكَ ، رَغْبَةً وَرهْبَةً إلَيْكَ ، لا مَلجأَ وَلا مَنْجَى منْكَ إلا إلَيْك ، آمَنْتُ بكتَابكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَنَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلتَ ، واجْعَلْهُنَّ منْ آخر كَلامكَ ، فَإنْ متَّ منْ لَيْلَتكَ متَّ على الفطْرَة ، وإنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْراً » . قَالَ : فَرَدَّدْتُهُنَّ لأسْتَذْكرَهُنَّ ، فَقُلْتُ : آمَنْتُ برَسُولكَ الَّذي أَرْسَلْتَ ، قال : « قل آمَنْتُ بنَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ » (١) .

قوله ﷺ : « **إذا أخذت مضجعك** » : أي إذا أويت إلى فراشك لتنام . « فتوضأ وضوءك للصلاة » أي توضأ وضوءاً كاملاً مثل وضوئك إذا أردت الصلاة . وهذا الوضوء عند النوم له فضائل وفوائد :

فمن فضائله قوله ﷺ : « **ما من مسلم يبيت على ذكر وطهاره فيتعارّ من الليل فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه** »(٢)

---

(١) **متفق عليه** : خ (٦٣١١ / ١٠٩/ ١١)، م(٢٧١٠/ ٢٠٨١/ ٤)، ت(٣٤٥٤/ ١٣٥/ ٥)، د(٥٠٢٥/ ٣٨٨/ ١٣) ، جه ((٣٨٧٦/ ١٢٧٥/ ٢).

(٢) **صحيح** : [ص.د : ٤٢١٦] ، د(٥٠٢١/ ٣٨٦/ ١٣)، جه (٣٨٨١/ ١٢٧٧/ ٢).

وقوله ﷺ : « **من بات طاهراً بات فى شعاره مَلَك ، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً** »(١) .

ومن فوائده : أن يبيت على طهارة ، حتى إذا بغتـه الموت كـان على هيئـة كاملة . ومنها أن يكون أصدق لرؤياه ، وأبعد من تلاعب الشيطان به .

ويتأكد هذا الوضوء فى حق الجنب ، لحديث عبد الله بن عمر أن عمر قال لرسول ﷺ : أيرقد أحدُنا وهو جنب ؟ قال : « **نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد** »(٢)

* « **ثم اضطجع على شقِّك الأيمن** » : يعنى لأنه أفضل هيئات النوم . ولما كان النوم أخا الموت ، والنائم بمنزلة الميت ، لايشعر بالدواب والهوام التى قد تؤذيه ، كان بحاجة إلى من يحرسه فى نومه ، ويحفظه من هذه الدواب والحشرات ، وليس هناك من حافظ يحفظه وغيرَه فى مثل هذه الحالة إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾(٣)

لما كـان كـذلك أرشد النبى ﷺ من أراد النوم أن يستـدعى حـفظ ربه له بهـذه الكلمات :

* « **اللهم أسلمت نفسى إليك** » : فأنا منقاد لك ، خاضع لأوامرك ، ماضٍ فىَّ حكمُك ، راضٍ بقضائك وقدرك ، فأنت المعطى المانع ، النافع الضارّ ، لاتقضى لعبدك المؤمن قضاء إلا وهو خير له ، وهو لا يقدر على جلب نفع ، ولا كشف ضُر بعيداً عنك ، كما قلت وقولك الحق : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾(٤) .

---

(١) حسن : [س ص ٢٥٣٩]، حب (١٦٧/ ٦٩) .
(٢) **متفق عليه** : خ (٢٨٧/ ٣٩٢/ ١) م(٣٠٦/ ٢٤٨/ ١) .
(٣) الأنبياء : ٤٢ . (٤) فاطر : ٢ .

وقلت : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1] .

فاللهم أسلمت نفسى إليك ، واستودعتها عندك فى هذا النوم ، وأنت خير حافظا ، فإن أمسكت نفسى لانقضاء أجلها ، ولم تردّها علىّ فارحمها ، وإن أرسلتها لتستوفى أجلها ورزقها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] فالمؤمن يعلم أنه قد ينام فيموت ولا يقوم ، فهو يتهيأ للموت كل ليلة ، فيتوضأ ليطهر بدنه ، ويستغفر ربه ويذكره ليطهر قلبه، ثم يسلم نفسه لله عن طواعية ، فإن ردّها الله عليه حمده ، وإن أمسكها رجى أن يرحمها .

* « **ووجهت وجهى إليك** » : فأنت الصمد ، المقصود بالأعمال كلها ، فلا أقصد بعملى غيرك ، ولا أشرك بك أحدا ، وإنما أتوجه إليك وحدك فأعبدك مخلصاً لك الدين ، كما أمرت الأولين والآخرين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾[5] .

---

(١) يونس : ١٠٧ . (٢) الزمر : ٤٢
(٣) الأنعام : ١٦٢و١٦٣ . (٤) غافر : ١٤ . (٥) البينة : ٥ .

وقال النبى ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركتُه وشركه** »[١] .

وقال ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »[٢]

* « **فوّضت أمرى إليك** » : أى تركت لك الأمر كلّه ، تصرّفه كيف شئت ، وأنا متوكّل عليك ، معتصم بك ، راضٍ بقضائك ، فأنت نعم الوكيل ، ومن يتوكل عليك كفيته ، كما قلت وقولك الحق : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٣] . ولقد أمر الله تعالى بالتوكل عليه ، وجعله من أمارات الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٤] ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٦]

وكان النبى ﷺ يرغب فى التوكل ويبيّن فضله فيقول : « **لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصاً وتروح بطانا** »[٧] .

---

(١) **صحيح** : م (٢٩٨٥/ ٢٢٨٩/ ٤) .

(٢) **متفق عليه** : خ (١/٩/١) ، م (١٩٠٧/ ١٥١٥/ ٣) ، د (٢١٨٦/ ٢٨٤/ ٦) ، ت(١٦٩٨/ ١٠٠/ ٣) ، نس (٥٩/ ١) ، جه (٤٢٢٧/ ١٤١٣/ ٢) .

(٣) الطلاق : ٣.

(٤) إبراهيم : ١١ .

(٥) المائدة : ٢٣ .

(٦) الأنفال : ٢ .

(٧) **صحيح** : [ص . جه : ٣٣٥٩] ، جه (٤١٦٤/ ١٣٩٤/ ٢) ، ت(٢٤٤٧/ ٤ / ٤) .

ويقول ﷺ : « **من قال** - يعنى إذا خرج من بيته - **بسم الله ، توكلت على الله ولاحول ولا قوة إلا بالله ، يقال له هُديت وكُفيت ووُقيت ، وتنحّى عنه الشيطان**»[(١)] . وفى رواية : « **فيقول الشيطان لآخر : كيف لك برجل قد هُدى وكُفى ووُقى** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب** » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **هم الذين لايسترقون ، ولايتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون** »[(٣)] .

والتوكل على الله لايُنافى الأخذ بالأسباب ، ولذلك قال ﷺ : « **اعقلها وتوكل**» ، جواباً لمن قال : أُطلقها وأتوكل ؟ أم أعقلها وأتوكل ؟ فقال : « **اعقلها وتوكل** »[(٤)] .

ولذا قال تعالى لمريم وقد وضعت عيسى تحت جذع نخلة : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾[(٥)] ، والنخلة لا تهزّ من جذعها ولا يتساقط الرّطب بهذا الهز ، وإنما أراد أن يعلمنا فى شخصها ضرورة الأخذ بالأسباب ، ولذلك قيل :

الم تر أن الله قال لمريم وهزّى إليك بجزع النخلة تساقط الرطب
ولو شاء أسقطه من غير هزّها ولكن كل شىء له سبب

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٦٢٩٥] ، ت(٣٤٨٦/ ١٥٤/ ٥) .
(٢) **صحيح** : [ص . د : ٤٢٤٩] ، د(٥٠٧٣/ ٤٣٧/ ٦٣) .
(٣) **صحيح** : م (٢١٨/ ١٩٨/ ١) .
(٤) **حسن** : [ص . ج : ١٠٧٩] ، ت(٢٦٣٦/ ٧٦/ ٤) .
(٥) مريم : ٢٥ .

ولذلك لما أراد سيدُ المتوكلين محمد ﷺ أن يهاجر من مكة إلى المدينة من غير أن تشعر به قريش أخذ بالأسباب ، فاستأجر الدليل وأوى إلى الغار حتى تهدأ الرِّجل ، ويرجع الطلب ، فلما انتهت قريش إلى الغار وقامت عليه قال أبو بكر : يا رسول الله ! لو نظر أحـــدهم تحت قدميه لرآنا ؟ فما كان منه ﷺ إلا أن قـال : **« يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما »**(١) .

وفى ذلك يقول ربنا ســبحانه : ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾(٢) .

* **« وألجـأت ظهـرى إليك »** : أى اعتمـدت عليك فى أمورى كـلهـا لتعيننى عليها، فأنت القوىّ وأنا الضعيف ، وأنت القادر وأنا العاجز ، لاحول لى ولا قوة ، إنما الحول والقوّة لك ، ولا حول ولاقوّة إلا بك ، فمنك وحدك تستمد القوة والقدرة ، فأنت ذو القوّة المتين ، من استعان بك فهو القوىّ ، ومن استعان بغيرك فهو الضعيف ، ومن ركن إليك فقد ركَنَ إلى رُكْن شديد ، ومن ركن إلى غيرك فقد ركن إلى بيت العنكبوت ، ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾(٣) فاللهم بك أصول وبك أجول ، وإياك أعبد وإياك أستعين .

ولما كان العبد دائماً طالباً لمصالحه ، هارباً من مضارّه ، علّمه النبى ﷺ أن يقول فى دعائه : **« رغبةً ورهبةً إليك » :**

أى رغبـةً فـيـما عندك من الرحـمـة والثـواب ، ورهبـةً مما عندك من العـذاب

---

(١) **متفق عليه** : خ (٣٦٥٣/ ٨/ ٧) ، م(٢٣٨١/ ١٨٥٤/ ٤)، ت(٥٠٩٤/ ٣٤٢/ ٤) .
(٢) التوبة : ٤٠ .
(٣) العنكبوت : ٤١ .

والعقاب ، فأنا أرجو رحمتك ، وأخشى عذابك ، ولايبلغنى رحمتك إلا فضلُك ، ولا ينجينى من عذابك إلا كرمك ، وهذه حال النبيين وعباد الله الصالحين :

قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[٢] .

فالرجاء والخوف جناحان يطير بهما المسافر إلى ربه ، ولايتم الطيران إلا باعتدال الجناحين ، أو رجحان أحدهما على الآخر رجحانا خفيفا ، وقد استحب العلماء للعبد فى حال الصحة أن يغلب خوفُه رجاءه ، واستحبوا له فى حال المرض أن يغلب رجاؤه خوفَه ، حتى يموت وهو يُحسن الظنّ بالله عز وجل ، كما قال ﷺ : « **لايموتنّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله** »[٣] . ودخل ﷺ على شاب يعوده وهو فى مرض الموت ، فقال : « **كيف تجدك ؟** » . قال : يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبى . فقال ﷺ : « **لايجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا بلّغه الله ما يرجو ، وأمّنه مما يخاف** »[٤] .

*** « لا ملجأ ولامنجى منك إلا إليك » :**

---

(١) الأنبياء : ٨٩و٩٠ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) **صحيح** : م(٢٨٧٧/ ٢٢٠٥/ ٤)، د(٣٠٩٧/ ٣٨٢/ ٨)، جه (٤١٦٧/ ١٣٩٥/ ٢) .

(٤) **حسن** : [ص . جه : ٣٤٣٦] ، جه (٤٢٦١/ ١٤٢٣/ ٢)، ت(٩٨٨/ ٢٢٧/ ١) .

يعنى أنه ليس للعبد ملجأ يلجأ إليه هرباً من ربّه إلا ربّه ، وليس له ما ينجيه من ربّه إلا ربُّه ، كما كان ﷺ يقول : « **أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك** »[1] ، ولذا قيل : كل شئ تخافه تهرب منه ، إلا الله ، فإذا خفت منه هربت إليـــه ، فهـو سبحانه الذى يُعيذ عبده ويُنجيه من بأسه ، فمنه البلاء ومنه العافية ، ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)** ﴾[2] ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)** ﴾ .

﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧)** ﴾[3] .

ثم ختم الدعاء بالإقرار بالإيمان بكتابه ورسوله الذى هو ملاك النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة ، فقال :

* **« آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيّك الذى أرسلت » :**

يحتمل أن يراد بالكتاب القرآن ، وبالنبى محمد ﷺ ، ويحتمل أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل كل كتاب أنزل ، وكذلك النبى يشمل كل نبىّ أرسل ، وهذه هى حقيقة الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تفرّق بين أحد من رسله ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾[4] .

---

(١) **صحيح** : م(٤٨٦/ ٣٥٢/ ١)، د(٨٦٥/ ١٣٢/ ٣)، ت(٣٥٦٢، ٣٥٦٣/ ١٨٧/ ٥) .

(٢) الذريات : ٥٠و٥١ .

(٣) الشورى : ٤٧ .

(٤) النساء : ١٣٦ .

وقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾[١] .

وقوله ﷺ : **« واجعلهن من آخر كلامك »**

يعنى لتكن هذه الكلمات آخر ما تتكلم به ، ومعنى ذلك أن هناك كلاماً قبل هذه الكلمات ، ومنه : **باسمك اللهم أحيا وأموت** .[٢]

« باسمك ربّى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .[٣]

« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » .[٤]

« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافىَ له ولامُؤوى »[٥] .

« اللهم فاطرَ السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، ربّ كلّ شئ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شرّ نفسى ، وشرّ الشيطان وشركه »[٦].

---

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) **صحيح** : خ(٦٣١٢/ ١١٣/ ١١) ، ت(٣٤٧٧/ ١٤٦/ ٥)، د(٥٠٢٨/ ٣٩١/ ١٣) .

(٣) **متفق عليه** : خ(٦٣٢٠/ ١٢٥/ ١١) ، م(٢٧١٤ / ٢٠٨٤/ ٤) ،ت(٣٤٦١/ ١٣٩/ ٥)، د(٥٠٢٩/ ٣٩١ /١٣) .

(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٤٥٣٢] ، د (٥٠٢٤ / ٣٨٨ / ١٣) .

(٥) **صحيح** : م (٢٧١٥/ ٢٠٨٥/ ٤) ، ت(٣٤٥٦/ ١٣٦/ ٥)، د(٥٠٣٢/ ٣٩٤/ ١٣) .

(٦) **صحيح** : [ص. د : ٤٢٣٥] ، د(٥٠٤٦/ ٤٠٦/ ١٣)، ت(٣٤٥٢/ ١٣٤/ ٥) .

ثم تقرأ آية الكرسىّ [١] ، وخواتيم البقرة [٢] ، والكافرون [٣]، ثم تجمع كفّيك وتنفث فيهما ، وتقرأ الإخلاص والمعوذتَيْن ، ثم تمسح وجهك ورأسك وما استطعت من جسدك ، وتكرر ذلك ثلاث مرات . [٤] .

ثم تقول : **سبحان الله** ، ثلاثاً وثلاثين ، **والحمد لله** ، ثلاثاً وثلاثين ، **والله أكبر** أربعاً وثلاثين . [٥] .

وإن وجدت همة فى نفسك ، ونشاطاً فى بدنك فاقرأ السجدة وتبارك الذى بيده الملك [٦] ، والزمر [٧]، والإسراء [٧]، وإن ضعفت فاقرأ ما تيسر منها . ثم قل « **اللهم أسلمت نفسى إليك ... واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة** » أى على الإسلام ، فالإسلام هو دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وفطرهم عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠)** ﴾[٨] .

ويؤيد أن المراد بالفطرة الإسلام قولُ النبى عليه الصلاة والسلام :

---

(١) **صحيح** : خ (٢٣١١/ ٤٨٧/ ٤) تعليقا .
(٢) **متفق عليه** : خ(٥٠٠٩/ ٥٥/ ٩) ، م(٨٠٨/ ٥٥٥/ ١)، ت(٣٠٤٣/ ٢٣٤/ ٤) ، د(١٣٨٤/ ٢٧٤/ ٤)، جه (١٣٦٩/ ٤٣٦/ ١) .
(٣) **صحيح** : [ص . د : ٤٢٢٧] ، د(٥٠٣٤/ ٣٩٥/ ١٣) ، ت(٣٤٦٣/ ١٤٠/ ٥) .
(٤) **صحيح** : خ (٥٠١٧/ ٦٢/ ٩) ، ت (٣٤٦٢/ ١٣٩/ ٥) .
(٥) **متفق عليه** : خ (٣٧٠٥/ ٧١/ ٧) ، م (٢٧٢٧/ ٢٠٩١/ ٤) ، ت (٣٤٦٩/ ١٤٢/ ٥)، د(٢٩٧٢/ ٢١٣/ ٨) .
(٦) **صحيح** : [ص. ج : ٤٧٤٩] ، ت(٣٤٦٥/ ١٤٠/ ٥) .
(٧) **صحيح** : [ص. ج : ٤٧٥٠] ، ت(٣٤٦٦/ ١٤١/ ٥) .
(٨) الروم : ٣٠ .

« **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه** » [1] ،

فذكر اليهودية والنصرانية والمجوسية ، ولم يذكر الإسلام ، ولم يقل « يسلمانه » فأفاد أنه يولد على الإسلام ، ثم يأتيه التغيير من الخارج .

« **فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيرا** » في دينك ودنياك ، فإن هذا اليوم الجديد فرصة لكسب خيرى الدنيا والآخرة .

قال البراء : « فردّدتهن لأستذكرهن » ، يعنى أنه بعد ما سمع هذه الكلمات من رسول الله ﷺ جعل يردّدهن ليحفظهنّ ويثبّتهن ، فقال أثناء هذا الترديد : «آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ورسولك الذى أرسلت » ، فقال ﷺ : « **لا ، ونبيّك الذى أرسلت** » . فقد بدّل لفظ نبيّك بلفظ رسولك ، فأنكر عليه النبى ﷺ هذا التبديل ، وأمره أن يحافظ على اللفظ الذى سمعه منه ﷺ .

قال العلماء : والحكمة فى ذلك أن ألفاظ الأذكار توقيفية ، ولها خصائص وأسرار لايدخلها القياس ،فتجب المحافظة على اللفظ الذى ورد ، والعدد الذى قيدت به ، فإن مثل أعداد الأذكار كمثل تركيب الدواء ، ملليجرام زيادة أو نقص قد يجعل الدواء سمّا قاتلا .

وكذلك الأذكار المقيدة بعدد ، مخالفتها عمداً بالزيادة والنقص تضر الذاكر ، وتوجب له العقاب على المخالفة ، بدلاً من الثواب على الذكر .

فليتق الله أناس أحدثوا أذكاراً ما أنزل الله بها من سلطان ، وقيدوها بأعداد ليس عليها أثارة من علم .

وليتذكروا قول ابن مسعود رضى الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

---

(١) **متفق عليه** : خ (١٣٥٩, ٢١٩, ٣)، م(٢٦٥٨/ ٢٠٤٧/ ٤) .

الحديث الخامس والعشرون

أحكام الأذان

عَنْ عَبْد اللَّه بن عَمْرو بن الْعَاص رَضِيَ اللَّهُ عنهُمَا أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول : « إذَا سَمِعْتُم الْمؤَذِّنَ فَقُولُوا مثْلَ ما يَقُول ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فإنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ بهَا عَلَيْه عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللَّه لِيَ الْوَسيلَةَ فإنَّهَا مَنْزلَةٌ في الجَنَّة لا تَنْبَغي إلا لعبْد منْ عبَاد اللَّه ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنَا هُو ، فَمَنْ سَألَ اللَّهَ لِيَ الْوَسيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ » (1).

الأذان لغة : الإعلام ، قال تعالى : ﴿وأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُوله﴾ (2) أى إعلام . وشرعاً : الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة . (3)

وكان ابتداؤه فى المدينة فى السنة الأولى من الهجرة ، وذلك أن المسلمين حين قدموا المدينة كانوا يجتمعون فيتحيّنون الصلاة ، ليس يُنادى لها ، فتكلّموا يوماً فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود . (4)

وكأن النبيّ ﷺ أراد أن يأمر بالنا قوس فصرفه الله عن ذلك لما فيه من التشبه بالنصارى ، برؤيا رآها أحدُ أصحابه :

---

(1) **صحيح** : م(384/ 288/ 1)، د(519/ 225/ 2)، ت(3694/ 247/ 5)، نس(25/ 2) .

(2) التوبة : 3 .

(3) فتح البارى (77/ 2) .

(4) **متفق عليه** : خ(604/ 77/ 2)، م(377/ 285/ 1)، ت(190/ 123/ 1)، نس(2/ 2) .

عن عبد الله بن زيد بن عبد ربّه قال : لما أجمع رسول الله ﷺ أن يضرب بالناقوس وهو له كاره لموافقته النصارى ، طاف بى من الليل طائف وأنا نائم ، رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، وفى يده ناقوس يحمله ، قال : فقلت يا عبد الله ! أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت : بلى . قال : تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبرُ الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، الله أكبرُ الله أكبر ، لا إله إلا الله .

ثم استأخر غير بعيد فقال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة :

الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبرُ الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : فلما أصبحتُ أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت ، فقال : « **إن هذه الرؤيا حقٌ إن شاء الله** » ، ثم أمر بالتأذين ، فكان بلال مولى أبى بكرٍ يؤذن بذلك»[1] .

قال القاضى عياض : وهذه الألفاظ كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ، مشتملة على نوعيّة من العقليات والسمعيات ، فأوّله إثبات الذات ، وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضداده ، وذلك بقول الله أكبر ، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالّة على ما ذكرناه ، ثم صرّح بإثبات الوحدانية ونَفْيِ ضدها من

---

(١) **حسن صحيح** :[ص.د : ٤٦٩] ، أ(٢٤٤/١٤/٣)،د(٤٩٥/١٦٩/٢)، ت (١٨٩/ ١٢٢ /١) مختصرا ، جه (٧٠٦ / ٢٣٢/١) .

الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد ، المقدّمة على كل وظائف الدين .

ثم صرّح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبيّنا ﷺ ، وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية ، وتلك المقدمات من باب الواجبات ، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى .

ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات ، فدعاهم إلى الصلاة ، وعقبها بعد إثبات النبوة ، لأن معرفة وجوبها من جهة النبى ﷺ لا من جهة العقل .

ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء فى النعيم المقيم ، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء ، وهى آخر تراجم عقائد الإسلام .

ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلان بالشروع فيها ، وهو متضمن لتأكيد الإيمان ، وتكرار ذكره عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان ، وليدخل المصلّى فيها على بينة من أمره ، وبصيرة من إيمانه ، ويستشعر عظيم مادخل فيه ، وعظيم حق من يعبده ، وجزيل ثوابه . أهـ [(١)]

فلما كانت ألفاظ الأذان متضمّنة هذه المعانى العظيمة عظم ثوابُها ، وأجرُ من أذّن بها :

قال ﷺ : « **المؤذّن يُغفر له مدّ صوته ، وأجرُه مثل أجر من صلّى معه** » . [(٢)]

وقال ﷺ : « **المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة** » [(٣)] .

وقال ﷺ : « **من أذن ثنتَىْ عشـرةَ سنةً وجبت له الجنة ، وكُتـب له بتأذينه فى كل**

---

(١) مسلم بشرح النووى (٤/٨٩) .

(٢) صحيح : [ص . ج : ١٨٣٧] ، نس(٢/١٣) .

(٣) صحيح : م (٣٨٧/ ٢٩٠/ ١) ، جه ٧٢٥/ ٢٤٠/ ١) .

يوم ستّون حسنة ، وبإقامته ثلاثون حسنةً .» (١)

والأذان واجبٌ لا يجوز تركه ، فإذا اجتمع أهل بلدة على تركه قوتلوا :

عن أنس « أن النبى ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينتظر ، فإن سمع أذاناً كفّ عنهم ، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم »(٢) .

ومشروعيته ثابتة فى الحضر والسفر ، للجماعة والمنفرد ، للحاضرة والفائتة :

عن مالك بن الحويْرث أن النبى ﷺ قال لهم وقد رجعوا من عنده إلى أهليهم : **« إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم »** . (٣)

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة الأنصارى أن أبا سعيد الخدرى قال له : **« إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌ ولا إنسٌ ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة »** . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ(٤)

وعن أبى قتاده رضى الله عنه أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة خيبر بات ذات ليلة حتى أصبح ، فأمر بلالاً فأذن وأقام .(٥) وبوّب البخارى لهذا الحديث : باب الأذان بعد ذهاب الوقت .

فإن تعدّدت الفوائت أذّن أذاناً واحداً ، وأقام لكل صلاة :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « إن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله ، فأمر بلالاً فأذن ،

---

(١)صحيح : [ص . ج : ٥٨٧٨] ، جه (٧٢٨/ ٢٤١/ ١)، كم(٢٠٥/ ١) .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦١٠/ ٨٩/ ٢)وهذا لفظه ، م(٣٨٢/ ٢٨٨/ ١) بمعناه .

(٣) **صحيح** : خ(٦٣١ / ١١١/ ٢) .

(٤) **صحيح** : خ (٦٠٩/ ٨٧/ ٢) ، نس (١٢/ ٢) .

(٥) **متفق عليه** : خ(٥٩٥/ ٦٦/ ٢) ، م(٦٨١/ ٤٧٢/ ١)، د(٤٣٣/ ١٠٧/ ٢) .

ثم قام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء » (١)

ويستحب للمؤذن أن يبتغى بأذانه وجه الله ، فلا يأخذ عليه أجرا ، وأن يكون طاهراً من الحدثين ، وأن يكون قائما مستقبل القبلة ، وأن يلتفت برأسه وعنقه يمينا عند قوله حىّ على الصلاة ، وشمالاً عند قوله حىّ على الفلاح ، وأن يُدخل إصبعيه فى أذنيه ، وأن يرفع صوته ، ،وأن يسّر بالشهادتيْن أوّلا ، ثم يرفع بهما صوته ، وأن يفصل بين الأذان والإقامة بوقت حتى يقضى المتوضئ حاجته فى مهل ، ويفرغ الآكل من طعامه فى مهل (٢) .

ويستحب لمن سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول ، فإذا قال : الله أكبرُ الله أكبر ، قال الله أكبرُ الله أكبر ، فإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله ، قال أشهد أن لا إله إلا الله ، فإذا قال أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : وأنا أشهد أن محمد رسول الله ﷺ ، رضيت بالله ربّا ، وبمحمد رسولا ، وبالإسلام دينا ، فإذا قال : حىّ على الصلاة جاز له أن يقول حىّ على الصلاة ، أو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، أو يجمع بينهما ، وكذلك إذا قال : حىّ على الفلاح . والسر فى قوله عند الحيعلة لا حول ولا قوة إلا بالله أن المؤذن يدعوه إلى الصلاة وهو يقول : قد سمعت دعوتك ، وعزمت على إجابتك ، ولكن لاحول لى ولاقوة ، وإنما الحول والقوة لله ، فكأنه يتبرأ من حوله وقوته ليستعين بحول الله وقوته ، ليحقق معنى قوله فى الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فإذا قال : الله أكبرُ الله أكبر ،

(١) **صحيح** : [ص. نس: ٦٣٨] ، نس (٢٧٩/ ١)، ت(١٧٩/ ١١٥/ ١) .

(٢) انظر أدلة هذا كله فى كتابى « الوجيز فى فقه السنة والكتاب والعزيز » (ص ٧٢و٧٣) .

قال الله أكبرُ الله أكبر ، فإذا قال لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله ، فمن قال ذلك دخل الجنة ، كما صح بذلك الحديث عن النبى ﷺ (١) .

وقوله ﷺ : « **ثم صلّوا علىّ فإن من صلّى علىّ مرّةً صلى الله بها عليه عشراً** » : الصلاة على النبى ﷺ عبادة من أجلّ العبادات ، وقُرْبةٌ من أعظم القُرب ، وحسبك أمرُ الله بها فى كتابه حيث قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)** ﴾(٢) .

والصلاة من العباد معناها الدعاء ، والصلاة من الله على العبد ثناؤه عليه فى الملأ الأعلى .

ومادامت الصلاة عليه ﷺ عبادة وجب الوقوف فيها على ماجاء عنه ﷺ ، وحَرُم إحداث صيغ للصلاة عليه ﷺ لم يقم عليها دليل صحيح عنه ﷺ ، لأن العبادات توقيفية لامجال للاستحسان فيها ، وليس للعقل والرأى فيها نصيب .

ورضى الله عن أصحاب النبى ﷺ حين قالوا وقد سمعوا الله يأمرهم بالصلاة على نبيه ﷺ ، قالوا : يارسول الله ! كيف نصلّى عليك ؟ قال : « **قولوا : اللهم صلّ على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد** » (٣)

ومن فضائل الصلاة عليه ﷺ قوله :

---

(١) **صحيح** : م (٣٨٥/٢٨٩/١) ، (٥٢٣/٢٢٨/٢) .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) **متفق عليه** : خ (٦٣٥٧/١٥٢/١١) ، م (٤٠٦/٣٠٥/١) ، د (٩٦٣/٢٦٤/٣) ، ت(٤٨٢/٣٠١/١)، جه (٩٠٤/٢٩٣/١) ، نس (٤٧/٣) .

« أتانى آت من عند ربّى عزّ وجل فقال : من صلّى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردّ عليه مثلها »(١) .

وقوله ﷺ : **« أتانى جبريل فقال : يا محمد . أما يُرضيك أن ربّك عزّ وجل يقول : إنه لا يصلّى عليك من أمتك أحدٌ صلاةً إلا صليت عليه بها عشرا ،ولا يسلّم عليك أحدٌ من أمتك تسليمة إلا سلّمت عليه عشرا ؟ فقلت:بلى يارب »**(٢)

* وقوله ﷺ : **« ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو »** .

قد علّمنا ﷺ كيف يكون هذا السؤال ، فقال : **« من قال حين يسمع النداء : اللهم ربّ هذه الدعوة التامّة ، والصلاة القائمة ، آت محمّداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلّت له شفاعتى يوم القيامة »**(٣) .

إذن عليك أيها المسلم حين تسمع النداء أن تقول مثل ما يقول ، ثم تصلى على النبى ﷺ ، ثم تدعو بهذا الدعاء :

* **« اللهم ربّ هذه الدعوة التامّة »** : المراد بها دعوة التوحيد ، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾(٤) . وقيل لدعوة التوحيد « تامّة » لأن الشركة نقص ، أو التامّة التى لايدخلها تغيير ولاتبديل ، بل هى باقية إلى يوم النشور ، أو لأنها هى التى تستحق صفة التمام ، وما سواها فمعرّض للنقص .

---

(١) **صحيح** : [ص. ج : ٥٧] ، أ(١٤/٣٠٩/٢٨٦) .
(٢) **صحيح** : [ص. ج : ٧١] ، أ(١٤/٣٠٩/٢٨٦) ، نس (٣/٥٠) .
(٣) **صحيح** : خ(٢/٩٤/٦١٤) ، د(٢/٢٣١/٥٢٥) ، ت(١/١٣٦/٢١١) ، جه(٧٢٢ / ١/٢٣٩) ، نس(٢/٢٧) .
(٤) الرعد : ١٤ .

* « **والصلاة القائمة** » : المراد الصلاة المعهودة التى يدعو إليها ، والقائمة أى الدائمة التى لا تغيّرها ملة ، ولاتنسخها شريعة ، وإنها قائمة مادامت السموات والأرض .[(١)]

* « **آت محمداً** » : أمرٌ بمعنى الدعاء ، لأنه من العبد للسيّد ، ومن الصغير للكبير .

* «**الوسيلة** » : فسّرها النبى ﷺ بأنها منزلة فى الجنة ، لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، وسيكون إن شاء الله ، لأنه سيد الأولين والآخرين ، وخليل ربّ العالمين .

* « **والفضيلة** » : أى المرتبة الزائدة على سائر الخلق ، وهى بمنزلة الوسيلة .

* «**وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته** » : وهى الشفاعة العظمى لأهل الموقف حتى يجئ الرب لفصل القضاء بينهم .

والنبى ﷺ حين يوصى أمته بهذا الدعاء له يعدهم أن تنال شفاعتُه كل من دعا له ، فيقول : « **فمن سأل الله لى الوسيلة حلّت له الشفاعة** » :

وقد استشكل بعضهم ذكر الشفاعة جزاءً لمن دعا للنبى ﷺ بهذا الدعاء عقب الأذان ، فقال : إن الشفاعة للمذنبين ، ، كما قال النبى ﷺ : « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** »[(٢)] ؟

والجواب : أن النبى ﷺ ليست له شفاعة واحدة يوم القيامة ، وإنما له أنواع من الشفاعات .[(٣)]

---

(١) فتح البارى (٩٥ / ٢) .

(٢) **صحيح** : [ص.د : ٣٩٦٥] ، د(٤٧١٥/ ٧١/ ٣)، ت(٢٥٥٢/ ٤٥/ ٤) .

(٣) فتح البارى (٩٦ / ٢) .

فله الشفاعة العظمى لأهل الموقف جميعا أن يجئ الربّ لفصل القضاء بينهم ، وهذه الشفاعة هى المقام المحمود الذى يحمده عليه أهل الموقف جميعا .

وله شفاعة فى دخول بعض أمته الجنة بغير حساب .

وشفاعة فى رفع درجات قوم فوق ما يستحقون .

وشفاعة فى عدم دخول أقوام النار بعد أن استحقوها .

وشفاعة فى خروج أهل الكبائر من النار بعد أن دخلوها .[1]

فمن سأل الله للنبى ﷺ الوسيلة حلّت له الشفاعة اللائقة به .

وهكذا بيّن ﷺ أن من أسباب نيْل شفاعته هذا الدعاء ، ومن أسبابها أيضاً ما بيّنه ﷺ بقوله : **« من صلى عليّ حين يصبح عشراً ، وحين يمسى عشراً ، أدركته شفاعتى يوم القيامة »** [2] .

ومن الجدير بالذكر أنهَ أشتهر على ألسنة الناس فى هذا الدعاء زيادات :

الأولى : قولهم « والدرجة الرفيعة » ، بعد قولهم « آت محمداً الوسيلة والفضيلة » ، والثانية : فى آخر الدعاء « إنك لاتخلف الميعاد » ، وهذه الزيادة الثانية ضعيفة ، وأما الأولى فقد قال البخارى : لم أرها فى شئ من الروايات .

وكذلك قولهم عند إقامة الصلاة : أقامها الله وأدامها ، لاأصل له ، وقولهم عند سماع المؤذن بالفجر : الصلاة خير من النوم : صدقت وبررت ، لا أصل له [3] .

---

(١) شرح الطحاوية (٢٥٢/ ٢٦٠) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ٦٢٣٣] .

(٣) تحفة الأحوذى (٦٢١و٦٢٢/ ١)، (٦١٦/ ١) .

الحديث السادس والعشرون

الحث على الاجتماع والنهى عن التفرق

عَنْ أبى ثَعْلَبَةَ الخُشَنىِّ قال : كَانَ النَّاسُ إذَا نَزلُوا مَنْزِلاً تَفرَّقُوا فى الشِّعَابِ والأوْدِيَة ، فَقَال رسُولُ اللَّه ﷺ : « إنَّ تَفَـرُّقَكُـمْ فى هَذه الشِّعَابِ والأوْدِيَـة إنَّما ذَلكُم مِـنَ الشَّـيْطَان » ، فَلَـمْ يَنْزِلُوا بعْـدَ ذَلكَ مَنْزِلاً إلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض ، حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ »(١)

يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ من نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ

---

(١) **صحيح** : [ص.د : ٢٢٨٨] ، د(٢٦١١/٢٩٢/٧)

هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾(١)

وهكذا نزل آدم إلى الأرض ، وبدأت حياته الزوجية ، وكثرت منه الذرية ، فقام فيهم مقام الأنبياء ، بل كان نبيّاً مكلّما (٢) ، فعلّم أبناءه التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة ، فقبلوه منه ، وحافظوا عليه ، فوحّد التوحيد بينهم عشرة قرون ، ظل إبليس خلالها يعمل بجدٍّ لايعرف الهزل ، ونشاط لايعرف الملل ، على تفريق كلمتهم وتمزيق شملهم ، وتفتيت جمعهم ، حتى أجابه فريق منهم ، فوقعت الفرقة بيهم ، وصارت الجماعة الواحدة جماعتين ، والحزب الواحد حزبين، فأرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام إلى الناس ليردّ شاردهم ، ويهدى ضالّهم ، ويعيد لهم جمعهم واتحادهم ، قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(٣) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . (٤)

ومنذ ذلك التاريخ والصراع قائم بين أهل التوحيد أولياء الرحمن ، وبين أهل الزيغ والإلحاد والفرقة ، كلما رأى الشيطان من أولياء الرحمن اتفاقاً وألفة عمل على تفريق جمعهم ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم .

---

(١)الحجر : ٢٦-٤٨ .
(٢) **صحيح** : [س . ص : ٢٦٦٨] وانظر تخريجه هناك .
(٣) البقرة : ٢١٣ .
(٤) تفسيرابن كثير (١/٢٥٠) .

ولقد بُعث النبى ﷺ والعرب قبائل متناحره ، تقوم بينهم لأتفه الأسباب الحروب المهلكة ، ولم يكن بين قبيلتين من العداوة والبغضاء مثل ما كان بين قبيلتى الأوس والخزرج ، فلما جاء الإسلام شرح الله صدورهم له ، وحّبب إليهم الإيمان بنبيّه ، فاتبعوه على ما جاء به من الهدى ودين الحق ، فطَّهر الإسلام قلوبهم من الغل ، وواقعهم من العدواة والبغضاء ، ووحّد صفّهم ، وجمع شملهم ، وسمّاهم جميعا الأنصار ، أنصارَ الله ورسوله ، وأنصارَ دينه ، وامتن الله على نبيه ﷺ بنعمة التأليف بينهم ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾(١) .

وامتن على الأنصار أنفسهم بهذه النعمة فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(٢) .

وظلّ النبى ﷺ يحرس هذه الوحدة من التفكك ، وهذا الاتحاد من الانهيار ، كما ظلّ ﷺ يحارب التفرق فى أدنى صورة ، فى حضره وسفره ، فى ليله ونهاره :

يدخل يوماً المسجد فيراهم حلَقاً كثيرة ، كل حَلْقة فى نا حية ، فينهاهم عن ذلك قائلاً : « مالى أراكم عزين ؟ »(٣) أى متفرقين فرقاً ، ومتحلّقين حلقا ، يقول الراوى : كأنه يحبّ الجماعة . (٤)

---

(١) الأنفال : ٦٢و٦٣ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) **صحيح** : م(٤٣٠/ ٣٢٢/ ١)، د(٤٨٠٢/ ١٧٢/ ١٣) .

(٤) **صحيح** : [ص . د: ٤٠٣٩] ، د(٣س٤٨٠/ ١٧٢/ ١٣).

وذات يوم ينصرف من الصلاة فيرى رجلاً فرداً يصلى خلف الصف وحده ، فانتظره حتى انصرف من صلاته ، ثم قال له : « استقبل صلاتك » أى أعدْها ، فإنه لاصلاة للذى خلف الصف »[١] لأنه خالف الجماعة وشذّ عنها .

ومن أجل ذلك أيضاً قال ﷺ : **« إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »**[٢] ، لأنه إذا أقيمت الصلاة واجتمع الناس على الإمام فيها ، ثم قام واحد أو أكثر يصلون النافلة فإنهم يكونون بذلك مخالفين للجماعة .

وفى السفر لم يكن ﷺ يغفل عن أصحابه ، بل كان يراقبهم عن كثب ، ويحرص على اجتماعهم دائما ، فكان ينهى أن يسافر الرجل وحده ، فيقول : **«لوأن الناس يعلمون من الوَحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده »**[٣] ، ويقول ﷺ : **« الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب »**[٤] ، قال الخطابى : معناه أن التفرد والذهاب وحده فى الأرض من فعل الشيطان ، هو الذى يحمله عليه ويدعوه إليه ، وكذلك الإثنان ، فإذا صاروا ثلاثة فهو ركب ، قال : والمنفرد فى السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه ، ولاعنده من يوصى إليه فى ماله ، ويحمل تركته إلى أهله ، ويورد خبره إليهم ، ولامعه فى سفره من يعينه على الحمولة ، فإذا كانو ثلاثة تعاونواوتناوبوا المهنة والحراسة وصلوا الجماعة وأحرزوا الحظ منها . أهـ[٥] .

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٨٢٢]، جه(١٠٠٣/ ٣٠٢/ ١) .
(٢) **صحيح**: م(٧١٠/ ٤٩٣/ ١)، د(١٢٥٢/ ١٤٢/ ٤)، ت(٤١٩/ ٢٦٤/ ١)، جه(١١٥١/ ٣٦٤/ ١)
(٣) **صحيح** : خ(٢٩٩٨/ ١٣٧/ ٦)، ت(١٧٢٤/ ١١١/ ٣) .
(٤) **حسن** : [ص . د: ٢٢٧١] ، د(٢٥٩٠/ ٢٦٦/ ٧)، ت(١٧٢٥/ ١١١/ ٣) .
(٥) معالم السنن (٤١٣/ ٣) .

وفى الحديث الذى معنا : « كان إذا نزلوا منزلاً تفرقوا فى الشعاب والأودية ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن تفرقكم فى هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان** » أى فاجتنبوه ، لأن كل ماكان من الشيطان فهو واجب الاجتناب ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) ﴾[1] .

فالشيطان – لعنه الله – حريص كل الحرص على تمزيق شمل المسلمين وتفريق جمعهم ، وتفكيك وحدتهم ، وهو – لعنه الله – يحب من أتباعه شياطين الإنس والجن من يعمل على التفريق بين الأحبة وتمزيق شمل الأمة ، كما قال النبى ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماءثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجئ أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعتَ شيئا ، ثم يجئ أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، فيدنيه منه فيقول : نِعْمَ أنت** »[2] أى : نِعْمَ ما صنعت من التفريق بينه وبين امرأته .

ولقد سلك هذا الدرب ، وسار على هذا النهج شياطين الإنس اليهود كما سماهم الله تعالى ، حيث قال فى حق المنافقين : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أى اليهود ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) ﴾[3] .

فاليهود – لعنهم الله – شياطين الإنس ، يعملون عمل شياطين الجن من التفريق بين الأحبة ، وتمزيق شمل الأمة :

---

(١) المائدة : ٩٠ .

(٢) **صحيح** : م(٢٨١٣-٦٧-/ ٢١٦٧/ ٤) .

(٣) البقرة : ١٤ .

حكى محمد بن إسحاق : أن رجلاً من اليهود مرّ بملأ من الأوس والخزرج ، فساءه ماهم عليه من الاتفاق والألفة ، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم ما كان من حربهم يوم بُعاث وتلك الحروب التى كانت بينهم فى الجاهلية قبل الإسلام ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض ، وتثاوروا ، ونادوا بشعارهم ، وطلبوا أسلحتهم ، وتوعدوا إلى الحرّة أى للقتال . فبلغ ذلك النبىّ ﷺ فأتاهم فجعل يسكّنهم ويقول : أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، وتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(١) .

فندموا على ما كان منهم ، واصطلحوا وتعانقوا ، وألقوا السلاح .(٢)

ومنذ ذلك التاريخ واليهود كالشياطين يعملون جادين لتمزيق شمل الأمة وتفتيت وحدتها ، ولم ييأسوا مع قلّتهم وتفرّقهم فى البلاد من نيل ما أرادوا من المسلمين ، حتى حققوا فعلاً ما كانوا يحلمون به من تمزيق شمل المسلمين ، وتفريق جمعهم ، وتقسيم دولتهم إلى دويلات متناحرة متباغضة ، فقامت على أثر هذا الاختلاف والتمزق دولة يهود ، وتجمعوا بعد ما كانوا متفرقين .

فهل آن الأوان للمسلمين أن يعتصموا بحبل الله جميعا فيوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا صفهم ، ويكونوا جميعاً يداً على ما عاداهم ؟ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٣)؟! .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .
(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٩/ ١) .
(٣) الحديد : ١٦ .

ألم يأن للذين آمنوا أن ينبذوا الخلاف والفرقة ويستجيبوا لربّهم حيث دعاهم إلى الاتحاد الذى هو سبيل عزّهم وسبب ذلّ عدوهم ، ونهاهم عن التفرق الذى هو سبيل ذلّهم وسبيل سؤدد عدوهم ، ولذلك كان شعارهم : فرّق تسد ؟!

ألم يقل الله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾؟![1]

ألم يقل : ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2]؟!

ألم يقل : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾؟![3]

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة .[4]

ولقد رأينا يوم أُحد فضل الاعتصام بحبل الله والاجتماع عليه وضرر النزاع والخلاف والفرقة ، إذ بدأت المعركة فهبت رياح المسلمين ونزل النصر فولّى الذين كفروا الأدبار ، وتبعهم المسلمون ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾[5] بفضل السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فلما اختلف الرماة وانقسموا على أنفسهم ، وعصوا أمر رسولهم وأمر أميرهم ، دالت الدولة ، وكانت الهزيمة وأصاب المسلمين الذعر والرعب ، وفى ذلك يقول ربّنا سبحانه مخاطباً جماعة المسلمين يومئذ :

---

(١) آل عمران : ١٠٣

(٢) الروم : ٣١و٣٢ .

(٣) آل عمران : ١٠٥و١٠٦ .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٠/١)

(٥) الأحزاب : ٢٦ .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾(١) .

فاقرءوا القرآن يا أمة القرآن . . واقرءوا التاريخ يا أولى الألباب ! واستفيدوا من تجارب الأولين ، فالتاريخ دائما يعيد نفسه بين الحين والحين !! ففى الستينات كانت الفرقة والاختلاف ، والعدواة والبغضاء بين دويلات المسلمين ، كل دولة تهجو الأخرى وتلعنها ، فكانت الهزيمة وضاعت الأرض ، واغتصبت المقدسات ، وفى السبعينات كان الاتحاد والاجتماع ، والتشاور والتعاون ، فكان نصر رمضان اكتوبر ، ذاك النصر العظيم الذى كاد أن يعيد المقدسات وكل شبر من الأرض المغصوبة لولا ما سبق فى كتاب الله .

فهل من دعوة إلى الاجتماع على كلمة التوحيد ، حتى توحّد صفوفنا ، وتطهر قلوبنا ، فينصرنا الله على أعدائنا ؟!

إن الحرب بيننا وبين اليهود لن تنتهى ما دام لهم وجود ، وما بقيت فيهم عين تطرف ، لأنهم دعاة حرب ، وأعداء السلام وإن تشدّقوا به ، ولذلك قال ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله ! هذا يهوديّ خلفى فتعال فاقتله»**(٢) ، وذلك بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء ، ويومئذ تطهر الأرض من رجس يهود وتطهر القلوب من العدواة والبغضاء ، وتنتهى

---

(١)آل عمران : ١٥٢ .

(٢) **متفق عليه** : خ(٢٩٢٦/ ١٠٣/ ٦)، م(٢٩٢٢/ ٢٢٣٩/ ٤) واللفظ له .

الخصومة والشحناء فلا ترى اثنين متخاصمين ، ولا بينهما عداوة ، بل تنتهى العداوة حتى بين الإنسان والسباع ، فيمر الرجل على الأسد فلا يؤذيه ، ويلعب الصبى بالحيّة فلاتضرّه ، فهل جاء موعده ؟ ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾(١) .

وحتى ذلك الحين لابد من أن نعمل جادّين على جمع شملنا ، وتوحيد صفنا فإن الاتحاد قوة ، والتفرق ضعف ، وإن النصر مع الإتحاد ، والهزيمة مع التفرق ، ولقد أراد حكيم أن يلقن أبناءه درساً عمليا لتقرير هذه الحقيقة ، فأحضر لهم حزمة حطب مجتمعة ، وطلب منهم أن يكسروها فاستعصت عليهم ، ففرّقها عوداً عوداً ووزعها عليهم فكسروها ، فقال لهم :

كونوا جميعاً يا بنىّ إذا اعترى خطبٌ ولاتفرّقوا آحادا

تأبى العصىّ إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

لذلك فرض الإسلام الاتحاد ، وحرّم التفرق ، وجعل الرحمة من خصائص أهل التوحيد والاتحاد ، والعذابَ من خصائص أهل الفرقة والإلحاد ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾(٢) .

لقد بلغ من حرص الإسلام على اتحاد المسلمين واجتماعهم أن جعل الجماعة شرطاً فى صحة العبادات :

فالحج لابد أن يجتمع عليه جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾(٣) لايجوز الحج ولايصح فى غيرها .

---

(١) الإسراء : ٥١ .

(٢) هود : ١١٨و١١٩ .

(٣) الحج : ٢٨ .

والصيام يجتمع عليه جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾(١) لا يجوز لجماعة من المسلمين أن يخالفوا الجماعة الكبرى والسواد الأعظم بصيام غير هذه الأيام ، وإن كان يجوز للأفراد ذوى الأعذار ، ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .(٢)

والصلاة فرض الله الجماعة فيها ، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾(٣) .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الجماعة فى الصلاة شرط لصحتها ، وإن كان هذا القول مرجوحا ، فالراجح أن الجماعة واجبة على رجال المسلمين إلا من عذر فهل يعى المسلمون هذا ؟ نرجوا الله .

اللهم اجمع شمل المسلمين ووحد صفهم ، وفرّق جمع اليهود ومزّق شملهم واجعل هذا النفق الذى فتحوه تحت الأقصى مقبرة لهم .

(١و٢) البقرة : ١٨٣و١٨٤ .
(٣) البقرة : ٤٣ .

الحديث السابع والعشرون

الحرب والسلام فى الإسلام

عَنْ عَبْد اللَّه بن أَبى أَوْفَى رَضىَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ فى بَعْض أَيَّامهِ الَّتى لَقىَ فيهَا الْعَدُوَّ أنتظَرَ حَتَّى مَالَت الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَامَ فى النَّاس فَقَالَ : « لاَ تَتَمنَّوا لقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافيَةَ ، فإذَا لَقيتُموهُمْ فَاصْبرُوا ، واعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظلاَل السُّيُوف ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنزلَ الكتَاب ، ومُجْرىَ السَّحاب ، وهَازمَ الأَحْزَاب ، اهْزمْهُمْ وأنصُرنَا عَلَيْهم »[1]

إن الإسلام هو دين السلام ، يدلك على هذا أن الله سمّى الإسلام سلْماً فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾[2] أى ادخلوا فى الإسلام كلّه ، وخذوا الدّين جملة ، عقيدة وعبادة ، تشريعات ومعاملات ، لاتأخذوا العقيدة وتتركوا العبادة ، ولا تأخذوا المعاملات وتتركوا التشريعات ، ولكن ادخلوا فى السلم كافة ، وخذوا الدين جملة ، ولا تكونوا كبنى إسرائيل الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، فحبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة .

وإنما سُمّى الإسلام سِلْماً لأن الذى يُسلم وجهه لله ، ويدخل فى السلم كافة يدخل فى عالم كله سلم وسلام ، عالم كله ثقة واطمئنان ، وكله رضى

(١) متفق عليه : خ(٢٩٦٥و٢٩٦٦/ ١٢٠/٦)، م(١٧٤٢/ ١٣٦٢/ ٣)، ت(١٧٢٩/ ١١٣/ ٣) الدعاء فقط

(٢) البقرة : ٢٠٨ .

واستقرار، لا حيرة ولا قلق ، ولا شرود ولا ضلال ، سلام مع النفس والضمير ، سلام مع العقل والمنطق ، سلام مع الناس والأحياء ، سلام مع الوجود كلّه ومع كل موجود ، سلام يرفّ فى حنايا السريرة ، وسلام يظلّل الحياة والمجتمع ، سلام فى الأرض ، وسلام فى السماء . (١)

ولقد بلغ من حرص الإسلام على السلام أن الله تعالى جعل جزاء المحسنين الحسنى وهى الجنة ، وسمّاها دار السلام ، وجعل سبب دخولها إفشاء السلام : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ، أوَلا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »** (٢)

ولما قدم ﷺ المدينة كان أول شئ صدع به أن قال : **« يا أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصَلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »** (٣) .

وهذا الحديث فيه الأمر الصريح بإفشاء السلام ، وليس معناه أن يقول المسلم فقط لأخيه إذا لقيه السلام عليكم ، ولكن إفشاء السلام معناه فعل كل ما يشيع السلام والأمان ، والمودة والوئام ، وترك كل ما يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء ، ويقضى على السلام والأمان . ومن هنا فقد أمر الإسلام بكل خير

---

(١) فى ظلال القرآن (٢٩٨و٢٩٩/ ١). وانظر رسالتى التى أعددتها لنيل درجة الماجستير بعنوان: « الحرب والسلام فى الإسلام فى ضوء سورة محمد عليه السلام » .

(٢) **صحيح** : م(٥٤/ ٧٤/ ١)، د(٥١٧١/ ١٠٠/ ١٤)ت(٢٨٢٩/ ١٥٦/ ٤)، جه(٦٨/ ٢٦/ ١)

(٣) **صحيح** :[ص. جه: ٦٢٣٠]، جه(٣٢٥١/ ١٠٨٣/ ٢)، ت(٢٦٠٣/ ٦٥/ ٤) دون جملة "وصلوا الأرحام" .

من شأنه أن يشيع السلام والأمان ، والمحبة والوئام ، ونهى عن كل شرّ من شأنه أن يقضى على المحبة والوئام ، والسلام والأمان .

ومن تدبّر شرائع الإسلام ونظمه ومبادئه عَلم علْم اليقين أنه مامنها من نظام ولا مبدأ إلا وهو يدعو إلى السلام ، وما منها من تشريع إلا وهو يدعو إلى السلام، فمن قبلها كلّها فقد دخل فى السلام كافة ، ومن ترك منها شيئاً نقص من أمنه وسلامه على قدر ما ترك منها .

ولم تقتصر دعوة الإسلام للسلام والعمل على إذاعته ونشره على المسلمين فقط ، بل امتدت لتشمل غير المسلمين إذا كفّوا أيديهم ، ولم يصدّوا عن سبيل الله ، وتركوا المسلمين يتحركون فى الأرض بدين الله ، يدعون عباد الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴿٩٠﴾ ﴾(٢) .

وحدث أن سريّة من السرايا قتلت رجلاً من المشركين بعد أن ألقى إليهم السلم فعاتبهم الله سبحانه على قتله فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾(٣)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رجل فى غُنيمة له ، فلحقه المسلمون ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوه غُنيمة ، فأنزل الله تعالى :

---

(١) الأنفال : ٦١ . (٢) النساء : ٩٠ . (٣) النساء : ٩٤ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [١] الآية .

كما حدث أن التقى المسلمون والمشركون ، فأعمل المشركون سيوفهم فى المسلمين ، وكان رجل منهم لا يحب أن يقتل رجلاً من المسلمين إلا قتله ، فانتهز أسامة بن زيد منه ساعة غفلة ورفع عليه سيفه ، فقال الرجل : لا إله إلا الله ، فقتله أسامه ، فلما بلغ ذلك النبى ﷺ أنكر على أسامه قتله :

عن جُندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين ، وإنهم التقوا ، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله ، وإن رجلا من المسلمين قصد غفلته ، قال : وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد ، فلما رفع عليه السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله . فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ فسأله فأخبره ، حتى أخبره خبر الرجل وكيف صنع ، فدعا أسامة فسأله : لم قتلته ؟ فقال : يا رسول الله أوجع فى المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً ، وسمّى له نفراً ، وإنى حملت عليه ، فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : أقتلته ؟ قال : نعم . قال : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال يا رسول الله استغفرلى . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : فجعل لا يزيد على أن يقول : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟» [٢] .

ولم يكتف الإسلام بقبول السلام من غير المسلمين بل ندب إلى برِّهم والإحسان إليهم ، قال تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

---

(١) **متفق عليه** : خ (٨/٢٥٨/٤٥٩١) ، م (٤/٢٣١٩/٣٠٢٥) ، د (١١/٨/٣٩٥٥) ، ت(٤/٣٠٧/٥٠٢١) .

(٢) **صحيح** : م(١/٩٨و٩٧/٩٧) .

وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى فى حق الوالدين المشركين : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[2] فلم تمنع مجاهدتُهما ولدَهما على أن يشرك بالله من برّهما والإحسان إليهما .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قدمتْ أمّى وهى مشركة فى عهد قريش إذا عاهدوا ، فأتيتُ النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله ! إن أمّى قدمت وهى راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « **نعم ، صلى أمك** » .[3]

ووصّى الله تعالى بالجار خيراً ولو كان غير مسلم ، فقال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ .... ﴾[4] .

قال أبو إسحاق عن نوف البكالى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ يعنى الجار المسلم ، ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ يعنى اليهودى والنصرانى .[5]

وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم هذه الأوامر حسن امتثال ، وقاموا بها خير قيام : عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : ذُبحت شاه لابن عمرو فى أهله ، فقال : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ قالوا : لا ، قال : ابعثوا إليه منها ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** »[6]

---

(١) الممتحنة : ٨ . (٢) لقمان : ١٥ .
(٣) **متفق عليه** : خ(٢٦٢٠/ ٢٣٣/ ٥)، (١٠٠٣/ ٦٩٦/ ٢)، د(١٦٥٢/ ٨٥/ ٥) .
(٤) النساء : ٣٦ . (٥) تفسير ابن كثير (٤٩٤/ ١) .
(٦) **صحيح** : [ص . د : ٤٢٩١] ، د(٥١٣٠/ ٦١/ ١٤)، ت(٢٠٠٧/ ٢٢٣/ ٣) .

وهكذا تجلى لنا بوضوح أن السلام فى الإسلام هو أصل العلاقات : علاقة الفرد بربّه ، وعلاقة الفرد بأسرته ، وعلاقة الفرد بمجتمعه ، وعلاقة المجتمع المسلم بالمجتمعات الدولية .

ودينٌ مثل هذا لايمكن أن يحارب إلا إذا أُكره على الحرب .

فماذا يفعل الإسلام بالحرب وهو يعلم أن انتشاره فى السلم أكثر منه فى الحرب ؟

وماذا يفعل المسلم بالحرب وهو يردد كلمة الإسلام على لسانه فى كل وقت وفى كل حين : إذا دخل بيته سلّم على أهله ، وإذا خرج سلّم عليهم ، وإذا لقى أخاه سلم عليه ، وإذا دخل على قوم مسلمين سلم عليهم ، وإذا دخل المسجد سلم على من فيه ، وإذا صلّى سلم على النبى ﷺ ثم سلم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين فى الأرض والسماء ، وإذا أراد أن ينصرف من صلاته لم ينصرف منها إلا بالسلام ، وإذا انصرف قال : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام .(١)

ولكن الذين كفروا يصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾(٢) ، فيضطر المسلم حينئذ أن يهب كالأسد يقاتل فى سبيل الله من صدّ عن دين الله ، حماية لدينه ، وتأمينا لنفسه ووطنه وأهله ، وهو يرجو أن يكفّ الله بأس الذين كفروا ، ويكفى المؤمنين القتال ، ولذلك جاءت هذه الوصية من رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى

---

(١) **صحيح** : م (٥٩١/ ٤١٤/ ١)، ت (٢٩٩/ ١٨٤/ ١) ، د (١٤٩٩/ ٣٧٧/ ٤)، جه(٩٢٨/ ٣٠٠/ ١) ، نس (٦٨/ ٣) .

(٢) البقرة : ٢١٧ .

لقى فيها العدو : « **لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية** » ، فالمجاهدون المسلمون يتمنون السلامة والعافية ، يتمنون أن يرجع عدوّهم عن غطرسته وكبريائه ، وأن يسكت عن استفزازاته ، وأن يرد المظالم ويتخلى عن الأرض المغصوبة ، فإن فعل كان خيراً لهم ، وإن أبى إلا القتال فهم إن شاء الله صبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولن يصيبهم إلا الخير ، فإما النصر وإما الشهادة ، ولن يصيب عدوَّهم إلا الخزى والهوان والعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى :

﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢)** ﴾ .(١)

لذلك أمر الله تعالى بالصبر والثبات عند اللقاء ، ونهى عن الفرار ، فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)** ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)** ﴾ .(٣)

وقال النبى ﷺ : « فإذا لقيتموهم فاصبروا » ، فـ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى** ﴾(٤)

---

(١) التوبة : ٥٢ .

(٢) الأنفال : ٤٥و٤٦ .

(٣) الأنفال : ١٥و١٦ .

(٤) آل عمران : ١١١ .

وما يصيبكم من أذاهم سيصيبهم مثله ، وتنفردون عنهم برجاء رحمة الله دونهم ، كما قال تعالى : ﴿ إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) ﴾(٢) .

ثم رغب ﷺ فى الجهاد فقال : « **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فمن قُتل دخل الجنة** » .

وهكذا كان ﷺ يرغب فى الجهاد فى كل غزوة ، يحثهم على الثبات عند اللقاء ، ويعلمهم أنه لايمنعهم من دخول الجنة إلا الموت : فى غزوة بدر صفّهم ﷺ ثم قال : « **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** » .

فقال عُمَيْر بن الُحمام رضى الله عنه : يا رسول الله ! جنة عرضها السموات والأرض ؟ . قال : «نعم » . قال : بخ بخ . يارسول الله ! فقال ﷺ : « **ما يحملك على قولك بخ بخ** » ؟ قال : رجاء أن أكون من أهلها . قال : « **فأنت من أهلها** » . فأخرج تمرات فجعل يأكل منهنّ ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتل حتى قُتل . (٣)

ويوم أحد أيضا قال رجل : يارسول الله ! أرأيت إن قُتلت فأين أنا ؟ قال : « **فى الجنة** » . فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل . (٤) .

والقرآن الكريم والسنة المطهرة مليئان بالنصوص العظيمة المرغبة فى الجهاد :

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

(٢) النساء : ١٠٤ .

(٣) **صحيح** : م(١٩٠١/١٥٠٩/ ٣) .

(٤) **متفق عليه** : خ(٤٠٤٦/ ٣٥٤/ ٧)،(م(١٨٩٩/ ١٥٠٩/ ٣)،نس(٣٣/ ٦) .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑫ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ⑬ ﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ㊳ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ㊴ ﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑬ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ⑭ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑮ ﴾ .(٣)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑪⑪ ﴾ .(٤)

---

(١) الصف : ١٠-١٣ .

(٢) التوبة : ٣٨و٣٩ .

(٣) التوبة : ١٣-١٥ .

(٤) التوبة : ١١١ .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ . (١)

عن أبى مسعود رضى الله عنه : أنهم سألوا رسول ﷺ عن قوله تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا . . . الآية﴾ فقال : « **أرواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يسألوا قالوا : ربنا ! نريد أن ترد علينا أرواحنا فى أجسامنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس بهم حاجة تُركوا** » . (٢)

وعن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **للشهيد عند الله ست خصال : يغفر الله له فى أول دُفعة ، ويُرى مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ،ويأمن من الفزع الأكبر ، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويُزوّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفّع فى سبعين من أقاربه** » . (٣)

---

(١) آل عمران : ١٦٩-١٧١ .

(٢) صحيح : م (١٨٨٧/ ١٥٠٢/ ٣) واللفظ له ، ت (٤٠٩٨/ ٢٩٨/ ٤) .

(٣) صحيح : [ص . جه : ٢٢٥٧] ، جه (٢٧٩٩/ ٩٣٥/ ٢)، ت (١٧١٢/ ١٠٦/ ٣) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة »** .(١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت النبى ﷺ يقول : **«عينان لاتمسّهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »**(٢)

ولما وصّى النبى ﷺ المجاهدين بما وصاهم به فرّ إلى ربه سبحانه بالدعاء : **«اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم »** .

وهكذا كان دأبه ﷺ دائما ، يتبرأ من حوله وقوته ، ويستعين بحول الله وقوته ، ليعلّم أصحابه والتابعين أنه لايجوز بعد الأخذ بالأسباب التوكل عليها ، كما لا يجوز الاغترار بالعدد والعدة ، بل يجب إعداد القوة الممكنة كما أمر الله ، ثم التوكل عليه سبحانه لاعليها .

فكم من قوّة خانت صاحبها !! وكم من كثرة لم تُغن عن أهلها !!

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(٤) .

فالنصر من عند الله وحده ، ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾؟(٥) .

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٢٢٥١] ، جه (٢٧٩٢ / ٩٣٣ / ٢) ، ت (١٧٠٧ / ١٠٤ / ٣) ، د (٢٥٢٤ / ٢١٥ / ٧) ، نس (٢٥ / ٦) .

(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٣٩٩١] ، ت(١٦٩٠ / ٩٦ / ٣) .

(٣) التوبة : ٢٥ .

(٤) البقرة : ٢٤٩ .

(٥) آل عمران : ١٦٠ .

ولذلك كان ﷺ إذا غزا قال : « اللهم أنت عضدى ونصيرى ، بك أحول، وبك أصول ، وبك أقاتل »(١) .

فعلى المجاهدين المسلمين أن يهتموا بالدعاء ساعة اللقاء ، فإنه دأب النبيين وعباد الله الصالحين ، وهو من أعظم أسباب هزيمة الكافرين .

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾(٢)

اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزم اليهود وانصرنا عليهم ، وطهر الأقصى من رجسهم . آمين . آمين يارب العالمين .

(٤) صحيح : [ص . د : ٢٢٩١]،د(٢٦١٥/ ٢٩٥/ ٧)
(١) البقرة: ٢٥٠و٢٥١ .

الحديث الثامن والعشرون

آداب الجهاد فى الإسلام

عَنْ بُرَيْدَةَ رضىَ اللَّهُ عنهُ قَال : كانَ رسولُ اللَّه ص إذَا أمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سَرِيَّة أوْصَاهُ فى خاصَّته بتَقْوَى اللَّه ومَنْ معَهُ منَ المسلمينَ خيراً ، ثمَّ قال : « اغزُوا باسْمِ اللَّه ، فى سبيلِ اللَّه ، قَاتلُوا مَن كفَرَ باللَّه ، اغزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدرواُ ، ولاتُمثِّلُوا ، ولا تَقْتُلوا وَليداً ، وإذَا لَقيتَ عَدوَّكَ منَ المشركينَ فَادعُوهم إلى ثَلاث خصَال - أو خلال - فأيَّتهُنَّ ما أجَابُوكَ فَاقْبَلْ منهُمْ وكُفَّ عَنهُمْ : ثم ادْعُهُم إلى الإسْلام فإنْ أجَابُوكَ فاقْبَلْ منهُم وكُفَّ عَنهُم ، ثمَّ ادْعُهُم إلى التَّحَوُّل من دَارهمْ إلى دَار المُهاجرينَ ، وأخْبرهُم إذَا فَعَلُوا ذَلكَ فلَهم ما للمُهاجرينَ وعَلَيْهم ما علَى المُهاجرينَ ، فَإنْ أبَوْا أنْ يتَحَوَّلُوا عَنْها فأخْبرهُم أنَّهُم يكونون كَأعْراب المسلمينَ يَجْرى عَلَيْهم حكْمُ اللَّه الَّذى يَجْرى على المؤمنين ، ولايَكُونُ لَهُم فى الغَنيمة والفىء شئٌ إلا أنْ يُجَاهدُوا معَ المسْلمينَ ، فإنْ هُمْ أبَوْا فسَلْهم الجزية ، فإنْ هُمْ أجَابُوكَ فاقْبَلْ منهُم وكُفَّ عَنهُم ، فإنْ هُمْ أبَوْا فاسْتَعنْ باللَّه عَلَيْهم وقَاتلْهُم . وإذا حَاصَرْتَ أهْلَ حصْنٍ فأرادُوكَ أنْ تَجْعلَ لَهُمْ ذمَّةَ اللَّه وذمَّةَ نَبيِّه ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذمَّةَ اللَّه ولاذمَّةَ نَبيِّه ، ولَكن

اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُم إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُم وذِمَّةَ أَصْحَابِكُم أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وذِمَّةَ رَسُولِه . وإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ وأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَ لَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّه فلا تنزلهم على حُكْمِ اللَّهِ ولكن انزلهم على حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لاتدْرِى أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمَ لا ؟ » [1].

إن للجهاد فى الإسلام مكانته المرموقة ، ومنزلته الرفيعة ، ودرجته العالية ، فهو ذروة سنام الدين ، كما أخبر بذلك النبىّ الأمين ﷺ [2] ، ولاينال درجةَ المجاهد عابدٌ قائم ، ولا راكع ساجد ، ولاصائم ، كما فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله ! ما يعدل الجهادَ فى سبيل الله ؟ قال : **« لاتستطيعونه »** ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : **« لاتستطيعونه »** ، ثم قال : **« مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله ، لايفتر من صيام ولاصلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله »** . [3]

ولذلك قال محمد بن إبراهيم : أملى علىّ عبد الله بن المبارك حين ودعته للخروج هذه الأبيات ، وأرسلها معى إلى الفُضيْل بن عياض :

ياعابد الحرميْن لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعب

من كان يخضب خدّه بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضّب

---

(١) صحيح : م(١٧٣١/ ١٣٥٧/ ٣) والسياق له ، ت(١٦٦٦/ ٨٥/ ٣)، د(٢٥٩٥/ ٢٧١/ ٧) ، جه (٢٨٥٨ / ٩٥٣/ ٢) .

(٢) صحيح : [ص . جه: ٣٢٠٩] ، ت(٢٧٤٩/ ١٢٤و١٢٥/ ٤)، جه(٣٩٧٣/ ١٣١٤و١٣١٥/ ٢) .

(٣) صحيح : م(١٨٧٨/ ١٤٩٨/ ٣)، ت(١٦٦٩/ ٨٨/ ٣) .

أو كان يُتعب خيله فى بــاطل فخيــولنا يـوم الصبيحــة تتـعب
ريح العبير لكم ونحن عبيــرنا وهج السنابك والغبار الأطيــب
ولقــــد أتانا من مقـــال نبيّنا قول صحيح صادق لايكـــذب
لايستوى غبار أهــــل الله فى أنف امرئ ودخان نار لايكذب
هذا كتاب الله ينطـــق بيننـــا ليس الشهيد بميت لايكـــــذب

قال فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه فى المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى .[1]

والجهاد فى الإسلام له غاياته النبيلة ، وأهدافه السامية ، وقد بيّنها ربّ العزّة سبحانه فى أولى الآيات نزولاً بالإذن بالقتال للمسلمين ، وهى قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ .[2]

ونستطيع أن نلخص هذه الغايات النبيلة ، والأهداف السامية ، فنقول : أهداف الجهاد فى الإسلام هى :

١- دفع الظلم وردّ العدوان .

٢- الانتصار للنفس والانتصاف للمظلوم .

٣- تأمين الدعوة والدعاة ، وحمايتهم لإقامة دين الله .

---

(١) فقه السنة (٣/٣٨) .
(٢) الحج : ٣٩-٤١ .

٤- تحقيق السيادة لأهل الإيمان أتباع الحق ، الذين يصلحون فى الأرض ولايفسدون .

٥- حماية بيوت الله التى يُذكر فيها اسمه من الهدم والإزالة على أيدى أهل الكفر أتباع الباطل ، الذين يفسدون فى الأرض ولايصلحون .(١)

وهاهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة - يريدون هدم المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى النبى ﷺ ، فتعين الجهاد لردعهم وقمعهم ، وتطهير الأقصى من رجسهم .

والجهاد فى الإسلام له آداب مفروضة على المجاهدين قبل القتال ، وأثناء القتال ، وبعد القتال :

فقبل القتال : لابد من إخلاص النية ، وتجريدها لله عز وجل ، فإن القتال لايكون جهاداً فى سبيل الله إلا إذا تجرّدت النيات فيه لله عزوجل .

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : سئل رسول ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة ، ويقاتل حميّه ، ويقاتل رياء ، أىّ ذلك فى سبيل الله ؟ قال : **« من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »** .(٢)

وفى رواية : أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال : الرجل يُقاتل للذكر ، ويُقاتل ليُحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويُقاتل ليُرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : **« من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »** .(٣)

---

(١) انظر تفصيل القول فى ذلك فى البحث الذى أعددته لنيل درجة الماچستير بعنوان : « الحرب والسلام فى الإسلام فى ضوء سورة محمد عليه السلام » .

(٢) **متفق عليه** : خ(٢٨١٠ / ٢٧ و ٢٨ / ٦) ، م (١٩٠٤ / ١٥١٣ / ٣)، ت (١٦٩٧ / ١٠٠ / ٣) ، جه (٢٧٨٣ / ٩٣١ / ٢) .

(٣) **صحيح** : [ص. د :٢١٩٧] ،د(٢٥٠٠ / ١٩٣ / ٧)، نس(٢٣ / ٦) .

لذا كان ﷺ حريصاً كل الحرص على تذكير المجاهدين بهذا الأدب كلما بعث بعثاً ، وكان يقول لهم عند الخروج : « **اغزوا باسم الله ، فى سبيل الله** » ، كما لابد من تقوى القلوب ، لابد من تقوى الأمير والقائد ، ولابد من تقوى الجنود والمجاهدين ، فإن التقوى من أعظم أسباب النصر ، بها يقى الله المجاهدين كيد الكافرين ، وبها يمدّهم بمدد من الملائكة المقربين ، قال تعالى : ﴿ **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)** ﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)** ﴾ .(٢)

ولذا كان النبى ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً .

ومن آداب الجهاد فى الإسلام قبل القتال الدعوة ، دعوة الكافرين إلى إحدى خصال ثلاث : أولاها الإسلام ، فإذا دخلوا فى الإسلام فقد عصموا دماءهم وأموالهم ، وصاروا للمسلمين إخوانا ، لهم مالهم ، وعليهم ما عليهم ، وتلك هى الغاية العظمى للجهاد فى الإسلام ، إنقاذ الناس من النار ، بالإيمان بالله الواحد القهار ، وليس ذلك عن إكراه ، بل عن اقتناع كامل ، ورضاً تام ، وحرية مكفولة ، فـ ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ .(٣)

---

(١) آل عمران : ١٢٠ .
(٢) آل عمران : ١٢٤و١٢٥ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .

ولذلك لم يسجل التاريخ ولا واقعة واحدة أكره فيها كافر على الإسلام .

ومن الجدير بالذكر أن قوله ﷺ : « **ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين** . . . الخ » كان قبل فتح مكة ، فلما فُتحت قال ﷺ : « **لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيّة ، وإذا استنفرتم فانفروا** » .(1)

ومما يدل على كفالة الإسلام لحرية الأفراد فى العقيدة أنه لم يجعل دعوته للكفار إلى الإسلام فقط ، بل جعلها إلى الإسلام أوّلا : فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبَوْا فسلهم الجزية » كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾(2)

فإن أعطوها قُبلت منهم ، وحُقنت بها دماؤهم ، وعُصمت أموالهم ، وإن رفضوا الإسلام والجزية فقد أصرّوا على القتال ، فتعين على المسلمين جهادهم ، ولذلك قال ﷺ : « **فإن هم أبَوْا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم** » .

فإن قاتلوهم فعليهم أن يُراعوا آداب القتال ، ومنها :

١- إحسان القتل :

عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : ثنتان حفظتهما من رسول الله ﷺ قال : « **إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة ، وليحدّ أحدكم شفرته ، وليُرح ذبيحته** »(3)

---

(١) **متفق عليه** : خ(٦/٣٧/٢٨٢٥) ، م (٢/٩٨٦/١٣٥٣) ، ت (٣/٧٥و٧٤/١٦٣٨)، نس(٨/١٤٦) ، د(٧/١٥٧/٢٤٦٣) .

(٢) التوبة : ٢٩ .

(٣) **صحيح** : م (٣/١٥٤٨/١٩٥٥)، ت (٢/٤٣١/١٤٣٠) ، د(٨/١٠/٢٧٩٧) ، نس(٧/٢٧٧)، جه ٣١٧٠/ ٢/١٠٥٨) .

٢- اتقـــاء الوجـــه :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـــال رسول الله ﷺ : « **إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه** » . (١)

٣- أن لايقتلوا النســاء والصــبيان :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «**وُجدت امرأة مقـتولة فى بعض مغازى النبى ﷺ ، فنهى ﷺ عن قتل النساء والصـــبيان** » (٢)

والعلة أنهم لايُقاتلون ، كما صرح النبى ﷺ بذلك فى حديث رباح بن الربيع قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ، فرأى الناس مجتمعين على شئ ، فبعث رجلا فقال : « **انظر علام اجتمع هؤلاء ؟** » فجاء فقال : على امرأة قتيل ، فقال ﷺ : «**ما كانت هذه لتقاتل** » . قال : وعلى المقدمة خالد بن الوليد فبعث رجلا فقال : « **قل لخالد : لاتقتلنّ امرأة ولاعسيفا** » (٣)

وبناء على هذه العلة فإنه يلحق بالنساء والصبيان الرهبان ، والنساك والشيوخ والمرضى ، وغيرهم من الذين اعتزلوا الحرب والقتال ، ممن يسمّون بالمدنيين ، فيجب احترامهم وصيانة أرواحهم .

٤- أن لايحرقـــوا بالنـــار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى بعث فقال : « **إن وجدتم فلاناً وفلاناً فـأحرقوهما بالنار** » ، ثم قـال ﷺ حين أردنا الخـروج : « **إنى**

---

(١) **متفق عليه** : خ(٢٥٥٩/ ١٨٢/ ٥)، م ٢٦١٢/ ٢٠١٦/ ٤) .

(٢) **متفق عليه** : خ(٣٠١٤/ ١٤٨/ ٦)،م(١٧٤٤ / ١٣٦٤/ ٣) ، ت(١٦١٧/ ٦٦/ ٣) ، د(٢٦٥١/ ٣٢٩/ ٧) ، جه (٣٨٤١/ ٩٤٧/ ٢) .

(٣) **حسن صحيح** : [ص. د : ٢٣٢٤] ، د(٢٦٥٢/ ٣٢٩/ ٧) .

أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ،وإن النار لايعذّب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » [١] .

فإذا وضعت الحرب أوزارها لم تنته الآداب الإسلامية ، بل تمتد لتشمل قتلى المشركين وأسراهم ، ومن آداب الجهاد بعد انتهاء القتال :

١- النهى عن المثلة : فلا يجوز أن يمثّل المسلمون بقتلى المشركين ، بقطع أنف ، أو أذن ، أو شرم شفة ، أو قطع يد ورجل ، ونحو ذلك ، لقوله ﷺ : **«ولاتمثّلوا »** .

٢- الأمر بدفن قتلى المشركين : لقد خلق الله الإنسان وكرّمه ، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلا ، ومما كرّم الله به الإنسان وامتّن عليه به دفنه بعد موته ، قال تعالى : ﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١)** ﴾ [٢] .

فقبر الميت ولو كان كافراً واجب ، ولذا كان ﷺ يدفن قتلى المشركين .

٣- النهى عن بيع أجساد قتلى العدو :

بوّب الإمام البخارى فى صحيحه باباً سمّاه : « باب طرح جيف المشركين فى البئر ولايؤخذ لهم ثمن » ، قال الحافظ فى الفتح [٣] : قوله : « ولايؤخذ لهم ثمن» أشار به إلى حديث ابن عباس : أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل من المشركين ، فأبى ﷺ أن يبيعهم جسده ، وقال : « **لاحاجة لنا بثمنه ولابجسده** » . وقال ابن هشام : بلغنا عن الزهرى أنهم بذلوا فيه عشرة آلاف أ هـ.

---

(١) **صحيح** : خ(٣٠١٦/ ١٤٩/ ٦) ، ت(١٦١٩/ ٦٧, ٣) ، د(٢٦٥٦/ ٣٣٣/ ٧) .
(٢) عبس : ١٧-٢١.
(٣) فتح البارى (٢٨٣/ ٦) .

وهكذا كان المسلمون يحسنون إلى المشركين أمواتاً كما أحسنوا إليهم أحياء ، ولو حاول المسلمون أن يستغلوا الفرصة لكسب أكثر ما يمكن كسبه من المال لجمعوا من جثث قتلى المشركين مالاً عظيما ، ولاسيما أن قتلى المشركين في بدر كانوا صناديد قريش وعظماء القوم ، ولكن متى كان المسلمون الأولون طلاب دنيا وعشّاق مال .

٤- الأمر بالإحسان إلى الأسرى :

كانت أول غزاة غزاها الرسول ﷺ غزوة بدر ، وقد أمكن الله تعالى رسوله من المشركين ، فقتل منهم سبعين وأسر منهم سبعين ، فلما رجع ﷺ إلى المدينة فرّق الأسرى بين أصحابه ، ووصّاهم بهم خيرا ، فكانوا يطعمونهم ويسقونهم ويكسونهم ، فضربوا بذلك المثل الأعلى في حسن معاملة الأسرى وإكرام النزلاء ، حتى مدحهم ربّ العالمين سبحانه مدحاً مسجلاً في كتابه المحفوظ ، يُتلى على مر الأيام وكرّ الأزمان ، ليكون شهادة على حسن معاملة المسلمين لمن وقعوا في أيديهم من الأسرى ، قال تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ (١)

ولقد سجّل التاريخ على صفحاته شهادة إنصاف من أسير من أسرى بدر ، اعترف فيها بفضل المسلمين وكرمهم وإيثارهم .

---

(١) الإنسان : ٨-١٣ .

« قال ابن اسحاق : كان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه فى الأسارى ، قال أبو عزيز : فكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدّموا غذاءهم وعشاءهم خصّونى بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع فى يد أحدهم كسرة خبز إلا نفحنى بها ، فأستحى فأردها ، فيردها علىّ ما يمسّها»(١) .

وكان هذا حال المسلمين مع أسراهم فى كل وقعة ، وكان ﷺ يأتى الأسرى بنفسه ، ويسألهم عن أحوالهم ، ويجيبهم إلى ما سألوا .

٥- النهى عن الغلول :

وهو الأخذ من الغنائم قبل قسمتها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، ثم قال : « **لا أُلفينّ أحدكم يجيئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، يقول : يا رسول الله أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد بلغتك** » (٣)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى عمر رضى الله عنه : لما كان يوم خيبر ، أقبل نفر من أصحاب النبى ﷺ فقالوا : فلان شهيد ، وفلان شهيد ، حتى مرّوا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال ﷺ : « **كلا ، إنى رأيته فى النار فى عباءة غلّها** » (٤)

---

(١) البداية والنهاية : (٣٠٦و٣٠٧/٣) .
(٢) آل عمران : ١٦١
(٣) **متفق عليه** : خ(٣٠٧٣/ ١٨٥/٦) ، م(١٨٣١/ ١٤٦١/ ٣) .
(٤) **صحيح** : م(١٤/ ١٠٧/ ١) ، ت(١٦٢٢/ ٦٨/ ٣) .

٦- النهى عن الغدر :

فإذا انتهت الحرب بصلح عام أو معاهدة ، أوأجار أحدٌ من المسلمين محارباً ، وأعطاه أماناً ، وجب الوفاء بالعهد والأمان ، وحرم الغدر والخيانة ، فلا يُنقض العهد ، ولايُقتل المؤمَّن ولو كان المؤمِّن امـــرأة .

عن سليم بن عامر قال : كان بين معاوية وبين الروم عهد ، فكان يسير نحو بلادهم ليقرب ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم ، فجاء رجل على فرس وهو يقول : الله أكبر الله أكبر ! وفاء لا غدر ، فإذا هو عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأله، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يشدّ عقدة ولايحلّها حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء» ، فرجع معاوية .(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« من قتل معاهـــداً لم يـــرح رائحـــة الجنـــة ، وإن ريحـها يوجد من مسيرة أربعين عاما »** .(٢)

وعن أم هانئ أخت علىّ بن أبى طالب قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وابنته فاطمة تستره بثوب ، فسلّمت عليه فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا أم هانئ بنت أبى طالب ، فقال : مرحباً بأم هانئ ، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثمانى ركعات ملتحفاً فى ثوب واحد ، فلما انصرف قلت : يارســول الله ! زعــم ابن أمّــى علىّ أنــه قاتــلٌ رجلاً قد أجرْتُــه فقــال ﷺ :

---

(١) **صحيح** : [ص. د:٢٣٧٩]،د(٢٧٤٢/٤٣٩/٧) ، ت(١٦٢٩/ ٧١/ ٣) .
(٢) **صحيح** : خ (٣١٦٦/٢٩٦/٦) ، نس (٢٥/٨) .

« قد أجرنا مَن أجرت يا أمّ هانئ » . [(١)]

الله أكبر ! ما هذه الأداب؟ وما هذه الأخلاق ، حِرْصٌ على نجاة الكفار من النار قبل القتال ، ورحمة فى القتال ، وإحسان بعد انتهاء القتال ، وإحسان إلى القتلى ، وإحسان الى الأسرى و ومحافظة على المدنيين أثناء القتال .

فهل يعرف الكفار شيئاً من هذه الآداب ؟ لا والله ، وتاريخهم أكبر شاهد على عدم محافظتهم على المدنيين ، وعدم إحسانهم للمأسورين ، بل إنها القسوة والإجرام .

فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة .

---

(١) متفق عليه : خ(١٣٧١/ ٢٧٣/٦)، م(٣٣٦-٨٢-/٤٩٨/ ١) .

الحديث التاسع والعشرون

التحذير من ذنوب استهان بها الناس

عَن ابْنِ مَسْعُود رضيَ اللَّهَ عنهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال :

« **إِيَّاكُم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوب ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، كَرَجُلٍ كَانَ بِأَرْضِ فَلاَة ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالعُود ، والرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُود ، حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذلك سَوَاداً وأَجَّجُوا نَاراً ، فَأَنْضَجُوا مَا فِيهَا** » .(١)

خلق اللّه الخلق ليعبدوه وحده ولايشركوا به شيئا ، وقد تعبدّهم بفعل ما يحبّه ، واجباً كان أو مندوباً ، وترك مايكرهه ، حراماً كان أو مكروهاً ، فيجب على المكلف فعل الواجب ، ويستحب له فعل المندوب ، ويجب عليه ترك الحرام، ويستحب له ترك المكروه .

وقد وكّل الله بالمكلفين كراماً كاتبين ، يسجّلون كل ما يفعلون :

قال تعالى : ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ** ﴾(٢)

ويوم القيامة تُنشر صحائف الأعمال على الناس ﴿ **لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾(٣) ، قال تعالى : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾(٤).

---

(١)**حسن** : [ص. ج : ٢٦٨٤] ، أ(١٦٥/ ٢٥٢و٢٥٣/ ١٩) .

(٢) القمر : ٥٢و٥٣ . (٣) الزلزلة : ٦ . (٤) الكهف : ٤٩ .

قال الفضيل :

ضجّوا من الصغائر قبل الكبائر .(١)

فالذنوب قسمان : كبائر وصغائر :

فالكبيرة : كل ذنب ترتّب عليه حدٌّ فى الدنيا ، أو خُتم بلعنة الله ، أو غضب الله أو عذاب النار فى الآخرة .

والصغيرة : كل ذنب لم يترتّب عليه حدٌّ فى الدنيا ولم يُختم بلعنة أو غضب ، ولم يترتب عليه عذاب فى الآخرة .(٢)

والنبى ﷺ يحذّر أصحابه من محقّرات الذنوب أى صغارها دون كبارها لندرة وقوع الكبائر منهم ، وشدّة تحرزهم منها ، ويبين أنهن أى الصغائر يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، يعنى إن لم يغفرها الله عزّوجل .

ويضرب لذلك مثلاً بجماعة مسافرين نزلوا صحراء ، وأرادوا أن يطبخوا ، فتفرّقوا يميناً وشمالاً ، فجاء ذا بعود ، وذا بعود ، حتى جمعوا من العود حطباً كثيرا ، فأوقدوا النار ، وأنضجوا الطعام ، وكذلك صغار الذنوب ، يجتمع الذنب على الذنب ، حتى تكثر الذنوب ، ويسودّ القلب ، حتى يختم عليه ، فتحق عليه كلمة العذاب ، كما قال النبى ﷺ :

« إن المؤمن إذا أذنب كانت نُكتةٌ سوداء فى قلبه . فإن تاب ونزع واستغفر ، صُقِلَ قلبُه . فإن زاد زادت . فذلك الرّان الذى ذكره الله فى كتابه ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٣) . [المطففين : ١٤]

---

(١) تفسير القرطبى (٤١٩/١٠) .

(٢) شرح الطحاوية : (٤١٨) .

(٣) صحيح : [ص . جه : ٣٤٢٢] ، جه (٤٢٤٤/١٤١٨/٢) ، ت(٣٣٩٠/١٠٥/٥) .

هذا هو أثر الذنوب بالنسبة للفرد ، فإذا كثرت ذنوب الأفراد فى المجتمع وعمّت كانت سبباً فى هلاك المجتمع كله ، كما قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) ﴾[١]

وبيّن صفة الإهلاك وأكد سببه فقال :

﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾[٢]

ونحن نرى المسلمين اليوم قد استهانوا بكبار الذنوب فضلا عن صغارها ، واحتقروها وعدّوها شيئاً قليلا ، حتى صدق فيهم قولُ أنس رضى الله عنه : «إنكم لتعملون أعمالاً هى أدقّ فى أعينكم من الشعر ، كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات »[٣] ، أى من كبار الذنوب المهلكات ، وصدق الله العظيم حيث يقول : **﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾** .[٤]

فتذكيراً لأنفسنا ، ونصحاً لإخواننا ، نعرض عليهم بإيجاز بعض الذنوب التى استهانوا بها ، **﴿ لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكرا ﴾**[٥] ، فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) الأنعام : ٦ .
(٢) العنكبوت : ٤٠ .
(٣) **صحيح** : خ(٦٤٩٢/٣٢٩/١١).
(٤) النور : ١٥ .
(٥) طـه : ١١٣ .

* **من الذنوب التى استهان بها المسلمون :** التدخين ، هذا البلاء الذى عمّ وطمّ ، ولم يسلم منه الرجال ولا النساء حتى الصبيان إلا من رحم ربك . هذا التدخين حــرام ، لأدلـة كثيـرة :

منها : أنه خبيث ، وكل خبيث حرام ، قال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾(١) ، ففهم من ذلك أن الخبائث حرام ، وقد صرّح ربنا سبحانه بهذا المفهوم فى قوله فى وصف محمد ﷺ : ﴿ **النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ﴾(٢) ، فكلّ طيّب حلال ، وكل خبيث حرام، والدخان خبيث ، فهو حرام .

ثانياً : التدخين يضرّ بالصحة ، وضرره ثابت بشهادة أهل الذكر ، بشهادة الأطباء والمسئولين عن صحة الإنسان ، وإذا ثبت ضرره ثبتت حرمته ، لقوله ﷺ : « **لاضرر ولاضرار** »(٣) .

ولقول اللـه تعـالى : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾(٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)** ﴾(٥)

ثالثاً : إذا ثبت ضرر التدخين حَرُم الإنفاق فيه ، فمن أنفق ماله فى الدخان فقد أنفق فى الحرام ، ولن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه . (٦)

---

(١) المائدة : ٤ . (٢) الأعراف : ١٥٧ .
(٣) **صحيح** : [ص. جه : ١٨٩٥] ، جه (٢٣٤٠/ ٧٨٤/ ٢) .
(٤) البقرة : ١٩٥ (٥) النساء : ٢٩و٣٠ .
(٦) **صحيح** : [ص. ج : ٧١٧٧] ، ت(٢٥٣١/ ٣٥/ ٤) .

والإنفاق فى التدخين إسراف وتبذير ، لإن الإسراف هو إنفاق المال فى الحرام ولو كان قليلا ، كما قال بعض السلف : لو أن رجلاً أنفق ماله كلّه فى سبيل الله ماكان مسرفاً ، ولو أنفق مدّا واحداً فى الحرام كان مسرفاً . (١)

ويشهد لصحة قوله أن النبى ﷺ حثّ يوماً على النفقة ، فأتى أبو بكر رضى الله عنه بماله كله ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله (٢) .

فقبل رسول الله ﷺ منه نفقته ، ولم ينهه عنها ، ولم يقل إن هذا إسراف ، لإن الإسراف هو إنفاق المال فى الحرام ، والله تعالى نهى عن الإسراف والتبذير ، فقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧) ﴾(٤)

ثم إن التدخين يضر بإقتصاد البلد كله ولايقتصر ضرره على الأفراد فقط ، فلوقلنا : بلدٌ كبلدنا هذا ، فيه ألف مدخّن فقط ، معتدلون فى التدخين ، متوسط كل فرد منهم فى اليوم عُلبةٌ واحدة ، فمعنى ذلك أن ألف مدخن ينفقون فى اليوم ألفاً وخمسمائة جنيه ، وفى الشهر خمسةً وأربعين ألف جنيه ، وفى السنة خمسمائة وأربعين ألف جنيه ، يعنى نصف مليون وأربعون ألف جنيه ، ينفقها ألف مدخن فقط فى السنة ، إذا دخّن كل واحد عُلبةً واحدة فى اليوم .

---

(١) الدر المنثور (٣٦٩/٣) .

(٢) حسن : [ص.د: ١٤٧٢]،د(١٦٦٢/ ٩٤/ ٥) ، ت(٣٧٥٧/ ٢٧٧/ ٥) .

(٣) الأعراف : ٣١ .

(٤) الإسراء : ٢٦و٢٧ .

فبالله عليكم ، هذه الملايين التى تُنفق كم تستصلح من أراضٍ وكم تبنى من مصانع ؟ وكم شاباً تُخرج من البطالة إلى العمالة ؟

فاتق الله أيها المدخن فى نفسك ، واتق الله فى صحتك ، واتق الله فى مالك ، واتق الله فى أولادك ، واتق الله فى وطنك .

*** ومن الذنوب التى يستهان بها اللعب بالطاولة :**

واللعب بالطاولة حرام ، لقول ﷺ : « **من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله** » [1]، فقد عصى الله ورسوله وإن لم يكن اللعب على فلوس ، لأن فيه تضييعاً للوقت ، وتفريطا فى الواجب ، وغفلة عن ذكر الله وعن الصلاة ، ووقت الإنسان أغلى ما يملك ، وهو أغلى شئ فى الحياة ، ولاقيمة للحياة إذا انتهى الوقت ، وسوف يدرك المضيعون أوقاتهم قيمة الوقت حين ينتهى الوقت ، وسيسألون القليل منه ، ولن يجابوا ، قال تعالى : ﴿**وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑩ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑪**﴾ .[2]

أما إن كان اللعب على فلوس فهذا هو الميسر المحرّم بالإجماع ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ⑨⓪ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ⑨①** ﴾[3] . نرجوا الله أن يوفق الجميع لقول : انتهينا ربّنا .

---

(١) **حسن** : [ص . جه : ٣٠٣٠]، جه(٣٧٦٢/ ١٢٣٧/ ٢)، د(٤٩١٧/ ٢٨٣/ ١٣) .

(٢) المنافقون : ١٠و١١ .

(٣) المائدة : ٩٠و٩١ .

* **ومن الذنوب التى يستهان بها :** سفر المرأة بدون مَحْرَم ، وسفر المرأة بدون محرم حرام ، ولو كان للحج ، فكيف بغيره .

عن ابن عباس أنه سمع النبىّ ﷺ يخطب يقول : « **لا يخلونّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولاتسافر المرأة إلا مع ذى محرم** » . فقام رجل فقال : يا رسول الله ! إن امرأتى خرجت حاجّة وإنى اكتُتِبْتُ فى غزوة كذا وكذا ؟ قال : « **انطلق فحج مع امرأتك** » .[1]

ومع ذلك تهاون المسلمون بهذا الأمر ، وعرّضوا النساء والبنات للغمز واللمز والمعاكسات والمضايقات ، فى السيارات والقطارات والطرقات .

* **ومن الذنوب التى يستهان بها :** وضع المرأة الروائح النفاذة والعطور الفائحة عند الخروج من البيت ، وهو حرام ، وقد شدّد النبى ﷺ فيه فقال : « **إن المرأة إذا استعطرت ، فمرّت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية** » .[2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أنه لقيتْه امرأة ، فوجد منها ريح الطيب ، ولذَيْلها إعصار ، فقال : يا أمة الجبّار ، جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : وله تطيّبت ؟ قالت : نعم . قال : إنى سمعت حبىّ أبا القاسم ﷺ يقول : « **لا تُقبَلُ صلاةُ امرأة تطيَّبت للمسجد ، حتى تغتسل غُسلها من الجنابة** » [3]

ومع ذلك تهاون المسلمون بهذا الأمر ، وأذنوا لنسائهم وبناتهم فى التعطر إن أردن الخروج ، لا ، بل هم أنفسهم الذين يشترون لهنّ هذه الروائح والعطور .

---

(١) **متفق عليه** : خ(١٨٦٢ / ٧٢/ ٤) ، م (١٣٤١ / ٩٧٨ / ٢) .
(٢) **حسن** : [ص . د : ٣٥١٦]، د(٤١٥٥/ ٢٣٠/ ١١)، ت(٢٩٣٧/ ١٩٤/ ٤)، نس(١٥٣/ ٨) .
(٣) **صحيح** : [ص . د: ٣٥١٧]، د(٤١٥٦/ ٢٣٠/ ١٤)، جه(٤٠٠٢/ ١٣٢٦/ ٢) .

* **ومن الذنوب التى يُستهان بها :** تغيير خَلْق الله من المرأة والرجل على حدّ سواء ، وذلك بإزالة شعر الوجه ، وإزالة شعرِ وجه المرأة والرجل حرام ، لأنه من عمل الشيطان ، هو الذى يدعو إليه ويأمر به ، قال تعالى : ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** ﴾ .(١)

ولقد حذّر النبى ﷺ من إزالة شعر الوجه ، فقال : « **لعن اللهُ المتنمصات** »(٢)

والنمص إزالة شعر الوجه . وخصّ الإناث بالذكر لأنهنّ مفطورات على حب الحسن والجمال ، فهى ترى أن الشعر فى وجهها ينقص من حسنها ، فتتعدّى عليه بالإزالة حرصاً على الحسن ، ولذلك قال ﷺ فى الحديث : « **المغيّرات لخلق الله للحسن** » .(٢)

أما الرجل فهو يرى بالفطرة أن زينته وجماله فى لحيته فهو يعفيها ويوفّرها ، كما أمر النبى ﷺ : « **ارخوا اللّحى** »(٣) ، **وفرّوا اللّحى** »(٤)، « **اعفوا اللّحى**»(٥) .

فكانت إزالة شعر الوجه من الرجال شبه معدومة ، فلذلك خص النساء بالذكر، فقال : « **لعن الله المتنمصات** » . فمن أزال شعر وجهه من الرجال فقد تشبه بالنساء ، وأطاع الشيطان ، وعصى الرحمن .

---

(١) النساء : ١١٧-١١٩ .

(٢) **صحيح** :[ص.د: ٣٥١٣]،د(٤١٥١/ ٢٢٥/ ١١) ، جه(١٩٨٩/ ٦٤٠/ ١) .

(٣) **صحيح** : م(٢٦٠/ ٢٢٢/ ١) . (٤) **صحيح** : خ(٥٨٩٢/ ٣٤٩/ ١٠) .

(٥) متفق عليه : خ(٥٨٩٣/ ٣٥١/ ١٠)، م(٢٥٩/ ٢٢٢/ ١)، ت(٢٩١٣/ ١٨٧/ ٤)، نس(١٦/ ١)

* **ومن الذنوب التى يستهان بها النّظرة :** والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس

كل الحوادث مبداهـا من النظـر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مـادام ذاعيْـن يقلّبهـا ... فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها ... فعل السهـام بلاقوس ولاوتـر
يسـرّ ناظـره مـاضرّ خاطره ... لامرحبـا بـسرور جاء بالضـرر

لذلك نهى اللـه تعـالى عن النظرة فـقـال : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(١) .

وقال ﷺ لعلىّ بن أبى طالب : « **يا علىّ لا تُتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وعليك الثانية** » (٢)

والمراد بالأولى نظرة الفجأة غير المقصودة ، ولذلك سئل ﷺ عن نظرة الفجأة فقال : « **اصرف بصرك** » . (٣)

* **ومن الذنوب التى يستهان بها :** مصافحة المرأة الأجنبية ، وهى كل امرأة تحل للرجل ، سواء كانت ذات قرابة منه أم لم تكن ، وهذه المصافحة من البلاء العام، مع أن النبى ﷺ حذّر منها فقال : « **لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمسّ امرأةً لاتحل له** »(٤)

فاتق الله أيتها المرأة ، لاتمدّن يدك إلى رجل ، فإن هذا اللمس نوع من الاستمتاع ، ولايحل منك هذا الاستمتاع إلالزوجك ، ولذلك عدّ النبىُّ ﷺ هذا اللمس نوعاً من أنواع الزنا ، فقال :

---

(١) النور : ٣٠.
(٢) **حسن** :[ص.د: ١٨٨١]،د(٢١٣٥/١٨٦/٦)،ت(٢٩٢٧/١٩١/٤)
(٣) **صحيح** : م(٢١٥٩/١٦٩٩/٣)،د(٢١٣٤/١٨٦/٦) ،ت(٢٩٢٦/١٩١/٤) .
(٤) **صحيح** : [ص ، ج : ٤٩٢١] ، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٢٢٦) .

« كُتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا الأذنيْن الاستماع ، وزنا اليديْن البطش ، وزنا الرجليْن الخطى ، والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . (١)

*** ومن الذنوب التى يستهان بها : الاختلاط :**

الاختلاط المشين فى البيوت ومحالّ العمل ، اختلط الرجال بالنساء ، وكلّم الرجال النساء ، وما زحوهنّ وغازلوهن بلا خجل ولاحياء ، والله تعالى يقول : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾(٢) .

والنبىّ ﷺ يقول : « **إياكم والدخول على النساء** » . قالوا : يارسول الله ! أفرأيت الحمو ؟ قال : « **الحمو الموت** » (٣). والحمو قريب الرجل كأخيه وابن أخيه ، وعمه وابن عمه .

إن الله خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وفطرهما على ميل كل جنس إلى الآخر ، حتى يتم التناسل والتكاثر عن طريق الحلال المشروع وهو الزواج ، فرغبة الرجل فى المرأة ، ورغبة المرأة فى الرجل ، فطرة فى النفس ، ونحن مأمورون بمقاومة هذا الميل وتهذيبه حتى لايميل نحو الحرام ، لكن الاختلاط المشين يحرّك الساكن فى النفس ، ويقوّيه حتى يغلب صاحبه فى النهاية ويوقعه فى الحرام .

وكل التبريرات والتعليلات التى يتعلّل بها الداعون إلى الاختلاط مردودة ، مثل قولهم : إن الزميل كالأخ ، والزميلة كالأخت ، والكل كأنهم أسرة واحدة ،

---

(١) **متفق عليه** : خ(٦٣٤٣/ ٢٦/ ١١/)، م(٢٦٥٧/ ٢٠٤٧/ ٤)، د (٢١٣٨/ ١٨٨/ ٦)

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) **متفق عليه** : خ(٥٢٣٢/ ٣٣٠/ ٩) ، م(٢١٧٢/ ١٧١١/ ٤) ، ت(١١٨١/ ٣١٨/ ٢) .

ونحن نقول : لايمكن أبداً أن يكون الزميل كالأخ ، ولاالزميلة كالأخت ، بدليل واحد واضح ، وهو الفرق البائن بين حديث النفس أثناء الجلوس مع الأخ والأخت ، وأثناء الجلوس مع الزميل والزميلة ، فإن نفس الأخ لا تحدثه بسوء أبداً وهو جالس مع أخته ، ونفسها كذلك ، بينما نفس الزميل والزميلة لاتكاد تسلم من الوساوس والهواجس والدعوة إلى الشرّ والفجور .

فيا عباد الله طهروا مجتمعكم من الاختلاط ، حولوا بين دخول الرجال على النساء ، انهوا نساءكم عن الظهور على الرجال ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (١)

* **ومن الذنوب التى يستهان بها :** الخلوة ، خلوة الرجل بالمرأة التى تحل له ، مهما كانت القرابة والزمالة والصداقة ، وطبيعة العمل ، قال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان** » . (٢)

وليس فى كل مرّة تسلم الجرّة كما يقال ، فمن الخطر بمكان خلوة الزميل بالزميلة ، وخلوة المسئول بالسكرتيرة ، وخلوة الرجل بامرأة أخيه ، وخلوة الصديق بامرأة صديقة .

ولا يُقبل قول القائل : أليس هناك أمان ؟ أليست هناك ثقة ؟ فإن هذا الأمان هو الذى أدى إلى الخيانة ، وهذه الثقة هى التى أفضت إلى الفاحشة ، وحسبكم ما اطلعتم عليه ، وماخفى كان أعظم ، والعاقل من اتعظ بغيره ، ولم ينتظر حتى يتعظ به غيرُه .

---

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) **صحيح** : [غاية المرام ١٨٠] ، أ(٢٠٤/٧٦/١٦) .

*** ومن الذنوب التى يستهان بها : الغناء الماجن والمعازف :**

فإنها صوت الشيطان ، كما قال تعالى لإبليس وقد طرده من الجنة : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ (١) ، قال مجاهد : باللهو والغناء(٢) .

ولما دخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة وعندها جاريتان تغنيان ، قال : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ فقال ﷺ : « **دعهما يا أبا بكر فإنا يوم عيد** » ، فأقرّه على قوله : « **أمزمار الشيطان** » ، ولكنه رخص للجوارى فيه فى يوم العيد (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٤) قال ابن مسعود : والله الذى لا إله غيره هو الغناء (٥) .

وقد لعن رسولُ الله ﷺ هذا الصوت ، فقال : « **صوتان ملعونان : صوت مزمار عند نعمة ، وصوت ويْل عند مصيبة** »(٦)

ووصفه بالحماقة والفجور ، فقال وقد بكى على ابنه إبراهيم ، فقيل له : تبكى يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال ﷺ : « **إنى لم أنه عن البكاء ، ولكنى نهيت عن صوتيْن أحمقيْن فاجريْن : صوت عند نعمة ، لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة لطم وجوه ، وشقّ جيوب** » (٧)

---

(١) الإسراء : ٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩) .

(٣) متفق عليه : خ(٩٥٢/ ٤٤٥/ ٢)، م(٨٩٢/ ٦٠٧/ ٢) .

(٤) لقمان : ٦ .

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤١).

(٦) **حسن** : [ص. ج : ٣٦٩٥] وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٤٢٧).

(٧) انظر تخريجه وتحقيقه فى " تحريم آلات الطرب " لشيخنا الألبانى(٥٢و٥٣).

وقد توعّد ﷺ أهل الغناء والمعازف بالخسف والمسخ ، فقال :

« ليكونن من أمتى أقوام يستحلّون الحِرَ والحرير ، والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علَم ، يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة ، فيقولون ارجع إلينا غداً ، فيبيّتهم الله تعالى ، ويضع العَلَم ، ويمسخ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة » . [1]

وقال ﷺ : **« ليكوننّ فى هذه الأمة خسفٌ وقذفٌ ومسخٌ ، وذلك إذا شربوا الخمور ، واتخذوا القينات ، وضربوا بالمعازف »** . [2]

وقال ﷺ : **« ليشربنّ ناسٌ من أمّتى الخمر ، يسمّونها بغير اسمها ، تعزف على رءوسهم المعازف والمغنّيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير »** . [3]

فاتقوا الله عباد الله ، وطهّروا بيوتكم من هذه الأصوات الفاجرة ، أصوات الشيطان ، فإنها تطرد الملائكة ، وتمنع الخير والبركة والرحمة .

*** ومن الذنوب التى يستهان بها : اتخاذ الصور والتماثيل فى البيوت** .

مع أن اتخاذها حرام ، ويمنع دخول الملائكة ، كما قال ﷺ :

« لاتدخل الملائكةُ بيتاً فيه كلبٌ أو صورة » . [4]

ومن أسوأ الصور التى يتخذها الناس ما يسمونها صورة الزفاف ، يأتى الرجل

---

(١) **صحيح** : [ص. ج: ٥٣٤٢]، خ(٥٥٩٠ , ٥١/ ١٠)تعليقا وانظر تخريجه فى " تحريم آلات الطرب " لشيخنا الألبانى (٣٨) .

(٢) **صحيح** : [ص . ج: ٥٣٤٣] ، وانظر تخريجه وتحقيقه فى " الصحيحة " (٢٢٠٣) .

(٣) **صحيح** : [ص . ج: ٥٣٣٠]، ج(٤٠٢٠/ ١٣٣٣/ ٢) .

(٤) متفق عليه : خ (٥٩٤٩/ ٣٨٠/ ١٠) ، م(٢١٠٦/ ١٦٦٥/ ٣) ، ت(٢٩٥٦/ ٢٠٠/ ٤) ، د(٤١٣٥/ ٢٠٨/ ١١) .

بعروسه ، فى أبهى حلّة ، وأحسن زينة ، وأجمل منظر ، وقبل أن يصل بها إلى بيته يمرّ بها أوّلاً على المصوّر ، فتقوم أمامه فيتمتع بجمالها بصرُه ، وبطيب ريحها شمُّه ، ويدنو منها ، ويقف بجوارها ، ويضع يده على خدّها ورأسها ، تعديلاً لموقفها ، وتهيئة لتصويرها ، وهكذا يستمتع المصوّر بالعروس قبل أن يستمتع بها عروسها ، ثم تؤخذ هذه الصورة ثم تعلق فيما يسمّونه بالصالون أمام الداخل والخارج والقاعد ، ليتملّى بنورها ، ويستمتع بجمالها ، وإنا لله وإنا إليه راجعون

وإن تعجب فاعجب من اجتماع هذه المحرمات كلها فى أعراس المسلمين ، ففى أعراس المسلمين اليوم تبرّج وسفور ، وطيب وعطور ، ودخان وخمور ، ورقص وطرب ، وغناء ومعازف ، واختلاط وخلوة ، وصور ، فإن أنكرت كان الجواب : هذه ليلة العمر ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

*** ومن الذنوب التى يستهان بها : الغيبة**

وهى ذكرك أخاك بما يكره ، فى نسبه أو حسبه ، أو جسمه ، أو ثيابه ، أو علمه ، أو خُلُقه ، ونحو ذلك مما يسيئه ذكره .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » . قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه** » (1)

والغيبة حرام ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(2) أى : فكرهتم أكل الميتة طبعا ، فاكرهوا الغيبة شرعاً

---

(1) **صحيح** : م(٢٥٨٩/ ٢٠٠١/ ٤)، د(٤٨٥٣/ ٢٠٠/ ١٣)، ت(١٩٩٩/ ٢٢٠/ ٣) .

(2) الحجرات : ١٢

فإنها محرّمة ، كما أن الميتة محرّمة .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »**(١)

فاتقوا الله عباد الله ، وكفوا ألسنتكم عن أعراض المسلمين ، فـ« كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه »(٢) .

واعلموا أن النبى ﷺ جعل الغيبة من علامات النفاق ، فقال :

« يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتّبع عورة مسلم تتّبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى قعر بيته » .(٣)

* **ومن الذنوب التى يستهان بها** : تعطيل الموظف مصالح المسلمين لابتزاز أموالهم ، يأتى الرجلُ الموظفَ فيطلب منه حاجته فيعقدها له تعقيدا ، ويرجئها إرجاءاً ، غداً يا سيّد ، بعد غد يا سيّد ، الإسبوع القادم يا محترم ، حتى يضطره فى النهاية إلى أن يفهم ما يريد ، فإن لم يفهم اضطر هو إلى أن يفهمه ، حتى يدفع ، هذه الأموال التى يأخذها الموظفون من المراجعين حرام ، لأنه **« لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه »** ، وهذا المراجع لاتطيب نفسه أبدا بما يدفع وإنما يدفع مكرهاً مضطرا ، وقد قال النبى ﷺ : **«هدايا العمال غلول »** .(٤)

---

(١) **صحيح** : [ص. ج :٥٠٨٩] ، د(١٣/٢٢٣/٤٨٥٧) .
(٢) **صحيح** : م(٤/١٩٨٦/٢٥٦٤)، د(١٣/٢٢٦/٤٨٦١)، ت(٣/٢١٨/١٩٩٢) .
(٣) **حسن صحيح** : [ص . د : ٤٠٨٣] ، د(١٣/٢٢٤/٤٨٥٩).
(٤) **صحيح** : [الارواء ٢٦٢٢] ، أ(٤ / ٩٠ / ٢٧٠)

وعن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : «استعمل النبىّ ﷺ رجلاً من الأزد يُقال له : ابن اللُّتبيَّة على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدى إلىّ . فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **أما بعد ! فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا هدية أُهديت إلىّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمّه حتى تأتيه هديتُه إن كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة** » . (١)

فيا معشر الموظفين اتقوا الله فى مصالح المسلمين ، يسّروا أمورهم ، واقضوا حوائجهم ، وإياكم وأموالهم ، فإنها سحت ، ولاتنفع أبدا ، وانظروا بأمانة وصدق هل تنفقون هذه الأموال إلا على الطب والدواء ؟ واسألوا أنفسكم هل يبقى عندكم شئ من هذه الأموال ؟ والجواب الصحيح لايبقى منها شئ إلى آخر الشهر ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولاتقولوا إن فلاناً بنى عمارات من هذه الأموال ، واعلموا أنه سيتركها لمن لايحمده ، ويُقدم بأوزاره على من لايعذره .

*** ومن الذنوب التى يستهان بها : الحلف بغير الله :**

كالحلف بالنبىّ والولىّ ، والوالد والولد ، والتربة والقبر ، ونحو ذلك ، وهذا أمر خطير جداً ، قد نهى الله ورسوله عن الحلف بغير الله ، قال ﷺ : « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم** » . (٢)

---

(١) **متفق عليه** : خ(٦٩٧٩/ ٣٤٨/ ١٢)، م(١٨٣٢/ ٤٦٣/ ٣)، د(٢٩٣٠/ ١٦٢/ ٨).

(٢) **متفق عليه** : خ (٦٦٤٦/ ٥٣٠/ ١١) ، م (١٦٤٦/ ١٢٦٦/ ٣)، د(٣٢٣٣/ ٧٧/ ٩) ، ت(١٥٧٣/ ٤٥/ ٣) ، جه(٢٠٩٤/ ٦٧٧/ ١) .

وعظّم ﷺ أمر الحلف بغير الله فقال : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** »[١]

* **ومن الذنوب التى يستهان بها** : إتيان الكهنة والعرّافين لمعرفة الأشياء المفقودة والمسروقة ، ولحلّ عقدة البنت التى لم تتزوج ، وغير هذا من الأغراض ، وإتيان الكهنة والعرّافين كفر ، كما قال ﷺ : « **من أتى حائضا ، أو امرأة فى دبرها ، أو كاهنا فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد** » . [٢]

* **ومن الذنوب التى يستهان بها** : التخلف عن صلاة الجماعة بغير عذر ، وهو حرام لأن الله تعالى أمر بالجماعة فى الصلاة فقال : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٣]. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

وقال النبى ﷺ : « **من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر** » . [٥]

وأتاه رجلٌ أعمى فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأل رسولَ الله ﷺ أن يرخّص له فيصلى فى بيته ، فرخّص له ، فلما ولّى دعاه فقال له : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » قال : نعم . قال : « **فأجب** » . [٦]

---

(١) **صحيح** : [ص . د : ٢٧٨٧] ، د(٣٢٣٥/٧٨/٩) ، ت(١٥٧٤/٤٥/٣) .
(٢) **صحيح** : [ص . جه : ٥٢٢]، ت(١٣٥/٩٠/١)، جه(٦٣٩/٢٠٩/١) .
(٣) البقرة : ٤٣ .
(٤) النور ٣٦ ، ٣٨
(٥) **صحيح** : [ص . جه : ٦٤٥] ، جه (٧٩٣/٢٦٠/١).
(٦) **صحيح** : م(٤٥٣/٤٥٢/١) ، نس (١٠٩/٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرّق عليهم بيوتهم** » .(١)

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحافظون على الجماعة حتى فى المرض ، كان الرجل لايقدر على المشى فكان يستعين بغيره حتى يشهد الجماعة ، وفى ذلك يقول ابن مسعود : « ولقد كان الرجل يؤتى به ، يُهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف » .(٢)

وهم فى ذلك مقتدون بالنبى ﷺ ، فقد خرج إلى الصلاة فى مرض موته بين رجلين من أهله ، ورجلاه تخطان فى الأرض ، وعلى ذلك بوّب البخارى فى صحيحه : باب حدّ المريض الذى يشهد الجماعة .(٣)

وبعد : فيا أيها المسلم الذى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، هذه ذنوب استهان بها الناس فاحذرها ، و :

خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لاتحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

---

(١) **صحيح** : خ(٦٤٤/ ١٢٥/ ٢) .
(٢) **صحيح** : م(٦٥٤/ ٤٥٣/ ١)، د(٥٤٦/ ٢٥٤/ ٢)، نس(١٠٨/ ٢) .
(٣) فتح البارى (١٥١/ ٢) .

الحديث الثلاثون

الحث على أكل الحلال واجتناب الحرام

عَنْ أبى أُمامَةَ رضىَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال : « إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعى أنَّ نفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتكْمل أَجَلهَا وتَسْتَوْعبَ رزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأجْملُوا فى الطَّلَب ، ولاَيَحْمِلَنَّ أَحدَكُمُ استِبْطَاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بمَعْصيَة اللَّه ، فإنَّ اللَّهَ تَعالَى لايُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلاَّ بطَاعته »(1)

الروح هو جبريل عليه السلام ، سمّاه الله روحاً فى كتابه فى أكثر من آية :

قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193)﴾(2)

وقال تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر ﴾ . (3)

وقال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) ﴾ . (4)

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ ﴾ . (5)

وإنما سُمّى جبريل روحاً لأنه يحمل الوحىّ من الله إلى أنبيائه ، ووحْيُ الله روح تحيا بها أرواح العباد ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(6) .

---

(1) **صحيح** : [ص . ج : 2081] . (2) الشعراء : 192و193 . (3) القدر : 4 .
(4) المعارج : 4 . (5) النبأ : 38 . (6) الشورى : 52 .

وقال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٢)

فالوحْى روح تحيا بها الأرواح ، فمَن قَبِلَ الوحى فهو حىّ ، ومن رفض الوحى فهو ميت ، قال تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(٣) .

والمراد بالقدس الطهارة والنزاهة من العيوب ، وقد سُمّى جبريل بذلك فى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ .(٥)

وقال النبى ﷺ لحسان بن ثابت رضى الله عنه يوم بنى قريظة : « **ياحسّان ! أجب عن رسول الله ﷺ . اللهم أيّده بروح القدس** » .(٦)

* **وقوله ﷺ : « نفث فى روعى »** : أى ألقى الوحْى فى خُلدى وبالى دون أن أسمعه أو أراه ، وهذا أحد أنواع الوحى ، فإنه ستة أنواع :

الأول : كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدّه عليه ﷺ .

الثانى : يتمثل له الملَك رجلاً فيكلمه .

الثالث : الرؤيا المنامية .

الرابع : الإلقاء فى القلب .

الخامس : يأتيه جبريل فى صورته الأصلية له ستمائة جناح .

السادس : يكلمه الله تعالى من وراء حجاب ، كما كلمة ليلة الإسراء .(٧)

---

(١) النحل : ٢. (٢) غافر : ١٥ . (٣) الأنعام : ١٢٢ . (٤) النحل : ١٠٢ .
(٥) البقرة : ٨٧. (٦) **متفق عليه** : خ(٦١٥٢/ ٥٤٦/ ١٠)، م(٢٤٨٥-١٥٢-/ ١٩٣٣/ ٤).
(٧) فيض القدير (٤٥١/ ٢).

* قوله ﷺ : « **إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها** » :

يعنى أنها آجال معلومة ، وأرزاق مقسومة ، ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[(١)] ، ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾[(٢)] ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾[(٣)] ، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً ﴾ أى لكل نفس ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾[(٤)] ، أى للدنيا كلها لا يعلمه إلا هو ، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[(٥)] ، ﴿ وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[(٦)] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمّه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقىّ أم سعيد** » .[(٧)]

وما قدّر الله لابد أن يكون ، فلابد أن تستكمل كل نفس أجلها ، وتستوعب رزقها ، من غير زيادة ولا نقصان ، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .[(٨)]

ولذلك ترى الرجل يغشى عليه من الموت ، ويفقد الجميع الأمل فى حياته ، ويعتقدون أنه الفراق ، وفجأة تدب فيه الحياة ، ويذهب عنه المرض ، ويعود صحيحاً معافاً ، ليستكمل أجله ويستوعب رزقه .

---

(١) الرعد : ٣٨. (٢) فاطر : ١١ . (٣) آل عمران : ١٤٥ .
(٤) الأنعام : ٢ . (٥) فصلت : ٤٧ . (٦) الزخرف : ٨٥ .
(٧) **متفق عليه** : خ(٦٥٩٤ / ٤٧٧/ ١١)،م(٢٦٤٣/ ٢٠٣٦/ ٤) ، د (٤٦٨٣ / ٤٧٤/ ١٢)، ت(٢٢٢٠/ ٣٠٢/ ٣) (٨) الأعراف : ٣٤.

وعلى العكس من ذلك ترى الرجل بصحة وعافية قد هُيئ له الطعام والشراب، فيموت قبل أن تمتد يده إليه ، وترى الآخر بصحة وعافية قد زُينت له عروسه وزُفت إليه ، فيموت قبل أن يمسّها ، ذلك أن كل شيء بقدر ، كما قال ربّنا سبحانه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١)، ﴿ وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ .(٢)

وإذ الأمر كذلك فلا وجه للوله والتعب ، والحرص والنصب ، ولذا سئل حكيم عن الرزق فقال : إن قُسم فلا تعجل ، وإن لم يُقسم فلا تتعب .(٣)

فإذا علمتم ذلك « فاتقوا الله » وثقوا بوعده ، واطمئنوا لقدره ، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾(٤)

وقال النبي ﷺ : « **إن الرزق ليطلب العبدَ أكثر مما يطلبه أجله** » (٥) :

قال البيهقي : معناه أن ما قُدر من الرزق يأتيه ولابُد فلا يجاوز الحدّ في طلبه، فالإهتمام بشأنه ،والحرص على استزادته ، ليس نتيجة إلاّ لشغل القلوب عن خدمة علام الغيوب ، والعمى عن مرتبة العبودية ، وسوء الظن بالحضرات الرازقية .

وقال ابن عطاء الله : اجتهادك فيما ضُمن لك ، وتقصيرك فيما طُلب منك ، دليل على انطماس بصيرتك .

وقال عليٌّ رضي الله عنه :

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرءَ من دنياه قوت

---

(١) القمر : ٤٩ .
(٢) الأنعام : ٣٤ .
(٣) فيض القدير (٤٥٠ / ٢) .
(٤) الذاريات : ٢٢و٢٣ .
(٥) **حسن** : [ص . ج:١٦٢٦]

صنيع مليكنا حسن جميل ... وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قليل ... إلى قوم كلامهم السكوت (١)

* **« فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب »**

بأن تطلبوا الرزق بالطرق الجميلة المحلّلة ، بغير كدّ ، ولا حرص ، ولا تهافت على الحرام والشبهات ، ولكن خذوا ما حلّ ، ودعوا ما حرم ، كما قال ﷺ : **« أيها الناس ! اتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب،خذوا ما حلّ ، ودعوا ما حرم »** . (٢)

* **« ولا يحملنّ أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته »** : إن رزقك - ياابن آدم - لن يأكله غيرك ، وما لم يأتك اليوم سيأتك غدا ، فلا يحملنك تأخّر الرزق عنك أن تستعجله فتطلبه من وجوه المحرمة ، ولكن إذا تأخر عنك الرزق فاصبر ، واعلم أنه آتيك لامحالة ، فلا تستعجلنه بأخذه من وجوه المحرمة فإن الحرام لايدوم وإذا دام لاينفع ، كما قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾(٣) ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ . (٤)

(١) فيض القدير (٣٤٠و٣٤١/ ٢) .
(٢) **صحيح** : [ص . جه : ١٧٤٣] ، جه(٢١٤٤/ ٧٢٥/ ٢) .
(٣) البقرة : ٢٧٦ .
(٤) الروم : ٣٩ .

فلا يحملنك استبطاء الرزق أن تطلبه من الحرام ، فإن الله تعالى نهاك عن الحرام وأمرك بالحلال ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ أى فتطلبوا الرزق من الحرام ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (١٦٩) ﴾ [(١)] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[(٢)] .

إن الحرام خطره عظيم فى الدنيا والآخرة ، فمن خطره فى الدنيا أنه يقعد عن صالح العمل ، فالذى يتغذى جسمه بالحرام لايكون فيه قوة ولاقدرة على العمل الصالح ، لأن أكل الحرام يضعف البدن ، كما أن أكل الحلال يُقويه ، ولذلك قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[(٣)] فالذى يغذى جسمه بالحلال الطيب يقوى جسمه على العبادة ، والذى يغذى جسمه بالحرام يضعف جسمه عن القيام بوظيفته التى خلق لها من العبادة والشكر الواجب لله على عباده .

ومن خطره أيضاً فى الدنيا أنه يمنع إجابة الدعاء ، كما قال النبى ﷺ : « **إن الله تعالى طيبٌ لايقبل إلا طيّبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :** ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[(٤)] .

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[(٥)] .

---

(١) البقرة : ١٦٨و١٦٩ .
(٢) البقرة : ١٧٢ .
(٣) المؤمنون : ٥١ .
(٤) المؤمنون : ٥١ .
(٥) البقرة : ١٧٢ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمدّ يديه إلى السماء : يارب ! يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ،ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذى بالحرام ، فأنّى يُستجاب لذلك ؟! » (١)

ومن خطر الحرام فى الآخرة أنه يوجب لآكله النار ، كما قال النبى ﷺ : « **كل جسد نُبت من سُحت فالنار أوْلى به** » . (٢)

ويقول ربنا سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (١٠) ﴾(٣) .

ويقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** (٢٩) **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** (٣٠) ﴾(٤) .

فمهلاً أيها العاصى ! وصبراً أيها الكيّس ! صبراً عن الحرام فإن الصبر عن الحرام أهون ألف مرة عن الصبر على النار ، « فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، خذوا ماحل ودعوا ما حرم » ، « ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته » .

ما أحسن هذه الوصية ! وما أروعها ! وما أجملها ! وما أحوج المسلمين اليوم إليها ! ما أحوجهم إليها ونحن نرى الحرص الشديد على جمع المال من حلّه ومن غير حلّه ، ما أحوجهم إلى هذه الوصية ونحن نراهم يتكالبون على الدنيا

---

(١) **صحيح** : م(١٠١٥/٧٠٣/٢) ، ت(٤٠٧٤/٢٨٨/٤) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٤٣٩٥] .
(٣) النساء : ١٠ .
(٤) النساء : ٢٩و٣٠.

ويتقاتلون عليها ، ماأحوجهم الى هذه الوصية ونحن نرى المال قد صار شغل الناس الشاغل ، والهمّ الأكبر ، يصبح الرجل وهمّه المال ، ويمسى وهمه المال ويفكر فى المال بالنهار ويحلم به فى الليل ، وإذا قام بين يدى الله فى الصلاة فجُلّ تفكيره فى المال !!!

فما أحوجنا إلى هذه الوصية العظيمة : **« ولايحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله »** !

ما أحوجنا إليها ونحن نرى رجلاً استبطأ رزقه فركض إلى البنك ، فأخذ السُّلف ، والقروض الربوية ، وأقام المشروعات ، وبنى العقارات ، وظن أنه قد بلغ القمة ، وصار فى حصن حصين من الفقر ، وأن الفقر لن يعرف له طريقا ، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾[١] .

﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦)﴾[٢]

قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾[٣] أى يستأصله ويذهب ببركته وريعه ، لأنه حرّمه علينا وحذرنا منه فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٤]

وها هى الحرب معلنة من الله على أكلة الربا ، حرب على الرخاء ! حرب على الصحة ! حرب على هدوء البال ! حرب على راحة الضمير ! حرب على الأعصاب ! حرب على النوم ! فلا نوم ولا راحة وإنما فزع وقلق ، وذعر

---

(١) القلم : ١٩و٢٠ .
(٢) الروم : ٦ .
(٣) البقرة : ٢٧٦ .
(٤) البقرة : ٢٧٨و٢٧٩ .

واضطراب ، وأمراض خطيرة أودت بحياة الكثير من أكلة الربا ، وما زال وعد الله قائما : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾[1] .

ما أحوجنا إلى هذه الوصية ونحن نرى موظفاً صغيراً يستبطئ رزقه فيفرض على كل من يراجعه ضريبة يسميها هدية ! عطية ! مع أن النبى ﷺ استعمل رجلاً من الأزد ، يُقال له ابن اللتبيه على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلىّ ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **أما بعد! فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولأنى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت إلىّ ! أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة** »[2] .

وهذا موظف ثالث ائتُمن على أموال المسلمين فهو يسمّى أميناً !! أمين الخزنة! أمين الصندوق ! أمين . . . . ! أمين . . . . ! وهو أكبر خائن ، يعبث بأموال المسلمين ، ينهب ، ويخون ، ويسرق ، ويغدر ، ويغل ، مع أن النبى ﷺ قال : « **من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غُلولاً يأتى به يوم القيامة** »[3] . لأن الله يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾ .[4]

---

(١) البقرة : ٢٧٦ .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٩٧٩/٣٤٨/١٢)، م(١٨٣٢/١٤٦٣/٣)، د(٢٩٣٠/١٦٢/٨) .

(٣) **صحيح** : م(١٨٣٣/١٤٦٥/٣)، د(٣٥٦٤/٤٩٧/٩) .

(٤) آل عمران : ١٦١ .

و « لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ﷺ فقالوا : فلان شهيد ، وفلان شهيد ، حتى مرّوا على رجل فقالوا : فلان شهيد . فقال النبى ﷺ : **« كلا ، إنى رأيته فى النار فى بُردة غلّها »** . [١]

فاتقوا الله أيها الأمناء ! يا من ائتمنتم على الأموال العامة ! اتقوا الله فيها فإنها أمانة ، والنهب والاختلاس منها خيانة ، توجب النار يوم القيامة ، كما قال ﷺ : **« إن رجالاً يتخوّضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »** . [٢]

ما أحوجنا إلى هذه الوصية ، ونحن نرى شباب المسلمين يستبطئ أحدهم رزقه فلا يجد إلا أن يسافر إلى بلاد الكفر والإلحاد ، إى والله إلى بلاد الكفر والإلحاد ، ليبيع الخمر ولحوم الخنزير ، أو يدير كازينو أو مقهى ليلياً ، أو نحو ذلك . أين الصلاة ؟ لا صلاة ! أين الصيام ؟ لاصيام ! إن عاش فسوف يصلى ويصوم ، ولكنه الآن يريد أن يبنى نفسه ، ويؤمن مستقبله ، ويؤسس حياته ، ويفتح بيته ، وكأن له من الله عهداً أن لا يتوفاه حتى يجمع المال !

ولقد بلغ الحرص على المال مبلغاً خطيرا ، جعل السفر لايقتصر على الشباب فقط ، بل شمل بنات المسلمين ونساءهم ، إى والله ! لقد سافرت الفتاة لكسب المال ، وسافرت الزوجة لكسب المال ! سافرت الفتاة وأبوها فى بلده ، وسافرت الزوجة والزوج فى بيته ! يطبخ الطبيخ ، ويكنس البيت ، ويغسل للأولاد ! أين باتت امرأته ؟ تحت أى سقف ؟ وعلى أى فراش ؟ وتحت أى رجل ؟ لايدرى ! لايدرى ! المهم أنها سترجع بالمال ! نحن فى عصر المال !

---

(١) **صحيح** : م(١١٤/١٠٧/١)، ت(١٦٢٢/٦٨/٣) .
(٢) **صحيح** : خ(٣١١٨/٢١٧/٦) .

نحن فى زمن شعاره : اللى مامعهوش قرش ما يسويش قرش !!! ففى سبيل القرش يرخص العرض ، ويهون الشرف ، وتُنسى الكرامة ، ويُعرض عن الدين ! والكل يقول : عايزين نعيش ، الحياة غاليه ! أى نعم الحياة غالية ! فلما غلت الحياة رخصت الأعراض ! ولما غلت الحياة رخص الشرف ! ولما غلت الحياة رخصت الكرامة ! ولما غلت الحياة رخص كل شئ حتى الدين ! حتى الدين !!!

امرأة تسافر والزوج فى البيت ! يكنس ! ويغسل ! ويطبخ ! فهل تبقى لمثله قيمة عند زوجته ! أو قوامة عليها ؟ كيف والله سبحانه وتعالى قد جعل إنفاق الرجل على المرأة من أسباب سيادته وقوامته عليها فقال :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ .(١)

فإذا أذن الرجل للمرأة أن تُنفق عليه فقد أذن لها أن تكون قيّمة عليه وهذا هو الواقع المرير الذى يعيشه كثير من الرجال !!!

ما أحوجنا إلى هذه الوصية وهذا رجل استبطأ رزقه فقيل له تاجرْ فى المخدرات! فقرش حشيش واحد يجعلك ملكا ! فتاجر فى المخدرات ! تاجر فى الحشيش ! تاجر فى الأفيون ! تاجر فى الهروين ! تاجر فى زفت الطين ! تاجر فى الخمر ! فقيل له اتق الله وخذ ما حلّ ودع ما حرم ! فقال : حلال أكلناه ! حرام أكلناه ! المهم المال ! ما يجلب المال حلال وإن كان حراما! المال ! المال ! المال ! الناس الآن مصابون بجنون المال ! وإن كنتم سمعتم عن جنون البقر ! فالناس الآن مصابون بجنون المال ! المال ! المال ! المال !

---

(١) النساء : ٣٤ .

تركب القطار لا تسمع إلا حديث المال ! تركب السيارة لاتسمع إلا حديث المال ! تجلس فى مجلس لا تسمع إلا حديث المال ! الدرهم ! الدولار ! الريال !

ماذا ستصنع بالمال وغدا تموت وتتركه ! ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾(١) **« يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله »** (٢) .

فيا عباد الله أفيقوا من غفلتكم ! وانتبهوا من رقدتكم ! واعلموا أن الموت قريب ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾(٣) .

فعرضَك عرضَك ! شرفَك شرفَك ! كرامتك كرامتك ! دينَك دينَك ! آخرتك آخرتك ! النارَ النار ! النارَ النار ! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ .(٤)

اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، ولاتجعل مصيبتنا فى ديننا . آمين يارب العالمين .

---

(١) الأنعام : ٩٤ .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٥١٤/ ٣٦٢/ ١١)، م(٢٩٦٠/ ٢٢٧٣/ ٤)، ت(٢٤٨٥/ ١٧/ ٤) .

(٣) لقمان : ٣٤ .

(٤) التحريم : ٦ .

الحديث الحادى والثلاثون

دعاءٌ لقضاء الدَّيْن

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ مُكَاتَباً جاءهُ فَقَال : إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي ، قال : أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَات عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَيْرٍ دَيْناً أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ ؟

قُلْ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ »(1)

المكاتب هو العبد المملوك يريد العتق فيتفق مع مالكه على مبلغ من المال يدفعه إليه ، ويكتب بذلك كتابا ، فيصير هذا المبلغ ديناً فى ذمته ، فإن أداه أُعتق ، وهو عبدٌ مابقى عليه درهم .

وهذا مكاتب عاجز عن أداء دينه جاء يستعين علياً رضى الله عنه فأرشده عليٌّ إلى الاستعانة بالله ، فإن من استعان به أعانه ، ومن استكفى به كفاه ، فقال له : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ تدعو بها فيقضى الله عنك دينك وإن كان مثل جبل صير ، وهو جبل عندهم معروف ، قل: « **اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عمن سواك** » .

إن المال شأنه عظيم وخطره جسيم ، حلاله حساب وحرامه عقاب ،

---

(1) **حسن** : [ص . ج : ٢٦٢٢] ، أ(١٦٩/ ٢٦٤/ ١٤) ، ت(٣٦٣٤/ ٢٢٠/ ٥) ، كم(٥٣٨/ ١) .

والاستدانة به همّ بالليل ومذلّة بالنهار . لذلك أمر الإسلام بالاعتدال في النفقة والاقتصاد في المعيشة ، فلا إسراف ولاتقتير ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] . وقال في مدح المقتصدين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .[2]

وحث الإسلام على العمل طلباً للرزق ، وكسباً للعيش ، واستغناء عن الناس، ونهى عن المسألة ولو استدانة ، وشدد في ذلك ، فقال النبي ﷺ : « **لا تُخيفوا أنفسكم بالدَّين** »[3] أي لا تستدينوا فتخيفوا أنفسكم بالعجز عن الأداء ، أو الموت قبل القضاء ، أو سبّ صاحب المال وشتمه ، أو شكايته التي تعرضكم للحبس والعقوبة .

وكان النبي ﷺ في أول أمره لا يصلي على من مات مديناً ، زجراً للأحياء وتخويفاً لهم من الدَّين ، وذات يوم أُتي بجنازة ، فسأل : « **أعليه دَين ؟** » قالوا : نعم . ديناران . فقال : « **صلّوا على صاحبكم** » فتكفل أبو قتادة بالدينارين فصلى النبي ﷺ على الميت ، وجعل كلما لقي أبا قتادة يسأله : ما فعلت بالدينارين ؟ حتى لقيه يوماً فسأله ، فقال : قضيتهما يارسول الله ، فقال ﷺ : « **الآن بردت عليه جلدته** »[4]

---

(١) الإسراء : ٢٩ .

(٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) **حسن** : [ص . ج : ٧١٣٦] ، انظر تخريجه في " الصحيحة " (٢٤٢٠) .

(٤) **حسن** : [أحكام الجنائز] ١٦ : كم(٢/ ٥٨)، هق (٦/ ٧٤-٧٥)، الطيالسي (١٦٧٣) ، أ(٣/ ٣٣٠) بإسناد حسن كما قال الهيثمي(٣/ ٢٩) . وأما الحاكم فقال : "صحيح الإسناد" ! ووافقه الذهبي أهـ من " أحكام الجنائز " .

وكان ﷺ يعلم من أصحابه أن الجنة أقصى أمانيهم ، فكان ينفرهم من الدَّين ببيان أن البراءة منه توجب الجنة ، يقول ﷺ : **« من مات وهو برئ من الغلول والكبر والدَّين دخل الجنة »**(١) فيفهمون من ذلك أن من مات وعليه دَيْن لم يدخل الجنة ، ولقد صرّح لهم النبى ﷺ بذلك فى قوله : **«نَفْس المؤمن معلَّقة بدينه »** (٢) ، **« يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين »** (٣) .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! أرأيتَ إن قُتلتُ فى سبيل الله أتُكفر عنى خطاياى ؟ فقال ﷺ : **« نعم . إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر »** ثم قال رسول الله ﷺ : **« كيف قلت ؟ »** قال : أرأيت إن قُتلتُ فى سبيل الله أتكفّر عنى خطاياى ؟ فقال ﷺ : **« نعم . وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر ، إلا الدّين ، فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك »** (٤) .

وأشدّ من ذلك أنه ﷺ كان جالساً ذات يوم بفناء المسجد ، فرفع بصره إلى السماء ثم طأطأ بصره ، ووضع يده على جبهته ، وقال : **« سبحان الله ! سبحان الله ! ماذا نزل من التشديد فى الدَّين ؟! والذى نفس محمد بيده ! لو أن رجلاً قتل فى سبيل الله ثم أحيى ، ثم قُتل فى سبيل الله ثم أحيى ، ثم قُتل فى سبيل الله وعليه دَين ، ما دخل الجنة حتى يُقضى دَيْنُه »** (٥) .

---

(١) صحيح : [ص . جه : ١٩٥٦] ، ت(١٦٢٠/ ٦٧/ ٣) واللفظ له ، جه(٢٤١٢ / ٨٠٦ / ٢) وأوله " من فارق الروح الجسد . . . "

(٢) صحيح : [ص. جه : ١٩٥٧] ، ت(١٠٨٤/ ٢٧٠ / ٢)، جه(٢٤١٣ / ٨٠٦/ ٢) .

(٣) صحيح : (١٨٨٦/ ١٥٠٢ / ٣) .

(٤) صحيح : م(١٨٨٥/ ١٥٠١/ ٣)، ت(١٧٦٥/ ١٢٧/ ٣)، نس(٣٤/ ٦) .

(٥) حسن : [ص . ج : ٣٥٩٤] ، أ(٢٩٧/ ٩٠/ ١٥) ، نس(٣١٤/ ٧)، كم(٢٥/ ٢) .

وهذا التشديد إنما هو في القرض الحسن اللاربوى ، أما القرض الربوى فحدّث عن خطره ولعنة أهله ولاحرج :

قال ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » . قالوا : وما هنّ يا رسول الله فعدّهن وذكر منهن أكل الربا . (١)

وعن جابر بن عبد الله قال : لعن رسول الله ﷺ « آكلَ الربا ، ومؤكله ، وكاتبه، وشاهديه ، وقال هم سواء »(٢) .

وقال ﷺ : «**درهم رباً يأكلـه الرجل وهو يعلم أشدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية** »(٣)

وقال ﷺ : « **الربا ثلاثة وسبعون باباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمّه** »(٤)

أما القرآن الكريم فقد شنّ حملته الشديدة على المرابين ، وأعلنها حرباً لا هوادة فيها ، فوصفهم بالخبل والجنون والصرع وهم يمشون في الدنيا ويبعثون يوم القيامة . فقال : ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾(٥).

وثم توعدهم بالعذاب الدائم في الآخرة - إن لم يتوبوا- فقال : ﴿**فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٧٥) ﴾ .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٢٧٦٦/ ٣٩٣/ ٥)، م(٨٩/ ٩٢/ ١)، د(٢٨٥٧/ ٧٧/ ٨)، نس(٢٥٧/ ٦) .
(٢) **صحيح** : م(١٥٩٨/١٢١٩/٣).
(٣) **صحيح** :[ص . ج : ٣٣٧٠] وانظر تخريجه في "الصحيحة" (١٠٣٣) .
(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٣٥٣٣] ، كم(٣٧/ ٢).
(٥) البقرة : ٢٧٥ - ٢٨١

ولما علم سبحانه وتعالى وهو اللطيف الخبير ، أن الذى أصابه صرع الربا ، وجنون الغنى ، قد لايبالى بعذاب الآخرة ، توعده بالمحق وهو الذهاب بماله كله فى الدنيا ، فقال : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ .

ثم أنذرهم بالحرب فقال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ :

وحرب الله لايلزم أن يكون فيها طير أبابيل ، ولاحجارة من سجيل ، إنما الحرب من الله حرب على الأمن والأمان ، حرب على الصحة والعافية ، حرب على الرخاء والبركة ، حرب على الأعصاب وهدوء البال ، حرب تترك وراءها القلق والفزع ، والذعر والرعب ، وتعب الأعصاب وانشغال البال ، فلا يهدأ للمرابى بال ، ولايقر له قرار ، ولاتغمض له عين ، ولايلتذ بلقمة عيش ، ولابمتعة فراش ، حتى تكون حياته كلها جحيما كما قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ (١) .

ثم ختمت تلك الحملة بقول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ .

وهكذا شدد الإسلام فى القرض والإستدانة ولو كان قرضاً حسنا .

ولكن الإنسان لايسلم من حاجة تنزل به فلا يقوم بها ولايقوى على قضائها ، فيضطر إلى الاستقراض ، وحينئذ فلابأس بالقرض الحسن ، بشرط أن يكون على قدر الحاجة ، وأن يعزم عزماً أكيداً على السداد والوفاء ، فإن تحقق ذلك

(١) طه : ١٢٤ .

الشرط كان الله معه حتى يقضى عنه ، كما قال ﷺ : « **إن الله تعالى مع الدائن حتى يقضى دينه ، مالم يكن دينُه فما يكره ا لله** » (١) .

وقال ﷺ : « **ما من عبد كانت له نية فى أداء دينه إلا كان له من الله عون** » (٢) .

وقال ﷺ : « **ما من أحد يدّان دَينا يعلم الله منه أنه يريد قضاءه إلا أدّاه الله عنه فى الدنيا** » (٣) .

وقال ﷺ : « **من ادّان دَيناً ينوى قضاءه أدّاه الله عنه يوم القيامة** » (٤)

أما من يستدين طمعاً وجشعاً وحرصاً على الغنى من غير حاجة وهو غير عازم على السداد فهو والسارق سواء ، ويُقضى عنه دينه يوم القيامة من حسناته ، فإن لم تكن حسنات حُمِّل من سيئات أرباب الأموال ، قال ﷺ : « **أيما رجل تدين ديناً وهو مجمع أن لايوفيه إياه لقى الله سارقا** » (٥) .

وقال ﷺ : « **من مات وعليه دينار أو درهم قُضى من حسناته ، ليس ثمَّ دينار ولادرهم** » (٦) .

والإسلام يشجع أصحاب الأموال وذوى الغنى على مساعدة المحتاجين الطيبين ومعاونتهم على قضاء حوائجهم بالقرض الحسن :

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ١٨٢١]، جه(٢٤٠٩/ ٨٠٥/ ٢)، كم(٢٣/ ٢) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٥٦١٠] ، أ(٣١٠/ ٩٤/ ١٥)، كم (٢٢/ ٢) .
(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٥٥٥٣]، أ(٣١٣/ ٩٥/ ١٥)، نس(٣١٥/ ٧)، جه(٢٤٠٨/ ٨٠٥/ ٢)، حب(١١٥٧/ ٢٨٢) .
(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٥٨٦٢] ، طب (٧٩٤٩/ ٢٩٠/ ٨) .
(٥) **حسن صحيح** : [ص . جه : ١٩٥٤]، جه((٢٤٠/ ٨٠٥/ ٢) .
(٦) **صحيح** : [ص . ج : ٦٤٢٢] ، جه(٢٤١٤/ ٨٠٧/ ٢) .

يقول النبى ﷺ : « **من نفّس عن مؤمن كُربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كُربةً من كُرب يوم القيامة ،ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه** » .(١)

ويقول ﷺ : « **من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحلّ الدّين فإذا حلّ الدّين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقه** » .(٢)

ويحث الإسلام على المطالبة إذا حلّ الدّين بالمعروف ، فيقول تعالى :
﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٣) .

ويقول النبى ﷺ : « **من طلب حقاً فليطلبه فى عفاف ، واف أو غير واف** » (٤)

كما يحث على الإنظار عند الإعسار ، يقول تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾(٥) .

ويقول النبى ﷺ : « **من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه** »(٦) .

ويقول ﷺ : « **من سرّه أن ينجيه الله تعالى من كرب يوم القيامة فلينظر معسراً أو يضع عنه** »(٧) .

---

(١) **صحيح** : م (٢٦٩٩/ ٢٠٧٤/ ٤) ، د (٤٩٢٥/ ٢٨٩/ ١٣)، ت (٤٠١٥/ ٢٦٥/ ٤) ، جه(٢٢٥/ ٨٢/ ١) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٥٩٨٤]، أ(٣٢١/ ٩٧/ ١٥) ، جه(٢٤١٨/ ٨٠٨/ ٢)، كم(٢٩/ ٢)
(٣) البقرة : ١٧٨ .
(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٦٢٦٠] ، جه(٢٤٢١/ ٨٠٩/ ٢) ، كم (٣٢/ ٢) .
(٥) البقرة : ٢٨٠ .
(٦) **صحيح** : م(٣٠٠٦/ ٢٣٠١/ ٤)، ت(١٣٢١/ ٣٨٥/ ٢) .
(٧) **صحيح** : م(١٥٦٣/ ١١٩٦/ ٣) .

وقال ﷺ : « **إن رجلاً لم يعمل خيراً قط كان يداين الناس ، فيقول لرسوله : خذ ما تيسر ، واترك ما عسر ، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، فلما هلك قال الله له : هل عملت خيراً قط ، قال : لا ، إلا أنه كان لى غلام وكنت أداين الناس ، فإذا بعثته يتقاضى قلت له : خذ ماتيسر ، واترك ماعسر ، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، قال الله : قد تجاوزت عنك** » (١) .

فعند الإعسار لاسبّ ولاشتم ، ولاتعنيف ولاتوبيخ ، وإنما نظرة إلى ميسرة .

أما الدائن الواجد ، القادر على السداد ، فإنه إذا تأخر عن السداد استبيح عرضه وماله ، وحلّت عقوبته ، يقول النبي ﷺ : « **مَطْلُ الغنيِّ ظلم** » (٢) ، ويقول ﷺ : « **ليّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته** » (٣) .

وإذا كان الإسلام حث الأغنياء على التعاون مع الفقراء ، ومدّ يد المساعدة إليهم بالقرض الحسن ، فإن الإسلام أيضاً أمر من استدان بتقوى الله وأداء الدَّين وشكر صاحب المال ، قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ **فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** ﴾(٥) ، وهذه الآية نسخت وجوب كتابه الدّين ، الذى وجب بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ (٦) ، فإن

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٢٠٧٤] ، نس(٣١٨/ ٧)، كم(٢٨/ ٢) .
(٢) **متفق عليه** : خ (٢٤٠٠/ ٦١/ ٥) ، م (١٥٦٤ / ١١٩٧/ ٣) ، د (٣٣٢٩/ ١٩٥/ ٩) ، ت(١٣٢٣/ ٣٨٦/ ٢)، جه(٢٤٠٤/ ٨٠٣/ ٢)، نس(٣١٧/ ٧) .
(٣) **حسن** : [ص . د: ٣٠٨٦]، د(٣٦١١/ ٥٦/ ١٠)، نس(٣١٦/ ٧)، جه(٢٤٢٧/ ٨١١/ ٢) .
(٤) البقرة : ١٧٨ .
(٥) البقرة : ٢٨٣ .
(٦) البقرة: ٢٨٢ .

هذا الأمر للإيجاب ، لكن الله خفف عن عباده ، ووكلهم إلى الأمانة والتقوى .

وقال النبي ﷺ : « **إن خيار عباد الله الموفُّون المُطيِّبون** »(١) .

وقال ﷺ : « **إن خيركم أحسنكم قضاء** » (٢) .

واستقرض النبي ﷺ مبلغاً من المال من أحد أصحابه ، ثم قضاه وقال له : «**بارك الله لك في أهلك ومالك ، إنما جزاء السلف الحمد والأداء** »(٣) .

وعلى الدائن أن يتقى الله تعالى ، وأن يلح عليه بالدعاء أن يفرج كربه ، ويقضى دينه ، ومن أحسن ما يدعو به هذه الكلمات التى علّمها النبى ﷺ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعلمها علىّ ذاك المكاتب :

« **اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عمن سواك** » فإنه لو كان عليه مثلُ جبلٍ ديناً قضاه الله عنه .

وفى هذا الدعاء لطائف :

منها وجوب الاكتفاء بالحلال عن الحرام ، فإن الحلال وإن قل خير من الحرام وإن كثر ، قال تعالى : ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)** ﴾ . (٤)

ومنها : أن أكل الحلال الطيب من موجبات قبول الدعاء ، وأن الحرام من الموانع ، ولذا قال النبى ﷺ : « إن الله تعالى طيب لايقبل إلا الطيب ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**

---

(١) **صحيح** :[ص . ج : ٢٠٥٨]

(٢) **متفق عليه** : خ(٢٣٩٠/ ٥٦/ ٥)، م (١٦٠١/ ١٢٢٥/ ٣)، ت(١٣٣١/ ٣٨٩/ ٢)، نس(٢٩١/ ٧)

(٣) **حسن** : [ص . جه : ١٩٦٨]، أ(٢٧٩/ ٨٤/ ١٥)، جه(٢٤٢٤/ ٨٠٩/ ٢)، نس(٣١٤/ ٧).

(٤) المائدة : ١٠٠ .

وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾(٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذى بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك » ؟! (٣)

ومنها : وجوب الاستغناء بفضل الله عمن سواه ، والاستعانة بالله دون غيره، وكأن عليّاً رضى الله عنه ، وهو يقول لذاك المكاتب : ألا أعلمك كلمات . . . أراد من السائل أن يحقق وصية رسول الله ﷺ : « **إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله** » (٤) .

فيا عباد الله استغنوا بالحلال عن الحرام ، وإياكم وهذا التوسع المذموم فى الاستقراض الربوى بحاجة وغير حاجة .

ما بال ذاك السائق تكون عنده السيارة القديمة المباركة ، يطعمه الله منها ويسقيه، فيبيعها ويشترى السيارة الجديدة بما لايملكه ، بل يكون دْينا فى ذمته ؟!

وما بال ذلك الرجل تكون عنده الماكينة الصغيرة ذات الإنتاج القليل المبارك ، يطعمه ربّه منها ويسقيه ، فيبيعها ويشترى الماكينات الكبيرة بما لا يملكه ، ولايقدر على سداده إلا بعد سنين ؟!

ألا يذكر هؤلاء أن الموت يأتى بغته ، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾(٥)، فماذا يصنع إذا مات وقد خلّف هذا الدين

---

(١) المؤمنون : ٥١ . (٢) البقرة : ١٧٢ .
(٣) **صحيح** : م(١٠١٥/ ٧٠٣/ ٢) ، ت(٤٠٧٤/ ٢٨٨/ ٤) .
(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٧٨٣٤] ، أ(١٢/ ١٢٦/ ١)، ت(٢٦٣٥/ ٧٦/ ٤)، كم(٥٤١/ ٣) .
(٥) لقمان : ٣٤ .

الكثير ؟ من سيقضيه عنه ؟ ومن يفك نفسه ، «ونفس المؤمن معلقة بدينه»[(١)] اللاربوى ، فكيف بالربوى ، فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[(٢)] .

(١) **صحيح** : [ص . جه ١٩٥٧] ، ت(١٠٨٤/ ٢٧٠/ ٢)، جه(٢٤١٣/ ٨٠٦/ ٢) .
(٢) النور : ٣١ .



الحديث الثاني والثلاثون

الحث على الإخلاص والرفق والأكل من الطيبات وتعظيم حرمات المسلمين

عَنْ أبى تَميمَةَ قَال : شَهِدْتُ صَفْوانَ وأصْحَابَهُ وَجُنْدُبٌ يُوصيهِمْ، فَقَالُوا : هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُول اللَّه ﷺ شيئاً ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولَ : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهَ به يَوْمَ القِيَامَة ، وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْه يَوْمَ القِيَامَة » ، قَالُوا أوْصِنَا ، قَالَ : إنَّ أوَّلَ مَا يَنْتِنُ مِنَ الإنْسَانِ بَطْنُه ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أنْ لاَ يَأكُلَ إلاَ طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ ، وَمَن اسْتَطَاعَ أنْ لاَيَحُولَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الجَنَّة ملْءُ كَفٍّ منْ دَمٍ أهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ »(1) .

أبو تميمة هو طريف بن مُجالد الهجيمى ، نسبة إلى بنى الهجيم بطن من تميم، وكان مولاهم ، وهو من أهل البصرة .

وصفوان هو صفوان بن محرز بن زياد ، التابعى الثقة المشهور ، من أهل البصرة أيضا . ،

وجندب هو جندب بن عبد الله البجلى ، الصحابى المشهور ،وكان من أهل الكوفة ثم تحول إلى البصرة .

قال أبو تميمة : شهدت صفوان وأصحابه وجندبٌ يوصيهم : أى زمن فتنة ابن

---

(1) **صحيح** : خ (٧١٥٢/١٢٨/١٣) .

الزبير ، حين حاصره يزيد بن معاوية فى مكة فقال جندب لأحد النـاس :

اجمع لى نفراً من إخوانى أحدثهم ، فاجتمعوا إليه ، وشهد أبو تميمة هذا الاجتماع ، وسمع ذلك الحديث وتلك الوصية .

فقال الحاضرون لجندب : هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئا ؟

* قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من سمّع سمّع الله به يوم القيامة** » :

هذا تحذير شديد من الحرص على السمعة ، وهى أن يعمل الإنسان عملاً لله فى السرّ، ثم يحدّث به الناس ، طمعاً فى منزلة فى قلوبهم ، أو حرصاً على ثناء ألسنتهم، وهى بهذا المعنى قرينة الرياء ،إلا أن الرياء مشتق من الرؤية ، والسمعة مشتقة من السمع .

وقد جمع النبى ﷺ بينهما فى حديث جندب من طريق آخر ، قال: « من سمّع سمّع الله به ، ومن رائى رائى الله به »[(1)]، ومعناه : من عمل عملاً مما يُبتغى به وجه الله ، لم يعمله إلا ليراه الناس فيحمدوه ويثنوا عليه ، سمّع الله به فى الدنيا، وشهّر به وفضحه ، وأظهر للناس ما أبطن ، حتى يعود حامده ذامّاً ، والراضى عنه ساخطاً ، كما فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « **من أرضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله برضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** »[(2)]

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[(3)] يعنى : إن الذين آمنوا بقلوبهم الإيمان التام ، وعملوا الصالحات خالصة لله عز

---

(١) **متفق عليه** : خ(٦٤٩٩/ ٣٣٥/ ١١)، م(٢٩٨٧/ ٢٢٨٩/ ٤) .

(٢) طب (١١٦٩٦/ ٢٦٨/ ١١) وانظر [س . ص : (٢٣١١)]

(٣) مريم : ٩٦ .

وجل ، ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ أى محبة فى قلوب العباد .

والمفهوم المخالف للآية أن الذين يراءون لن يجعل لهم الرحمن وُدّا ، بل سيجعل لهم فى قلوب العباد بغضاً ، وقد صرّح النبى ﷺ بمنطوق الآية ومفهومها، فقال : « **إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل ، فقال : إنى أحبّ فلاناً فأحبّه . قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يحبّ فلاناً فأحبوه ،فيحبّه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإذا أبغض عبداً دعا جبريل عليه السلام فيقول : إنى أبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض** » .[1]

ذلك للمراءين خزى فى الدنيا ، ويوم القيامة يفضحهم الله عز وجل ، ويشهّر بكذبهم على رءوس الأشهاد ، كما فى الحديث عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه : رجلٌ استُشهد ، فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استُشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يُقال جرئٌ . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار .**

ورجلٌ تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن . فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها . قال :فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت . ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئٌ . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار .

---

(١) صحيح : م(٢٦٣٧/ ٢٠١٣/ ٤)، ت(٥١٧١/ ٣٧٨/ ٤) .

ورجلٌ وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل . ثم أُمر به فسحب على وجهه ، ثم أُلقي في النار . » (١)

فاحذروا الرياء عباد الله ! فإنه من خصال المنافقين ، وليس من شيم المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ **فويلٌ للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون** ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢)** ﴾(٣) .

فاحذروا الرياء ، وعليكم بالإخلاص ، فإنه مراد رب العالمين ، به أمر النبيين والمرسلين ، وعباده المؤمنين ، كما أمر الأولين والآخرين .

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾(٤) .

وأمره أن يصدع بهذا الأمر ، فقال سبحانه :

﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)** ﴾(٥) .

---

(١) صحيح : م (١٩٠٥/ ١٥١٣/ ٣) .
(٢) الماعون : ٤-٧ .
(٣) النساء : ١٤٢ .
(٤) الزمر : ٢، ٣ .
(٥) الزمر : ١١-١٥ .
(٦) الأنعام : ١٦٢و١٦٣ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾(٦)

وأمر الله النبيين بما أمر به النبى الأمين فقال :

﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) ﴾(٢) .

وبذلك أيضاً أمر الله السابقين ، قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ (٣) .

ولقد مدح الله المخلصين كما ذمَّ المرائين فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) ﴾ (٤) . قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ماقالوها بألسنتهم ولكن الله اطلع على ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم (٥) .

وقال تعالى : ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى . لايصلاها إلا الأشقى . الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الأتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى ﴾(٦) .

---

(١) غافر : ١٤ .
(٢) غافر : ٦٥ .
(٣) البينة : ٥ .
(٤) الإنسان : ٥-٩ .
(٥) تفسير ابن كثير(٤٥٥/٤).
(٦) الليل : ١٤-٢١ .

فعليكم عباد الله بالإخلاص فإنه أساس قبول الأعمال ، وإياكم والرياء فإنه من محبطات الأعمال ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١) .

وقال لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه** »(٣) .

والرياء شرك ، كما قال النبى ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » . قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « **الريــاء** » (٤)

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٥) قال الفضيل : أى أخلصه وأصوبه . إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً وصواباً . والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة .(٦)

---

(١) الكهف : ١١٠ .
(٢) الزمر : ٦٥و٦٦ .
(٣) **صحيح** : م(٢٩٨٥/ ٢٢٨٩/ ٤).
(٤) **صحيح** : [ص. ج: ١٥٥١]، رواه أحمد (٥/ ٤٢٨و٤٢٩)وأبو محمد الضراب فى "ذم الرياء" (٢٧٧/ ٢٩٩/ ٢) والبغوى فى "شرح السنة"(٤/ ٢٠١/ ١)، كذا فى (س ص : ٩٥١)
(٥) الملك : ٢ .
(٦) تفسير البغوى (٤١٩/ ٥) .

وفى ذلك يقول النبى ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ماهاجر إليه** »[(١)] .

وقال ﷺ : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ** » [(٢)] .

وفى رواية : « **من عمل عملاً ليس عليه من أمرنا فهو رد** »[(٣)] . نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص لربنا ، والمتابعة لنبينا .

*** وقوله ﷺ : « ومن شاقّ شقّ الله عليه يوم القيامة » :**

أى : من شاق المسلمين وأجهدهم ، وكلّفهم ما لايطيقون وأحرجهم ، شقّ الله عليه يوم القيامة .

فيتعين على كل من يلى أمراً من أمور المسلمين أن يخفف عنهم ، وأن يعمل على راحتهم ، وأن ييسر أمرهم ، ويقضى حاجتهم ، لأن النبى ﷺ قال : « **اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه ،ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به** » [(٤)] .

فينبغى لكل مسئول أن يتقى الله فيمن عنده من الموظفين ، وأن يخفف عنهم ، ولايكلفهم فوق طاقتهم ، وينبغى لكل موظف أن يتقى الله فى المراجعين ، وأن يكون فى خدمتهم وقضاء حاجتهم ،وأن ييسّر الأمور ولايعسّرها ، فلا داعى

---

(١) **متفق عليه** : خ (١/٩/١) ، م (١٩٠٧/١٥١٥/٣) ، د (٢١٨٦/٢٨٤/٦) ، ت(١٦٩٨/ ١٠٠/ ٣) ، نس(٥٨/ ١)، جه(٤٢٢٧/ ١٤١٣/ ٢) .

(٢) **متفق عليه** : خ (٢٦٩٧/ ٣٠١/ ٥) ، م (١٧١٨/ ١٣٤٣/ ٣) ، د (٤٥٨٢/ ٣٥٨/ ١٢)، جه(١٤/ ٧/ ١) .

(٣) **صحيح** : م(١٧١٨-١٨-/ ١٣٤٣/ ٣)، خ(٣٥٥/ ٤) تعليقا بزيادة فى أوله .

(٤) **صحيح** : م(١٨٢٨/١٤٥٨/ ٣) .

لتعقيد الأمور وإحراج الناس ، لاداعى لأن يراجع الإنسانُ الموظفَ فى حاجته شهراً وشهرين وأكثر ، لاداعى لذلك أبدا ، فكما تَدين تُدان ، والجزاء من جنس العمل ، « من شاقّ شقّ الله عليه يوم القيامة » .

فاتقوا الله عباد الله ! وارفقوا بعباد الله ، فـ **« ما كان الرفق فى شئ إلا زانــه ، ولانزع الرفق من شئ إلا شانه »** [١] . و **« من يُحرم الرفق فقد حُرم الخير كلّه »**[٢] فارفقوا يرفق الله بكم ، ولاتشقوا فيشق الله عليكم ، و « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولاتنفروا »[٣] ، « من نفّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدينا نفّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه »[٤]

* **« قالوا : أوصنا »** : يحتمل أن يكون هذا القول من الصحابة للنبى ﷺ سمعه جندب بن عبد الله وحدّث به صفوان وأصحابه ، فيكون من جملة الحديث المرفوع . ويحتمل أن يكون من صفوان وأصحابه لجندب فيكون من قبيل الموقوف ، والأول أرجح ، والوصية الثانية تشهد له ، لأن ما فيها مما لايعرف إلا بالوحى .

* **« قـالوا : أوصنا : قال : إن أول مـا ينتن فى الإنسـان بطنه ،فمن استطاع أن لايأكل إلا طيباً فليفعل »** : « فإن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر

---

(١) **صحيح** : م(٢٥٩٤/ ٢٠٠٤/ ٤)، د(٢٤٦١/ ١٥٥/ ٧).

(٢) **صحيح** : م(٢٥٩٢/ ٢٠٠٣/ ٤)، د(٤٧٨٨/ ١٦٤/ ١٣).

(٣) **صحيح** : م(١٧٣٢/ ١٣٥٨/ ٣)، د(٤٨١٤/ ١٨١/ ١٣).

(٤) **صحيح** : م (٢٦٩٩/ ٤٠٧٤/ ٤)، د(٤٩٢٥/ ٢٨٩/ ١٣)، ت (٤٠١٥/ ٢٦٥/ ٤)، جه(٢٢٥/ ٨٢/ ٢) .

المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[١] وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[٢] » .

ويقول النبى ﷺ : « **استحيوا من الله حق الله الحيـــاء** » قالـوا : إنا نستحيى مـن الله يارسول الله ! والحمد لله ، قال : « **ليس ذاك ، من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى** » [٣]

فحفظ البطن من الحرام واجب ، وأكل الحرام من موجبات النار :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾[٥] .

ولذا قال النبى ﷺ : « **كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به** » [٦] .

فاتقوا الله عباد الله واتركوا الحرام ، فإن الصبر على الجوع فى الدنيا أهون من الصبر على حرّ النار يوم القيامة .

اتقوا الله واتركوا الحرام فإن للطعام تأثيراً فى القوتين العلمية والعملية ، فمن أكل حلالاً طيباً قويت رغبته فى الصالحات وأُعين عليها ، ومن أكل حراماً خبيثاً

---

(١) المؤمنون : ٥١ .

(٢) البقرة : ١٧٢ والحديث : **صحيح** : م (١٠١٥/٧٠٣/٢)، ت (٤٠٧٤/٢٨٨/٤) .

(٣) **حسن** : [ص . ج : ٩٤٨] ، ت(٢٥٧٥/ ٥٣و٥٤/ ٤) .

(٤) النساء : ٢٩ ، ٣٠ (٥) النساء : ١٠ .

(٦) **صحيح** : [ص . ج : ٤٣٩٥] ،

قويت رغبته فى المحرمات وأعين عليها ، ولعل هذا هو السرّ فى اقتران الأمر بعمل الصالحات بالأمر بالأكل من الطيبات ، فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (١) .

*** « ومن استطاع أن لايحول بينه وبين الجنة ملء كفٍّ من دم أهراقه فليفعل » :**

إن من محاسن الإسلام أن شرع للناس ما تستقيم به حياتهم و تتحقق به مصالحهم ، بجلب النفع لهم ودفع الضرّ عنهم .

وبالتأمل والنظر يتبين أن مصالح الناس إنما تتكون من أمور ثلاثة :

ضروريّة ، وحاجيّة ، وتحسينيّة .

فإما الأمور الضرورية فهى ما تقوم عليه حياة الناس ، ولابد منه لاستقامة مصالحهم ، وإذا فُقد اختل نظام حياتهم ، ولم تستقم مصالحهم ، وعمتهم الفوضى .

وأما الأمور الحاجية فهى ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة ، واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة ، وإذا فُقد لايختل نظام حياتهم ، ولاتعمهم الفوضى كما إذا فقد الأمر الضرورى ، ولكن ينالهم الحرج والضيق .

وأما الأمور التحسينية فهى الكماليات التى إن وُجدت كانت الحياة أزكى وأسعد وأرغد ، وإن فُقدت لم تؤثر على سير الحياة واستقامتها .

ولقد شرع الإسلام لتحقيق هذه الأمور كلها أحكاماً فى جميع المجالات المختلفة ، وما ترك أمراً ضرورياً ولاحاجياً ولاتحسينياً إلا وشرع له ما يكفل إيجاده وتكوينه ، وما يكفل حفظه ودوامه .

---

(٥) المؤمنون : ٥١ .

وقد وُجد بالاستقراء أن الأمور الضرورية ترجع إلى خمسة أشياء : الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، وقد شرع الإسلام لكل من هذه الخمسة ما يكفل إيجاده ، وما يكفل حفظه ودوامه ، والذى يتعلق بموضوعنا هذا الآن النفس : وقد شرع الإسلام لإيجادها الزواج .

قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[(١)].

وقال تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ [(٢)] .

وقال النبى ﷺ : « **تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم** »[(٣)] .

وشرع لحمايتها تحريم الإضرار بها أو إزهاقها ، قال تعالى : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[(٤)] ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [(٥)] .

وقرن قتل النفس بالشرك تعظيماً ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[(٦)].

وقال : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾[(٧)]

---

(١) النساء : ٣ .

(٢) النور : ٣٢ .

(٣) **حسن صحيح** : [ص . د : ١٨٠٥]، د(٢٠٣٥/ ٤٧/ ٦)، نس(٦٥/ ٦) .

(٤) البقرة : ١٩٥ .

(٥) النساء : ٢٩ .

(٦) الفرقان : ٦٨ .

(٧) الأنعام : ١٥١ .

وقال النبى ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » . قالوا : وما هنّ يا رسول الله ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (١) .

وزيادة فى تبشيع هذه الجريمة وتعظيمها جعل الله سبحانه قتل النفس الواحدة كقتل الناس أجمعين ، فقال سبحانه :

﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾(٢)

وقال النبى ﷺ : « **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق** »(٣) .

وقال ﷺ : « **لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبّهم الله عزوجل فى النار** » . (٤)

من هنا وجب على كل مسلم يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أن يصون حرمات المسلمين ، فإن حرمة المسلمين عظيمة ، كما قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو ينظر إلى الكعبة : ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والمسلم أعظم حرمة عند الله منك (٥) .

ولذلك قال ﷺ :« **كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه** »(٦) .

---

(١) **متفق عليه** :خ(٢٧٦٦/ ٣٩٣/ ٥)،م(٨٩/ ٩٢/ ١)،د(٢٨٥٧/ ٧٧/ ٨) ،نس(٢٥٧/ ٦) .
(٢) المائدة : ٣٢.
(٣) **صحيح** : [ص. ج: ٤٩٥٤]، جه(٢٦١٩/ ٨٧٤/ ٢) .
(٤) **صحيح** : [ص. ج :٥١٢٣] ،ت(١٤١٩/ ٤٢٧/ ٤) .
(٥) **حسن** : [غ: ٤٢٠] ،ت(٢١٠١/ ٢٥٥/ ٣) .
(٦) **صحيح** : م(٢٥٦٤/ ١٩٨٦/ ٤).

وكان يخطب بذلك فى المحافل العامة والمجامع العظيمة ، فقال يوم النحر فى حجة الوداع : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذ ، فى بلدكم هذا ، ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد** » (١) .

ولما كانت هذه الجريمة بهذه المنزلة جعل الله تعالى عقوبة القاتل أقسى العقوبات وأشدّها ، فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾(٤) .

هذا جزاؤه فى الآخرة ، أما فى الدنيا فعقوبته أن يُقتل كما قتل ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾(٥) .

---

(١) **متفق عليه** : خ(١٧٣٩/ ٥٧٣/٣) ، م(١٦٧٩/ ١٣٠٥/ ٣) .
(٢) النساء : ٢٩و٣٠.
(٣) الفرقان : ٦٨و٦٩ .
(٤) النساء : ٩٣ .
(٥) البقرة : ١٧٨ .

وقد بيّن سبحانه علّة هذا الحكم فقال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾ (١) ، ففى القصاص حياة ، فى قتل القاتل حياة سائر الأفراد ، ذلك أن القاتل حين يُقتل يكون قتله زاجراً لغيره ورادعاً له ، فنفس الإنسان غالية عليه ، فحين يعلم أنه إن قَتل قُتل ، سيفكر بدل المرة مائة مرة حين تحدثه نفسه الأمارة بالسوء بقتل امرئ مسلم بغير حق .

فاتقوا الله عباد الله ، وعظموا حرمات الله : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾(٢) .

(١) البقرة : ١٧٩ .
(٢) الحج : ٣٠ .

الحديث الثالث والثلاثون

مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً »(1)

يقول النبي ﷺ : **« ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وَحْياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »** . (2)

أفاد هذا الحديث أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقة ، ولا يضرّه من أصرّ على المعاندة .

والمعنى أن كل نبيّ أُعطي آية أو أكثر من شأن من شاهدها أن يؤمن بذلك مغلوباً عليه ، بحيث لايستطيع دفعه عن نفسه ، ولكن قد يجحد فيعاند .

وكانت معجزة رسول الله ﷺ التي تحدّى بها هي القرآن الكريم ، ولما كان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة ويخلفه نبيّ كانت معجزة كل نبيّ تنتهي بموته ، ولما كان نبينا محمد ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة ولانبيّ بعده كانت معجزته الكبرى باقية

---

(1) **متفق عليه** : خ(7119/ 78/ 13)، م(2894-31-/ 2220/ 4) ، د(4291/ 436/ 11)، ت(2694/ 101/ 4) . وانظر " الأربعون المنبرية " لي ، لترى مزيداً من المعجزات .

(2) **متفق عليه** : خ(4981/ 3/ 9)، م(152/ 134/ 1). .

إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ ﴾[١]

ومع أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة لرسول الله ﷺ فقد أجرى الله على يد رسوله كثيراً من المعجزات ، كان منها إخباره ﷺ ببعض الغيبيات قبل وقوعها ، وكانت تقع وفق ما أخبر بها ، والسنة المطهرة ثريّة بهذه الأخبار :

منها قوله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيْ أعناق الإبل ببصرى** »[٢] .

قال القرطبى : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة ، وفى ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة ، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة ، ورؤيت من مكة ومن جبال بصرى [٣] .

وقال النووى : تواتر العلم بخروج هذه النار عن جميع أهل الشام .[٤]

ومنها قوله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة** »[٥] وقد وقعت هذه المقتلة بين عليّ ومن معه ، ومعاوية ومن معه ، رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) الحجر : ٩ .

(٢) **متفق عليه** : خ(٧١١٨/ ٧٨/ ١٣) ، م(٢٩٠٢/ ٢٢٢٧/ ٤) .

(٣) التذكرة . للقرطبى (٦٣٦) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (٢٨/ ١٨) .

(٥) **متفق عليه** : خ(٧١٢١/ ٨١/ ١٣)، م(٢٨٨٨- ١٥٧-/ ٢٢١٤/ ٤) .

ومنها قوله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى يبعث دجّالون كذّابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله** » [(١)] . وقد خرج دجّالون كذابون .

ومنها قوله ﷺ : « **لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع** »[(٢)] وقد كان .

ومنها قوله ﷺ وقد سئل عن أمارات الساعة فقال : « **إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة** » . فقال السائل : وكيف إضاعتها ؟ فقال ﷺ : « **إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » [(٣)] . وقد وسُد الأمر إلى غير أهله . ومنها قوله ﷺ : « **إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شُرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد** »[(٤)] . وقد وقع ما أخبر به ﷺ .

ومنها قوله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤسهنّ كأسنمة البخت المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذاوكذا** » [(٥)] . وقد رأينا مالم يره النبي ﷺ .

ومن قلّب صفحات السنة النبوية استخرج منها الكثير الكثير من أعلام نبوّته ﷺ التى أخبر بها قبل وقوعها ثم وقعت كما أخبر ، ووقوعها يزيدنا يقينا على

---

(١) **صحيح** : [ص . د : ٣٦٤٢] ، ت(٢٣١٥/ ٣٣٨/ ٣) ، د(٤٣١١/ ٤٣١٢/ ٤٨٥/ ١١) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٧٣٠٨] ، ت(٢٣٠٥/ ٣٣٤/ ٣) .
(٣) **صحيح** : خ(٥٩/ ١٤١/ ١) .
(٤) **متفق عليه** : خ (٨٠ و ٨١/ ١٧٨/ ١) ، م (٢٦٧١/ ٢٠٥٦/ ٤) ، ت(٢٣٠١/ ٣٣٣/ ٣) ، جه(٤٠٤٥/ ١٣٤٣/ ٢) .
(٥) **صحيح** : م (٢١٢٨/ ١٦٨٠/ ٣) .

يقين، وتصديقا فوق تصديق أنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[1] ، وما وقع ورأيناه يجعلنا نؤمن بوقوع ما أنبأ به ولم نره بعد . ومنه هذا الحديث :

*** « يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب أو جبل من ذهب » :**

والفرات هو هذا النهر المعروف ، نبّأنا النبيّ ﷺ أنه فى آخر الزمان يجف ماؤه عن جبل من ذهب ، فتحدث عنده مقتلة عظيمة ، تزهق فيها الأرواح ، وتراق فيها الدماء ، كما فى الرواية الأخرى :

« لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل الناس عليه ، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم : لعلى أكون أنا الذى أنجو » [2] .

وهذا دليل على حرص الإنسان الشديد على جمع المال محتاجاً إليه وغير محتاج ، ولو أودى بحياته . وحرص الإنسان على المال شئ فطرى فيه ، قال تعالى : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود . وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد** ﴾[3]، والخير هو المال . قال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[4] .

وهذا الحب الفطرى لا يُذم الإنسان عليه إذا وقف عند حدّه ، فكسب من حلال ، وأنفق فى الحلال .

أما إذا غلبه الحرص على المال على جمعه ولو من حرام ، وغلبه الشح حتى عدّده ، ولم ينفق مما آتاه الله كما أمره الله ، فحينئذ يذم الإنسان على هذا الحرص

---

(١) النجم : ٣و٤ .

(٢) صحيح : م(٢٨٩٤/ ٢٢١٩/ ٤) .

(٣) العاديات : ٦-٨ .

(٤) الفجر : ٢٠ .

لشديد ويكون عُرضة لفساد دينه ، كما قال ﷺ : « **ما ذئبان جائعان أرسلا فى حظيرة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** »(١) .

ذلك أن الحرص الشديد على المال يوقع الإنسان فى الحرام ، وإذا كان حبّك الشئ يُعمى ويُصّم ، فإن العمى والصمم اللذين يحدثهما حبّ المال أشدّ مما يحدثه حبّ أى شئ آخر ، فالحريص الشديد الحرص لايرى حراما ولاحلالا ، وإنما يرى المال فقط الذى يحبّه ، ويُصمّ أذنه عن سماع كل دعوة خير ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، فلا يستجيب لناصح ولاواعظ ، وإنما هو هائم على وجهه فى طلب المال ، يشتم ويقذف ، ويضرب ويسفك ، المهم أن يحصل على المال ، ولذا قال ﷺ :

« **اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ فإنه أهلك من كان من قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** »(٢) .

ووصف ﷺ ما سيكون عند انحسار الفرات عن كنز من ذهب فقال : « **يقتتل الناس عليه ، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون** » ، ومع ذلك لايحجم الناس ولا يهربون وإنما يدفعهم الحرص على الاقتتال ، وكل واحد فيهم عنده أمل ورجاء أن يكون هو القاتل لا المقتول ، والغالب لاالمغلوب ، « **يقول كل واحد لعلى أن أكون أنا الذى أنجو** » .

وحين نتدبر واقعنا المعاصر نجده واقعاً أليما ، كثرت فيه الأموال ، وازداد فيه الفقر ، إى والله ! كثرت الأموال وازداد الفقر ، فقر النفس ، لأنه : « **ليس الغنى**

---

(١) **صحيح** : [ص . ج :٥٤٩٦] ، ت (٢٤٨٢/ ١٦/ ٥) .
(٢) **صحيح** : م (٢٥٧٨/ ١٩٩٦/ ٤).

عن كثرة العرَض ، ولكن الغنى غنى النفس »[1] .

والنفس الفقيرة فقيرة ولو أوتيت من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة .

لقد تكالب الناس على الدنيا ، وركضوا وراءها ، شرّقوا وغرّبوا ، ونسوا القيم والمبادئ والأخلاق ، فالغش والخديعة ، والمكر والحيلة ، هى وسائل الكسب اليوم وأسباب الغنى .

ولقد نسى الناس أنفسهم بسبب الحرص الشديد على المال ، إى والله نسوا أنفسهم ، فغفلوا عن ذكر الله وإقام الصلاة ، ونسوا الموت ولقاء الله وقست قلوبهم بسبب طول أملهم ، ومن نسى نفسه فمن يذكر ؟ لقد نسوا أنفسهم فنسوا أهليهم وأولادهم ، إى والله نسوا أنفسهم وأولادهم ، فالرجل يسافر السنة والسنتين ، تاركاً أهله وأطفاله ، ثم يأتى بعد عامين لزيارتهم ، فيمكث فيهم شهراً أو شهرين ثم يتركهم ، وهكذا ، يظنّ المسكين أنه يوفر لهم المال ، ونسى أن المال ليس كل شئ .

نسى أن الأولاد محتاجون إلى عطفه ، هذا العطف الذى لا يعوضه المال ، نسى أن الأولاد محتاجون إلى حنانه ، هذا الحنان الذى لايعوض عنه المال .

نسى أن الأولاد محتاجون إلى تربية ، هذه التربية التى لا تتم بالمال ، نسى أن كثرة أسفاره وطول غيابه قد يجعل الأولاد يعتقدون أن المال أحب إلى أبيهم منهم ، فيبتلون بالتعقيد والأمراض النفسية التى لايكفى لعلاجها كل ماجمع من المال .

---

(1) **متفق عليه** : خ (٦٤٤٦ / ٢٧١/ ١١) ، م (١٠٥١ / ٦٧٢ / ٢) ، ت (٢٤٧٩/ ١٥ / ٤) ، جه(١٤٣٧/ ٢١٣٨٦) .

ونسى أن زوجتة محتاجة إليه حاجة لايعوضها عنها المال ، وأنها إن كانت صالحة قانتة حافظة للغيب ربما تضررت بطول غيابه فطلبت عودته أو فراقه ، وإن لم تكن كذلك فالمفاسد الخفية قد تظهر أحيانا !!

فيا أيها المسافرون رفقاً بالقوارير !! يا أيها المسافرون رفقاً بالأطفال !! يا أيها المسافر لم رمّلت امرأتك وأنت حيّ ؟! يا أيها المسافر لم يتّمت أطفالك وأنت حيّ !؟

أيها المنهمك فى جمع المال ارجع ! ارجع فامرأتك محتاجة إليك ، وولدك محتاج إليك ، وابنتك محتاجة إليك ، كفاك غربة ، وكفاك بعداً ، وكفاك ما جمعت من المال ، ارجع ! ارجع ! فكأنى بهذه الأرملة زوجك ! وهؤلاء اليتامى أطفالك ، وهم يصرخون : يا أبتاه ارجع إلينا فنحن نصبر على الجوع ولانصبر على فراقك !!!

أيها المرمّل زوجته ! الميتم أطفاله :

حتى متى أنت فى حلّ وترحال ... وطول سعى وإقبال وإدبار
ونازح الدار لاينفك مغتربا ... عن الأحبة لايدرون بالحال
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها ... لايخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أتاك الرزق فى دعة ... إن القنوع الغنى لاكثرة المال [1]

أيها المرمّل زوجته ! الميتم أطفاله !

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مفكراً أى باب منه نعلقه
جمعت مالاً ففكر هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٧٠/ ١).

المال عندك مخـزون لـــوارثـه ما المـــال مـــالك إلا يوم تنفقـه
إن القناعة من يحـلل بسـاحتهـا لم يأل فى طلـــب ممـا يؤرقــه (١)

وبعـــد :

فإن النبى ﷺ لما أخـبـر أن الفـرات يوشك أن يحـسـر عن كنز من ذهب وصّى السامعين ومن بلغهم وصية الرءوف الرحيم فقال : « **فمن حضـره فلا يأخذ منه شيئا ؟** » فأى الناس يطيق ذلك ؟ أى الناس يصبر على ذلك ؟ أى الناس - وقد رأينا حرصهم - يطيق أن يرى جبلاً من الذهب يقتتل الناس عليه ، فيتذكر هذه الوصية ، ويعلم علم اليقين أن الخير كل الخير فى تنفيذهـــا ، وعدم الإقتراب من هذا الكنز ؟

فاحفظوا هذه الوصية ، فلعل أحدكم أن تطول به الحياة فيحتاجها ، أو يكون ذلك قريبا فتنفعه .

ولكن لماذا وصّى النبى ﷺ بهذه الوصية ؟

الراجح - والله أعلم - أنه ﷺ نهى عن الأخذ من هذا الذهب لما يترتب عليه من سفك الدماء ، وإزهاق الأرواح ، وهذه مفسدة عظيمة لاتعدلها مصلحة أخذ الذهب . ولأن ذلك يكون آخر الزمان وقد اقتربت الساعة ، وأزفت الأزفة ، فجمع المال حينئذ لاقيمة له .

ولأنه إذا حسر الفرات عن جبل من ذهب فقد اقترب خروج الخليفة العادل محمد بن عبد الله المهدى ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ويملأ قلوب أمة محمد غنىً ، حتى أنه فى عطائه لايعدّ المال عدّا ، وإنما يحثو حثواً ، فمن رأى الفرات

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٦٩/ ١) .

قد حسر عن جبل من ذهب فليتركه لله ، عملاً بوصية رسول الله ، وسيعوضه الله خيراً منه على يد المهدى إن شاء الله .

نسأل الله تعالى أن يمتعنا برؤية المهدى واتباعه ، ورؤية عيسى عليه السلام والتمتع بأيامه ، تلك الأيام الطيبة المباركة ، التى قال فيها رسول الله ﷺ : **«طوبى لعيش بعد المسيح ، يؤذن للسماء فى القطر ، ويؤذن للأرض فى النبات ، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت ، وحتى يمرّ الرجل على الأسد فلا يضرّه ، ويطأ على الحيّة فلا تضرّه ، ولاتشاحّ ، ولاتحاسد ، ولاتباغض .»**[1]

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٣٨١٤] ، رواه أبو بكر الأنبارى فى " حديثة " (ج ١ ورقة ٦/ ١-٢) ، ومن طريقه رواه الديلمى (٢ , ١٦١) وابن المحب فى " صفات رب العالمين " (٤٢٧/ ١) . ورواه الضياء فى " المنتقى من مسموعاته بمرو " (١٢٧/ ١-٢) . أهـ من [س . ص : ١٩٢٦] .

الحديث الرابع والثلاثون

الحثُّ على التداوي بالأدوية الروحانية

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ » [١]

إن الصحة والعافية من أجل نعم الله على عباده ، بل هى أجل النعم على الإطلاق بعد الإيمان ، كما قال النبى ﷺ : **« سلوا الله المعافاة ، فما أوتى أحدٌ بعد اليقين خيراً من المعافاة »** [٢] .

وقال ﷺ : **« لابأس بالغنى لمن اتقى ، والصحة لمن اتقى خير من الغنى »** [٣] .

وقال ﷺ : **« من أصبح منكم معافىً فى جسده ، آمناً فى سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »** [٤] .

ولذلك كانت الصحة والعافية أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم ، كما قال ﷺ : **« أول ما يسأل عليه العبد يوم القيامة من النعم أن يقال له : ألم نصحّ لك جسمك ، ونروّك من الماء البارد »** [٥] .

---

(١) **حسن** : [ص . ج : ٣٣٥٣] وعزاه السيوطى لأبى الشيخ فى " الثواب " .

(٢) **صحيح** : [ص . جه : ٣١٠٤] ، ، ت(٣٦٢٩/ ٢١٨/ ٥) ، جه(٣٨٤٩/ ١٢٦٥/ ٢) .

(٣) **صحيح** : [ص . ج: ٧٠٥٩] ، جه(٢١٤١/ ٧٢٤/ ٢) ، كم(٣/ ٢) .

(٤) **حسن** : [ص . ج :٥٩١٨] ، ت(٢٤٤٩/ ٥/ ٤) ، جه(٤١٤١/ ١٣٨٧ / ٢) .

(٥) **صحيح** : [ص . ج :٢٠١٨] ، ت(٣٤١٦/ ١١٨/ ٥) .

ومن هنا قال بعض السلف فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم** ﴾[١] قال عن : الصحة .[٢]

وإذ الأمر كذلك وجب على كل إنسان أن يحافظ على كمال صحته ، وسلامة جسمه ، وعافية بدنه ، لاسيما وأن الإسلام يأمر بذلك ، يقول النبى ﷺ : « **المؤمن القوى خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف** »[٣] .

ولقد أمر الله تعالى بنظافة الجسم التى هى من أسباب سلامته ، فأمر بتعاهد الجسم بالغسل بين الحين والحين ، فأمر بالوضوء عند كل صلاة ، وأمر بالغسل عند كل جنابة ، وكل يوم جمعة ، وبلغ إهتمام الإسلام بالنظافة أن جعلها النبى ﷺ نصف الدين ، فقال : « **الطهور شطر الإيمان** »[٤] .

ونهى ﷺ أن ينام الإنسان وعلى يده أثر إدام ، فقال ﷺ : « **من نام وفى يده غَمَر** (أى أثر دسم) **فلم يغسله ، فأصابه شئ فلا يلومنّ إلا نفسه** » .[٥]

وأمر ﷺ بتغطية آنية الطعام والشراب بالليل ، ونهى عن تركها مكشوفة ، فقال ﷺ : « **غطّوا الإناء ، وأوكوا السقاء ، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء ، لايمّر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا وقع فيه ذلك الداء** »[٦]

كما نهى ﷺ عن الشرب فى إناء به كسر :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « **نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثُلمة القدح ، وأن يُنفخ فى الشراب** »[٧] ، وثُلْمة القدح الكسر منه ، وهذا

---

(١) التكاثر : ٨ .
(٢) الدر المنثور (٨/٦١٢) عن ابن مسعود .
(٣) **صحيح** : م(٢٦٦٤ / ٤/٢٠٥٢) .
(٤) **صحيح** : م(٢٢٣/٢٠٣/١) .
(٥) **صحيح**: [ص. ج: ٦٤٤٠]، د(٣٨٣٤/ ٣٣١/ ١٠)
(٦) **صحيح** : م(٢٠١٤/١٥٩٦/٣) .
(٧) **صحيح** : [ص . د: ٣١٦٥]، د(٣٧٠٤/١٨٨/ ١٠) .

النهى إنما هو لدرء المفاسد ، فإن فى الشرب من ثلمة القدح عدة مفاسد : منها : عدم تمكن الإنسان من الشرب ، وعدم الأمن من وقوع شئ على ثيابه يؤذيه ، وربما كان فى الثُّلمة شق أو تحديدٌ يجرح فمه .

ومنها : أن الثُّلمة محل للوسخ والقذر والجراثيم والميكروبات ، إذ أنه غالباً ما يعجز الإنسان عن تنظيف هذه الثلمة ، فيتجمع فيها الوسخ الذى تتراكم عليه الجراثيم ، فإذا شرب الإنسان من الثلمة انتقلت إليه الجرا ثيم والميكروبات المسببة للأمراض ، وهذا هو المناسب لنهى النبى ﷺ عن الشرب من ثلمة القدح .

وأما نهيه ﷺ عن النفخ فى الشراب فذلك لأن الزفير وهو الهواء الخارج مع النفخ هواء فاسد ، قد استغنى عنه الجسم فطرده ، فهو يخالط الشراب ، وقد يكون فم النافخ متغير الرائحة ، فيغير رائحة الشراب ، وقد يكون فى فم النافخ ميكروبات تقع فى الشراب ، وغير ذلك من المفاسد .

ولقد بلغ من حرص الإسلام على صحة الإنسان أن أذن له فى ترك الواجبات التى يُخشى من أدائها إضرار بالصحة ، ففى الصوم قال تعالى : ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(١) .

وفى الحج قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾(٢) فالمحْرِم يحرم عليه حلق رأسه ، لكن إذا كان مريضاً واحتاج للحلق فليستحل الحرام حفاظاً على صحته وعليه الفدية .

وفى الوضوء والغسل قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾(٣) .

---

(١) البقرة : ١٨٤ .　(٢) البقرة : ١٩٦ .　(٣) النساء : ٤٣ .

وفى الصلاة قال النبى ﷺ : « **صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب** »(١) .

بل بلغ من حرص الإسلام على صحة الإنسان أن النبى ﷺ نهى عن إجهاد النفس فى العبادة :

عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبى ﷺ : « **إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل** »؟! قلت : نعم . قال : « **إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ،ونفهت له النفس ، لاصام من صامَ الأبد** » (٢) .

ومعنى قوله : هجمت له العين : أى غارت ودخلت فى مكانها من الضعف ، ومعنى : ونفهت له النفس : أى أعيت و سئمت .

فحافظ يا عبد الله على صحتك وعافيتك ، فالصحة تاج على رءوس الأصحاء لايراه إلا المرضى ، وسل الله العافية ، فما أوتى أحد بعد اليقين خيراً من العافية .

وإذا مرضت فاصبر واحتسب ، واعلم أن لله تعالى حكمة فى المرض ، كما أن له سبحانه حكمة فى الصحة ، وأن الخير كل الخير فى الرضا بقضاء الله ، فقد قال ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كلّه له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له .** » (٣)

فإذا عافاك الله فاشكره ، وإذا مرضت فاصبر صبراً جميلا ، واعلم أن الله تعالى يمحو بالمرض الخطايا ، ويرفع به الدرجات ، كما قال النبى ﷺ :

---

(١) **صحيح** : خ(١١١٧/ ٥٨٧/ ٢)، د(٩٣٩/ ٢٣٣/ ٣)، ت(٣٦٩/ ٣٢١/ ١)، جه(١٢٢٣/ ٣٨٦/ ١)

(٢) **متفق عليه** : خ(١٩٧٩/ ٢٢٤/ ٤)، م(١١٥٩-١٨٧-/ ٨١٥/ ٢)، نس (٢١٤/ ٤) .

(٣) **صحيح** : م(٢٩٩٩/ ٢٢٩٥/ ٤) .

« ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولاسقم ولاحزن ، حتى الهمّ يهمّه ، إلا كفّر اللهُ به من سيئاته » (١) .

وقال ﷺ : **« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه من خطيئة »**(٢) .

وقال ﷺ : **« إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل ، فلا يزال الله يبتليه حتى يبلغه إياها »** (٣) .

واعلم أن المرض ليس عنوان السخط بل هو دليل المحبة ، وليس نذير شرّ بل هو بشير الخير ، كما قال ﷺ :

« إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » (٤) .

وقال ﷺ : **« من يرد الله به خيراً يُصبْ منه »** (٥) .

وقال ﷺ : **« إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوافى به يوم القيامة »** (٦) .

فإذا ابتُليت فاصبر واحتسب ، ولاتجزع ولاتفزع ، ولاتشتكى ، فإنك إذا شكوت الله إلى عباده فإنما تشكو الرحيم إلى من لايرحم . واعلم أنه ليس من الشكوى ذكر مرضك لزوارك أو الطبيب على سبيل الإخبارفقط مع تمام الرضا .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٦٤١ ، ٥٦٤٢/١٠٣/ ١٠)،م(٢٥٧٣/ ١٩٩٢/ ٤)،ت(٩٧٣/ ٢٢٠/ ٢)

(٢) **صحيح** : [ص. ج : ٥٦٩١] ،ت(٢٥١٠/٢٨/ ٤) .

(٣) **حسن** : [ص. ج: ١٦٢١]، حب (٦٩٣/ ١٧٩)،كم(٣٤٤/ ١) .

(٤) **حسن** : [ص. ج :٢١٠٦] ،ت(٢٥٠٧/ ٢٧/ ٤)، جه(٤٠٣١/ ١٣٣٨/ ٢) .

(٥) **صحيح** : خ(٥٦٤٥/ ١٠٣/ ١٠) .

(٦) **صحيح** : [ص. ج :٣٠٥] ، ت(٢٥٠٧/ ٢٧/ ٤) .

واعلم أيضـا أنه يسـتـحب لك المبـادرة إلى الطبـيب ليـشـخص الداء ويصف الدواء، فقد قال ﷺ : « **تداووا عبـاد الله ، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داء واحد وهو الهرم** » (١) .

وقال ﷺ : « **لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى** » (٢) .

وقال ﷺ : « **إن الله لم ينزل داء إلا أنزل الله شـفـاء ، علِمَه من علمـه ، وجَهِلَه من جهله** » (٣) .

وهكذا يقوّى النبى ﷺ الأمل فى نفس المريض ، ويفـتـح له باب الرجـاء فى الشفاء، فلا يأس ولاقنوط ، فإن لكل داء دواء ، إلا أن علم الأطباء متفاوت ، ولذلك قال ﷺ : «علِمَه من علمه ، وجَهِلَه من جهله » .

فـعلى المريض إن لم ينتـفع بهـذا الدواء أن يغـيره ، وإذا لـم يتـجـاوب مع هذا الطبيب أن يغيّره ، وهكذا ، حتى يصيب الدواء الداء ، « **فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الـله** » كمـا قـال رسول الله ﷺ ، لكن الأمـر مـحـتـاج من المريض إلى الصبر، حتى لايحمله تأخر الشفاء على أن يطلبه بمعصية الله ، فيتداوى بمحرم - مثلا - ، أو يترك الأطباء ويذهب إلى الكهنة والعرافين والمشعوذين والدّجالين ، فقد قال ابن مسـعود رضـى الله عنه : « **إن اللـه لم يجعـل شـفاءكم فيـما حـرم عليكـم** » (٤) .

---

(١) **صحيح** :[ص د: ٣٢٦٤]، د(٣٨٣٧/ ٣٣٤/ ١٠)، ت(٢١٠٩/ ٢٥٨/ ٣)، جه(٣٤٣٦/ ١١٣٧/ ٢)

(٢) **صحيح** : م(٢٢٠٤/ ١٧٢٩/ ٤) .

(٣) **صحيح** : [ص. ج :١٨٠٥] ، كم (٤٠١/ ٤) .

(٤) **صحيح موقوفا**: وهكذا أخرجه البخارى معلقاً مجزوما(٤/ ٣٥)وقد وصله الإمام أحمد فى "الأشربة" (ق١٦/ ١-٢) والطبرانى فى "المعجم الكبير"(٣/ ٤٤/ ٢)والحاكم(٤/ ٢١٨)وعلى بن حرب الطائى فى "حديث سفيان بن عينية" (ق٧٩/ ١) من طريق أبى وائل قال : « اشتكى رجل منا فنعت له السكر ، فأتينا عبد الله فسألناه ، فقال: » فذكره. أهـ من "غاية المرام" (ص ٣٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال **« نهى رسول الله ﷺ عن الدواء بالخبيث »** [١]

وسئل ﷺ عن الخمر فنهى عنها ، فقال السائل : إنما أصنعها للدواء ، فقال ﷺ : **« إنه ليس بدواء ، ولكنه داء »** . [٢]

وقال ﷺ : **« ليس منا من تطيَّر أو تطيِّر له ، أو تكهَّن أو تكهِّن له ، أو تسحَّر أو تسحِّر له »** [٣] .

وقال ﷺ : **« من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »** [٤] .

فيا أيها المريض ! تداوَ ، ولاتتداو بحرام ، واعلم أن التداوى نوعان :

أحداهما : التداوى بالأدوية الطبيعية .

والثانى : التداوى بالأدوية الإلهية الروحانية :

ومن هذه : الصدقة : كما قال ﷺ : **« داووا مرضاكم بالصدقة »** ، وهذا الأمر يحتمل أن تكون الصدقة دواء فى نفسها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٥] أى تطهرهم بها من دنايا الأخلاق وقبيح الصفات ، تطهرهم بها من دنس البخل والشح ، وتطهرهم بها من دنس الذنوب والأوزار .

---

(١) **صحيح** :[ص . د:٣٢٧٨]، د(٣٨٥٤/ ٣٥٣/ ١٠)، جه(٣٤٥٩/ ١١٤٥/ ٢)، ت(٢١١٨/ ٢٦١/ ٣)

(٢) **صحيح** : م(١٩٨٤/ ١٥٧٣/ ٣)، د(٣٨٥٦/ ٣٥٤/ ١٠)، ت(٢١١٩/ ٢٦١/ ٣).

(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٥٣١١] ، أخرجه : البزار(ص١٦٩-زوائده)، والطبرانى فى " الكبير " (ق٧٣/ ١ منتقى منه أهـ من " الصحيحة " (٢١٩٥) .

(٤) **صحيح** : [ص. ج : ٥٨١٥] د(٣٨٨٦/ ٣٩٨/ ١٠) ، كم (٨/ ١).

(٥) التوبة : ١٠٣

فإذا كانت الصدقة تطهر المتصدقين من أمراض القلوب ، فلا مانع أن تطهرهم من أمراض الأبدان .

ويحتمل أن تكون الصدقة قُربة إلى الله ، ووسيلة يتوسل بها إليه لطلب الشفاء ، فإن الصدقة أمام الحاجة سُنَّة مطلوبة ، وما زال الصالحون يقدمونها أمام حاجاتهم إلى الله عزوجل .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول ﷺ يقول :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم » . فتوسل الأول ببر والديه ، وتوسل الثانى بإعطاء الأجير أجره ، وقال الثالث : « اللهم إنه كانت لى ابنة عمّ ، وكنت أحبّها كأشدّ ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها فامتنعت منى ، حتى ألمت بها سَنَةٌ من السنين ، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلّى بينى وبين نفسها ففعلت ، فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولاتفض الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىّ وتركت الذهب الذى أعطيتها » ، أى صدقة عليها ، « اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »(١) .

فلا تنس أيها المريض هذا الدواء : الصدقة ، اجعلها دائماً مع كل دواء ، فاذا اشتريت دواء بخمسين جنيهاً مثلاً فزد عليها خمسة جنيهات مثلاً صدقة ، وسترى بإذن الله العجب العجاب ، فإن تأثير الأدوية الروحية أعظم بكثير من

---

(١) **متفق عليه** : خ(٣٤٦٥/ ٥٠٥و٥٠٦/٦)،م(٢٧٤٣/ ٢٠٩٩/ ٤) .

تأثير الأدوية الطبيعية ، إلا أنها محتاجة إلى صدق ويقين وثقة ، فداو نفسك بالصدقة إيماناً بما أمر به النبى ﷺ ، واحتساباً للأجر عند الله ، وسيشفيك الله .

وضم إلى الصدقة بقية الأدوية الروحانية من الرقى والأدعية : فضع يدك على موضع الألم وقل : بسم الله - ثلاثا - أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر - سبعا (١)

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يشفينى - سبعا . (٢)

اللهم ربّ الناس ، أذهب البأس ، اشف أنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لايغادر سقماً . ثلاثا . (٣)

أعوذ بكلمات الله التامّة ، من كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامة . ثلاثا . (٤)

ثم اقرأ الفاتحة (٥) . واجمع كفيك وانفث فيهما واقرأ الإخلاص والمعوذتين ، ثم امسح موضع الألم ما استطعت من جسدك . (٦)

وأكثر من الدعاء ، فإن النبى ﷺ قال : « **إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء** » (٧) .

---

(١) **صحيح** : م(٢٢٠٢/ ١٧٢٨/ ٤)، ت(٢١٦٢/ ٢٧٥/ ٣)، جه(٣٥٢٢/ ١١٦٣/ ٢) .

(٢) **صحيح** : [ص . د: ٢٦٦٣]، د(٣٠٩٠/ ٣٧١/ ٨)، ت(٢١٦٥/ ٢٧٧/ ٣) .

(٣) **متفق عليه** : خ(٥٧٤٢/ ٢٠٦/ ١٠)، م(٢١٩١/ ١٧٢١/ ٤) .

(٤) **صحيح** : خ (٣٣٧١/ ٤٠٨/ ٦) ، د (٤٧١١/ ٦٢/ ١٣) ، ت (٢١٣٨/ ٢٦٧/ ٣)، جه(٣٥٢٥/ ١١٦٤/ ٢) .

(٥) **متفق عليه** : خ (٥٧٣٦/ ١٩٨/ ١٠) ، م (٢٢٠١/ ١٧٢٧/ ٤) ، د(٣٨٨٢/ ٣٩٣/ ١٠) ، ت(٢١٤٢/ ٢٦٨/ ٣) .

(٦) **متفق عليه** : خ(٥٧٣٥/ ١٩٥/ ١٠)، م(٢١٩٢/ ١٧٢٣/ ٤)، د(٣٨٨٤/ ٣٩٥/ ١٠) .

(٧) **حســـــن** : [ص . ج : ٣٤٠٣] ، كم (٤٩٣/ ١) .

ولقد لبث أيوب عليه السلام فى البــلاء ثمانى عشرة سنة وشهراً ، فلما دعا الله شفـاه ، قـال تعـالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)﴾ (١)

ولاتنس العسل فإن الله قال فيه ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .(٢)

وأكثر من الحبة السوداء ، فإن النبى ﷺ قال : « **فى الحبة السوداء شفاء من كل داء ، إلا السام** »(٣)، والسام الموت » .

وإذا حصلت على ماء زمزم فاشربه بنية الشفاء ، فإن النبى ﷺ قال « **فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم** »(٤) ، وقال : « **ماء زمزم لماشُرب منه** »(٥)

وبعد أيها المريض ! اصبر صبراً جميلا ، ولاتجزع ولاتفزع ، ولاتندم على عمل صالح حبسك عنه المرض ، واعلم أن أجرك ثابت كما هو ، قال ﷺ :

« **إذا مرض العبد أو سافر كُتب له من الأجر مثلُ ما كان يعمل صحيحا مقيما** »(٦)

وقال ﷺ : « **ليس من عمل يوم إلا وهو يُختـم عليه ، فإذا مـرض المؤمن قالت الملائكة ياربنا ! عبدك فلان قد حبسته ، فـيقول الرب : اختموا له مثل عمله حتـى يبرأ أو يموت** » .(٧)

---

(١) الأنبياء : ٨٣و٨٤. (٢) النحل : ٦٩ .

(٣) **متفق عليه** : خ(٥٦٨٨/ ١٤٣/ ١٠) ، م(٢٢١٥/ ١٧٣٥/ ٤)، ت(٢١١٣/ ٢٥٩/ ٣) .

(٤) **متفق عليه** : [ص . ج :٣٣١٧]، رواه الطبرانى (٣/ ١١٢/ ١)ومنه الضياء فى " المختارة " (٦٧/ ١١٤/ ٢). كذا فى " الصحية " (١٠٥٦) .

(٥) **صحيح** : [ص . ج :٥٣٧٨]، أ(٥٤٦/ ٢٤٧/ ٢٣) ، جه(٣٠٦٢/ ١٠١٨/ ٢) .

(٦) **صحيح** :(٢٩٩٦/ ١٣٦/ ٦). (٧) **صحيح** :[ص . ج :٥٣٠٨]، كم(٣٠٩/ ٤) .

فكل ما كنت تعمل من عمل صالح ، من قيام ليل ، أوصيام نهار ، أو سعى إلى بيوت الله لك أجره وإن لم تعمله بسبب المرض ، إلا الصلاة المكتوبة فإنها لاتسقط عنك بحال مادمت عاقلا ، فـ « **صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب** » .[1]

توضأ للصلاة ، فإن لم تستطع فتيمم ، فإن لم تستطع فصل بغير وضوء ولاتيمم .

استقبل القبلة ، فإن لم تستطع ، ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ .[2]

طهّر بدنك وثيابك من النجاسات ، فإن لم تستطع فـ ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [3] .

وكن على ثقة أن الله معك برحمته ولطفه وبرّه ، وأن الشفاء قريب إن شاء الله .

وأسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم لى ولك ولسائر المسلمين العفو والعافية .

---

(١) **صحيح**: خ(١١١٧/ ٥٨٧/ ٢)، د(٩٣٩/ ٢٣٣/ ٣)، ت(٣٦٩/ ٢٣١/ ١)، جه(١٢٢٣/ ٣٨٦/ ١)

(٢) البقرة : ١١٥ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

الحديث الخامس والثلاثون

الاستقامة سبيل النجاة

عَنْ سُفْيَانَ بن عَبْد الله الثَّقَفِيِّ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّه ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ به . قَالَ : « قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ » . قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّه ! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانَ نَفْسه ثُمَّ قَالَ : هَذَا »(١)

قوله : « حدّثني بأمر أعتصم به » أي فتكون فيه نجاتي . وفي رواية أنه قال : «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك » . (٢)

فقال رسول الله ﷺ : « قل ربي الله ثم استقم » ، وهذه الوصية منه ﷺ منتزعة من قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ (٣)

وهي من أكبر الأدلة على صحة مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ، قول بالقلب واللسان ، وعمل بالأركان .

والمراد بقول القلب الاعتقاد ، والمراد بقول اللسان التصديق بالإعتقاد والنطق شهادةً به ، فمن اعتقد ولم ينطق فليس بمؤمن ، ومن نطق ولم يعتقد فليس بمؤمن، والأول كافر ، والثاني منافق .

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٣٢٠٨]، ت(٢٥٢٢/ ٣٢/ ٤)، جه(٣٩٧٢/ ١٣١٤/ ٢) .

(٢) **صحيح** : م(٣٨/ ٦٥/ ١) .

(٣) الأحقاف : ١٣و١٤ .

قال تعالى حكاية عن مجادلة موسى لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(٢)

ومن المأثور عن أبى طالب قوله :

ولقد علمتُ بأن دين محمد　　　من خير أديان البــــريّة دينـا

لولا الملامة أو حذار مسبّــة　　　لوجدتنى سمحاً بذاك مبينـا (٣)

ومع هذا العلم والاعتقاد لم ينطق بالشهادة حذر اللوم والمسبة كما قال .

وأما المنافقون وهم الذين يقولون بألسنتهم ولايعتقدون بقلوبهم فقد قال تعالى فيهم : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ﴾(٤)

فـلا بد فى الإيمان من قـول القلب واللســان ، ولابد أيضـاً من عـمل الأركان ، ولذلك قال ﷺ : « **قل ربى الله ثم استقم** » ، فالاستقامة هى عنوان كمال الاعتقاد .

ولذلك قال الحسن البصرى : ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل (٥) ، وهذه حقيقة شهد بها القرآن الكريم ، قال تعالى :

---

(١) الإسراء : ١٠٢ .

(٢) النمل : ١٣و١٤ .

(٣) شرح الطحاوية (٣٧٤).

(٤) المنافقون : ١و٢ .

(٥) اقتضاء العلم العمل / للخطيب البغدادى (٥٦).

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ وهذه هي جملة الاعتقاد ، ثم ذكر العمل فقال : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ .

ثم شهد لهم بالصدق فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1] فشهد لمن جمع بين العقيدة والعمل بالصدق والتقوى ، شهد لهم في آية أخرى بأنهم بلغوا حقيقة الإيمان فقال :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ .[2]

ولا تكون الاستقامة وفق مراد الإنسان وهواه ، بل لابد أن تكون وفق مرضاة الله ، فبهذا أمر الله ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[3] أي لا كما أردت ، ولذلك « عرّفها بعضهم بأنها امتثال كل مأمور ، وتجنب كل منهيّ . وعرّفها بعضهم بأنها المتابعة للسنن المحمدية ، مع التخلق بالأخلاق المرضية . وبعضهم بأنها الاتباع مع ترك الابتداع .

وقيل هي حمل النفس على أخلاق الكتاب والسنة .

قال القشيري : وهي درجة بها كمال الأمور تمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها .[4]

---

(١) البقرة : ١٧٧ . (٢) الأنفال : ٢-٤ .
(٣) هود : ١١٢ . (٤) فيض القدير (٥٢٣/ ٤) .

فليفطن لذلك كل لبيب حتى لايبتدع فى دين الله مالم يأذن بـه الله ، ويظـن أنه مستقيم على صراط الله . ولتكن هذه الآية من كل مسلم يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه على بال : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾(١) فإنما الإستقامة الاتباع لا الابتداع

وإياك ياعبد الله والمناهج المخالفة لمنهج الله ، وإياك والطرق المخالفة لطريقة رسول الله ، وإذا أردت الوصول فعليك بطريق الرسول ، فإن الله تعالى قال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٢) .

وقال الجُنَيْد رحمه الله : إن الله تعالى قال لنبيهﷺ وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، مافتحت لهم حتى يدخلوا خلفك .(٣)

ولذلك قالﷺ : « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى** » . قيل : ومن يأبى يارسول الله ؟ قال : « **من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى** » .(٤)

ألا فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الوصية ! « **قل ربى الله ثم استقم** » ! فإننا نسمع من كل مسلم قول ربى الله ، والحمد لله ، ولكننا لا نرى الشق الثانى من الوصية ، لانرى استقامة فى حياة المسلمين العملية ، فهذا مسلم لايصلى ، وثان لايصوم ، وثالث لايزكى ، ورابع لايحج وهو قادر .

وهذا مسلم يأكل الربا ، وثان يأخذ الرشوة ، وثالث يحرم أخواته من الميراث، ورابع يلعب الميسر ، وخامس يشرب الخمر .

وهذا مسلم يسفك الدماء ، وثان يسلب الأموال ، وثالث ينتهك الأعراض ، وكل هؤلاء يقولون ربُّنا الله .

---

(١) هود : ١١٢ .
(٢) آل عمران : ٣١ .
(٣) طريق الهجرتين : (٧)
(٤) **صحيح** : خ(٧٢٨٠/ ٢٤٩/ ١٣) .

وهذا مسلم على الطريقة الرفاعية ، وثان على الطريقة الشاذلية ، وثالث على الطريقة القادرية ، ورابع على الطريقة التيجانية ، وخامس على الطريقة الخلوتية ، وكلها طرق تُنافى الطريقة المحمدية النبوية ، وكل هؤلاء يقولون ربّنا الله وكأنهم أجمعين لم يقرءوا قول ربّ العالمين : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾[1] ، ولم يسمعوا وصية رسول الله ﷺ : « **قل ربى الله ثم استقم** » ، ولم يسمعوا عمر رضى الله عنه وهو يفسّر تلك الآية فيقول : لم يروغوا روغان الثعلب .[2]

وكثير من المسلمين اليوم يروغون روغان الثعلب ، يستحلون الحرام استحلالا ، وأهل الورع منهم يحتالون على استحلاله بشبهات ألقاها الشيطان فى قلوبهم ، أو فتاوى خاطئة استقرت فى آذانهم .

ونسوا جميعا أو تناسوا أن هذه الكبائر التى يستهينون بها قد تسلبهم الإيمان عند الموت ، لأن الكبائر بريد الكفر كما أن النظرة بريد الزنا ، ولذلك كان من معانى هذه الوصية : « قل ربى الله ثم استقم » أى ثم استقم على هذا القول حتى تلقى الله ، فإن رجالاً قالوا ربّنا الله ثم نكسوا على رءوسهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وارتدوا على أدبارهم .

وعلى هذا المعنى الثانى تكون هذه الوصية موافقة لوصية ربّ العالمين لعباده المؤمنين حيث قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)** ﴾[3] . لأن الأعمال بالخواتيم ، فاحرصوا على أسباب حسن الختام ، أدّوا الواجبات ، واتركوا المحرمات ، واتبعوا ولا تبتدعوا .

---

(١) فصلت : ٣٠.

(٢) جامع العلوم والحكم : (١٧٨) .

(٣) آل عمران : ١٠٢ .

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان مهما استقام لاينفك عن ذلل وخطأ ولذلك قرن الله تعالى الأمر بالاستغفار بالأمر بالاستقامة .

فقال سبحانه : ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾(١) ، وقد فقه الراجون رحمة ربهم هذه الحقيقة فاجتهدوا في الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من الكمال والاستقامة ثم أكثروا من الاستغفار ، قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾(٢) فلم يروا أن اتصافهم بهذه الأوصاف الشريفة من : الصبر ، والصدق ، والقنوت ، والنفقة ، مسقط عنهم طلب المغفرة بالاستغفار ، فباتوا ركعاً وسجداً ، وجلسوا في السحر يستغفرون الله عز وجل .

قال سفيان : « قلت : يارسول الله ! ما أخوف ما تخاف عليّ ؟ فأخذ بلسان نفسه وقال : « هذا » .

إن اللسان هو أخطر عضو من أعضاء الإنسان مع أنه أصغرها ، وهو الذى يورد الإنسان المهالك . ولذلك أمر الإسلام بصيانة اللسان ، قال تعالى :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤) .

---

(١) فصلت : ٦ .
(٢) آل عمران : ١٥-١٧ .
(٣) ق : ١٨ .
(٤) النور : ٢٤ .

وقال النبى ﷺ : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »**(١)

ولما دلّ ﷺ معاذ بن جبل رضى الله عنه على أبواب الخير كلها ، فرضها ونفلها، قال : **« ألا أدلك على ملاك ذلك كله »**؟ قال : بلى يارسول الله . قال : **« أمسك عليك لسانك »** . وتعجب معاذ رضى الله عنه من ذلك فقال : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يارسول الله ؟ فقال ﷺ : **« ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »** (٢)

وفى هذا الحديث أن سفيان بن عبد الله الثقفىّ لما قال : يا رسول الله ! ما أخوف ما تخاف علىّ ؟ أخذ ﷺ بلسان نفسه وقال : **« هـذا »** ، هذا اللسان هو الذى أخاف عليك منه ، لأن عمل اللسان خفيف فى نفسه ، عظيم فى خطره .

وإنما كان اللسان بهذه المنزلة من الخطر لأن به تكون أكبر الكبائر : من الكفر ، والشرك ، وقول الزور ، والقول على الله بغير علم ،والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وكل واحد من هذه الكبائر مهلكة ، فكيف بها مجتمعة ، فأمسك عليك لسانك يا عبد الله .

وزن الكلام إذا نطقـــت فإنما ··· يُبدى عيوب ذوى العقول المنطقُ

واعلم أنه إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وقد خلق الله لك أذنين اثنين ، ولساناً واحدا ، ليقل كلامك ، ويكثر استماعك ، فقل خيراً تغنم ، واسكت عن شرّ تسلم ، واعلم أن السكوت عن المباح خير من الكلام فيه ، فإن كثرة الكلام فى المباح تجرّ إلى الكلام فى غيره .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٦٠١٨ / ٤٤٥/ ١٠) ، م (٤٧/ ٦٨/ ١) ، د (٥١٣٢/ ٦٢/ ١٤) ، جه(٣٩٧١/ ١٣١٣/ ٢) .

(٢) **صحيح** : [ص . جه : ٣٢٠٩] ، ت(٧٢٤٩/ ١٢٤و١٢٥/ ٤)، جه(٣٩٧٣/ ١٣١٤/ ١٣١٥/ ٢) .

الحديث السادس والثلاثون

التحذير من الغلوّ

عَن ابن عَبّاس سَمِعَ عُمَرُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ علَى الْمِنْبَرِ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُول : « لاتُطْرُونِى كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَم ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُه »(١)

يقول تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾(٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق ، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .(٣)

ويشهد لصحة قول ابن عباس قولُ النبىّ ﷺ : **« كان آدم نبياً مكلّماً ، وكان بينه وبين نوح عشرة قرون »** .(٤)

وكان سبب اختلاف الناس : أن وَدّاً وسُواعاً ، ويغوث ويعوق ونَسْراً ، كانوا رجالاً صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصاباً ، وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ، فلم

---

(١) **صحيح** : خ(٣٤٤٥/٤٧٨/٦).

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) تفسير ابن كثير(٢٥٠/١)

(٤) **صحيح** :[س . ص :٢٦٦٨]، جن(٢٠٨٥/ ٥٠٩)، كم(٢٦٢/٢) .

تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عُبدت [١] ، فأرسل اللـه تعالى نوحاً عليه السلام لينذرهم عاقبة السوء إذا هم ماتوا على ماهم عليه من عبادة هذه الأصنام ، ثم تتابعت الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[٢]، وقد سئل ﷺ عن عدد الأنبياء فقال : « **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر ، جمًّا غفيرا** » [٣] .

والفرق بين النبى والرسول : أن الرسول من جاء بشريعة جديدة مستقلة عن شريعة من قبله ، والنبى من لم يأت بشريعة جديدة ، وإنما بُعث مجدّدا لشريعة من قبله ، داعياً إلى التمسك بها وإحياء ما اندرس منها . [٤]

وفرض الله تعالى على الناس تصديق الأنبياء واتباعهم ، واحترامهم وتوقيرهم ، وكانت الشبهة التى عرضت للكافرين وطعنوا بها فى نبوّة الأنبياء هى بشريتهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً** ﴾[٥]، وكان جواب الله لهم : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً** ﴾ [٦]، فالحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم حتى يستطيعوا أن يفهموا عنه ، كما قال تعالى :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ .[٧]، واستمر الحال على ذلك، يكفر الملأ من القوم ويؤمن بالرسول القلة القليلة منهم، حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام ، وكان بين نوح وإبراهيم عشرة قرون أيضاً

---

(١) **صحيح** : خ(٤٩٢٠/ ٦٦٧/٨).   (٢) المؤمنون : ٤٤ .
(٣) **صحيح لغيره** : [س . ص: ٣٦٣/٦] ، أ(٣٥١١/ ٢٠)، حب(٢٠٧٩/ ٥٠٨) .
(٤) روح المعانى: (١٧٣/ ١٧).   (٥و٦) الإسراء : ٩٤و٩٥ .
(٧) إبراهيم : ٤ .

كما كان بين آدم ونوح ، ورزق اللهُ إبراهيمَ إسماعيل وإسحاق ، ورزق إسحاق يعقوب ، وهو الملقب بإسرائيل ، واستمرت النبوة فى بنى إسرائيل حتى عيسى بن مريم عليه السلام .

وقد انقسم بنو إسرائيل قسمين : اليهود والنصارى .

فأما اليهود فقد فرّطوا فى حق الأنبياء ولم يقدروهم حق قدرهم ، بل كابروا وعاندوا ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، وكذّبوا كثيرا من الأنبياء وقتلوا كثيرا ، كما قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ؟ ![1]

وكانت عاقبتهم : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2]

وقابلت النصارى هذا التفريط بالإفراط ، وهذا التقصير بالغلوّ ، حتى اختلفوا فى عيسى بن مريم : فمنهم من جعله ابناً لله ، ومنهم من جعله إلها ، وهذا منهم غلوّ وتطرف ، نهاهم الله عنه فقال :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا

---

(١) البقرة : ٨٧ .

(٢) آل عمران : ١١٢ .

تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾(٢)

ثم ختم الله النبوات بمحمد ﷺ ، وجعل أمته خير الأمم ، وجعلنا أمة وسطا ، فلا إفراط ولاتفريط ، ولاغلوّ ولاتقصير .

وفرض الله علينا محبة النبى ﷺ وطاعته فقلنا سمعنا وأطعنا ، وآمنا بذلك كله وصدّقنا ، فوفّيناه ﷺ حقّه من المحبة والاتباع ، معتقدين أن العبد لايمكن أن يكون ربّا ، وأن لقب العبودية هو أفضل لقب يلَقَّب به النبىّ ﷺ ، ولذلك لقّبه ربّه به فى أشرف المقامات :

فقال فى مقـام التنزيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) ﴾(٣) .

وقال فى مقـام الدعـــوة : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) ﴾(٤) .

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) المائدة : ٧٥-٧٧ .

(٣) الكهف : ١ .

(٤) الجن : ١٩ .

وقال فى مقام التحدى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾(١) .

وقال فى مقام الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ (٢)

ولقد كان ﷺ حريصاً كل الحرص على سلامة عقيدة أمته ، وبقائها على الوسطية التى اختارها الله لها ، وفضّلها بها على غيرها ، فكان دائما يأمر بطاعته وإتباعه ومحبته ، ويقرن ذلك بالنهى عن الغلو فيه وإخراجه عما هو عليه من العبودية لله ، فكان يقول : « **يا أيها الناس ! لاترفعونى فوق قدرى ، فإن الله اتخذنى عبداً قبل أن يتخذنى نبيّا** » (٣) .

وكان يقول : « **لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله** » (٤)، والإطراء هو الغلو فى المدح ، والإفراط فى الثناء ، إفراط يفضى إلى كذب المادح ، ورفع الممدوح إلى ماليس له أهلا .

وعن أنس رضى الله عنه : أن ناساً قالوا : يا رسول الله ! ياخيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا ! فقال ﷺ : « **يا أيها الناس قولوا بقولكم ولايستهونيكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عزّ وجل** » (٥)

---

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) الإسراء : ١ .

(٣) **صحيح** : [س . ص . ٢٥٥] ، كم (٣/١٧٩)

(٤) هذاو هو الحديث الأصلى وسبق تخريجه فى أول شرحه .

(٥) **صحيح** : [غ : ١٢٧] وقال الشيخ أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ١٥٣ ، ٢٤١ . ٢٤٩) وعبد بن حميد فى المنتخب من المسند (ق ١٤٣/ ٢)

وعن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ! قال : « **السيد الله تبارك وتعالى** » : فقلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ! فقال : « **قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان** »[(١)]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فتكلم ببعض الكلام ، ثم قال : ماشاء الله وشئت ! فقال ﷺ : « **أجعلتنى لله ندا ؟ قل : ما شاء الله وحده** » [(٢)].

وعن أنس رضى الله عنه قال : ما كان أحدٌ أحبّ إلى أصحاب رسول الله من رسول الله ﷺ ، وكان إذا دخل إليهم لايقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك . [(٣)]

وعن عبد الله بن أبى أوفى قال : لما قدم معاذٌ من الشام سجد للنبى ﷺ ، فقال ﷺ : « **ماهذا يا معاذ ؟!** » . قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم ، فوددت فى نفسى أن نفعل ذلك بك . فقال رسول الله ﷺ :

« **فلا تفعلوا . فإنى لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** »[(٤)] .

---

(١) **صحيح** : [ص. د : ٤٠٢١] ، د(٤٧٨٥/ ١٦١/ ١٣) .

(٢) **حسن** : [س . ص : ١٣٩] ، خ فى "الأدب المفرد " (٧٨٧)، جه(٢١١٧) ، والطحاوية فى "المشكل " (١/ ٩٠) ، هق (٣/ ٢١٧) .

(٣) **صحيح** : [س . ص : ٣٥٨] ، ت(٢٩٠٢/ ١٨٣/ ٤) .

(٤) **حسن صحيح** : [ص . جه: ١٥٠٣]، أ(٢٤٨/ ٢٢٧/ ١٦)، جه(١٨٥٣/ ٥٩٥/ ١) .

وعن ابن عباس قال : قال لى رسول الله ﷺ غداة جمع : « **هلّم القُط لى** » . فلقطت له حصيات من حصى الخذف ، فلما وضعهن فى يده قال : « **نعم . بأمثال هؤلاء فارموا ، وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين** » [(١)] .

وهكذا عاش ﷺ حامياً حمى التوحيد من أن يتطرق إليه الغلو فى شخصه ﷺ فيفضى بأهل الغلو إلى الشرك .

حتى إذا نزلت به سكرات الموت لم تشغله من التحذير أيضاً من الغلو فيه أو فى غيره : عن عائشة وابن عباس قالا : لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتنم كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك :

« **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » ، يحذّر مثل ماصنعوا . [(٢)]

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ فى المرض الذى لم يقم منه : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . قالت : فلولا ذاك أُبرز قبره ، غير أنه خُشى أن يتخذ مسجدا . [(٣)]

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : « **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك** »[(٤)]

---

(١) **صحيح** :[ص . جه : ٢٤٥٥]، جه(٣٠٢٩/١٠٠٨/ ٢)، نس(٢٦٨/ ٥) .
(٢) **متفق عليه** : خ(٤٤٤٣و٤٤٤٤/ ١٤٠/ ٨)، م(٥٣١/ ٣٧٧/ ١)، نس(٤٠و٤١/ ٢).
(٣) **متفق عليه** : خ(١٣٣٠/ ٢٠٠/ ٣) ، م(٥٢٩/ ٣٧٦/ ٢) .
(٤) **صحيح** : م(٥٣٢/ ٣٧٧/ ١) .

وهكذا عاش ﷺ ومات وهو يحذر من الغلو فى الأشخاص ، أنبياء كانوا أم صالحين ، وينهى عن كل مايخدش حمى التوحيد ، ومع كل هذا الجهاد ، ومع كل هذا النصح ، فقد تناسى كثير من أتباعه هذا النهى كله ، ووقعوا فيما قضى نحبه فى التحذير منه :

فوقع بعضهم فى الغلو فيه ﷺ .

ووقع بعضهم فى الغلو فى الصالحين ، فبنوا على قبورهم المساجد ، وطافوا بهذه القبور وتمسّحوا بها ، ونذروا لها النذور ، وذبحوا لها الذبائح ، واستعانوا بأهلها وسألوا لهم الشفاء وقضاء الحاجات ، ودعوهم من دون الله ، وهم مع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون .

فهل من مدكر ؟ وهل من قراءة لهذه الوصايا النبوية ، والتوجيهات المحمدية ؟

فتذكروا يا أولى الألباب واعلموا أن التوحيد أساس قبول الأعمال :

﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[(1)] .

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾[(2)] أى الكافرين .

كما قال تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[(3)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[(4)]

واعلموا أيضاً أن كثير العمل لاينفع مع الشرك ، بينما قليل العمل ينفع مع التوحيد ، قال تعالى :

---

(١) غافر : ١٤ .
(٢) يونس : ١٠٦ .
(٣) البقرة : ٢٥٤ .
(٤) لقمان : ١٣ .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٣)

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **قال تعالى : ياابن آدم ! لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** »(٤)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله سيخلّص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كلّ سجلّ مثل مدّ البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ يقول لا ياربّ ! فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا ياربّ ! فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لاظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك . فيقول ياربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : فإنك لاتظلم . قال : فتوضع السجلات فى كفّة والبطاقة فى كفّة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولايثقل مع إسم الله شئ** » .(٥)

---

(١) الكهف : ١٠٣-١٠٥ .
(٢) الفرقان : ٢٣ .
(٣) النساء : ٤٨ .
(٤) **حسن** : [ص . ج : ٤٢١٤] ، ت(٣٦٠٨/٢٠٨/٥) .
(٥) **صحيح** : [ص . ج : ١٧٧٢] ، ت(٢٧٧٦/ ١٣٣/ ٤) .

فياعباد الله ! اقدروا الله حق قدره ، وإياكم والغلو ، واعلموا أن العبد لايمكن أبداً أن يكون ربا ، ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] ، وليكن شعار أحدكم ما أمر الله به نبيه ﷺ :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[2] .

---

(١) غافر : ١٤ .

(٢) الأنعام : ١٦٢و١٦٣ .

الحديث السابع والثلاثون

القرآن الكريم وصية الرسول العظيم ﷺ

عَنْ طَلْحَةَ بن مُصَرِّف قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّه بنَ أَبى أَوْفَى رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هَلْ كَانَ النَّبِىُّ ﷺ أَوْصَى ؟ فَقَالَ : لاَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوصيَّةُ أَوْ أُمرُوا بالْوَصيَّة ؟ فَقَالَ :

« أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّـه »[1]

فهم بن أبى أوفى من السائل أنه يريد وصيّة خاصة بالمال والخلافة ، فلذلك أجاب بالنفى فقال : لا . ولم يُرد نفى عموم الوصية . بدليل أنه قال : أوصى بكتاب الله . فالنبى ﷺ لم يوص بشئ من المال لأنه لم يترك بعده مالاً ، أما الأرض فقد سبّلها فى حياته ، وأما السلاح والبغلة ونحو ذلك فقد أخبر أنها لا تورث ، بل جميع ما يخلّفه صدقة .

وأما الخلافة فلم يوصى بها أيضاً لأحد .

فقال طلحة : كيف كُتب على الناس الوصية ؟ أو أُمروا بالوصية ؟ أراد بقوله هذا الاستفسار عن قول الله عز وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) ﴾[2] ،

---

(١) **متفق عليه** : خ (٢٧٤٠/٣٥٦/٥) ، م (١٦٣٤/١٢٥٦/٣) ، ت (٢٢٠٢/٢٩٢/٣)، نس(٦/٢٤٠) .

(٢) البقرة : ١٨٠ .

فكيف كتب الله على المسلمين الوصية ولم يوص النبىﷺ ؟ فقال ابن أبى أوفى : أوْصى بكتاب الله .

فوصية الرسولﷺ للمسلمين أن يتمسكوا بالقرآن وأن يعملوا به ، فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، والصرط المستقيم ، عصمة لمن تمسّك به ، ونجاة لمن اتبعه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١) ، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ (٢) ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله ، وقد تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لايضل فى الدنيا ، ولايشقى فى الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربَ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدَ وأبقى** ﴾(٣) .

ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بتلاوة القرآن فقال : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) ﴾(٥) .

---

(١) هود : ١ . (٢) فصلت : ٤١و٤٢ . (٣) طه : ١٢٣-١٢٧ .
(٤) العنكبوت : ٤٥ . (٥) الكهف : ٢٧ .

وأمره ﷺ أن يصرح بهذا الأمر فقال : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾(١)

وجعل سبحانه وتعالى تلاوة القرآن عنوان الإيمان فقال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾(٢) .

فتلاوة القرآن إذن قُربة من أعظم القُرب ، وعبادة من أجلّ العبادات ، يُعطى الله تبارك وتعالى عليها من الأجر والثواب مالا يعطى على غيرها ، وقد بيّن النبى ﷺ كثرة هذا الأجر بقوله :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .(٣)

ومعنى ذلك أن المسلم لو قرأ سورة الفاتحة وهى مائة وثلاثة عشر حرفاً أُعطى عليها بفضل الله ألفاً ومائة وثلاثين حسنة ، ولذلك كانت قراءة القرآن تجارة من أربح التجارات ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠ ﴾(٤) .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن فى الصفة فقال : **« أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتيْن كوماويْن فى غير إثم ولاقطيعة رحم ؟ »** فقلنا : نحب ذلك يارسول الله . قال :

---

(١) النمل : ٩١و٩٢.

(٢) البقرة : ١٢١

(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٦٣٤٥] ، ت(٣٠٧٥/٢٤٨/٤) .

(٤) فاطر : ٢٩و٣٠ .

« أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيسمع أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ،ومن أعدادهن من الإبل » (١) .

ولقد كثرت وصايا رسول الله ﷺ فى تعلم القرآن وتعليمه ، وكثر ترغيبه فى ذلك ، ومنه قوله ﷺ لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : **« أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شئ ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض »** (٢) .

وقوله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » . (٣)

وقوله ﷺ : **« الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران »** (٤) .

وقوله ﷺ : **« يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يارب حلّه فيُلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يارب زده فيُلبس حُلّة الكرامة ، ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه . فيقول : اقرأ وارق ، ويُزاد بكل آية حسنة »** (٥) .

وقوله ﷺ : **« يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »** (٦) .

---

(١) صحيح : م(٨٠٣/ ٥٥٢/ ١) ، د(١٤٤٣/ ٣٢٨/ ٤) .
(٢) حسن : [ص. ج : ٢٥٤٠] ، أ(٤٦/ ٣٢/ ١٩)
(٣) صحيح : خ(٥٠٢٧/ ٧٤/ ٩) ، ت(٣٠٧١/ ٢٤٦/ ٤) ، د(١٤٣٩/ ٣٢٥/ ٤) .
(٤) متفق عليه : خ(٤٩٣٧/ ٦٩١/ ٨) ، م(٧٩٨/ ٥٤٩ / ١) ، ت(٣٠٦٨/ ٣٤٤ / ٤) ، د(١٤٤١/ ٣٢٦/ ٤) ، جه(٣٧٧٩/ ١٢٤٢/ ٢) .
(٥) حسن : [ص. ج : ٧٨٨٦] ، ت(٣٠٧٦/ ٢٤٨/ ٤) .
(٦) حسن صحيح : [ص . د: ١٣٠٠] ، د(١٤٥١/ ٣٣٨/ ٤) ، ت(٣٠٨١/ ٢٥٠/ ٤) .

وكان النبي ﷺ يبين لأصحابه أن الرحمة والبركة والسكينة تتنزل بقراءة القرآن، وأن الشياطين تفرّ عند قراءة القرآن ، فكان ﷺ يقول : « **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** »[(١)] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن أُسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذا جالت فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى ، فقرأ ثم جالت أيضا ، قال أُسيد فخشيت أن تطأ يحيى ، فقمت إليها فإذا مثل الظلّة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجوّ حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ! بينا أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي ، فقال ﷺ : « **اقرأ ابن حُضير** » قال : فقرأت ثم جالت أيضا ، فقال رسول الله ﷺ : « **اقرأ ابن حُضير** » قال : فقرأت ثم جالت أيضا ، فقال رسول الله ﷺ : «**اقرأ ابن حُضير** » قال : فانصرفتُ ، وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلّة ، فيها أمثال السرج ، عرجتْ في الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحتْ يراها الناس ما تستر منهم** »[(٢)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفرّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة** »[(٣)] .

---

(١) صحيح : م(٢٦٩٩/ ٢٠٧٤/ ٤) ، ت(٤٠١٥/ ٢٦٥/ ٤) ، جه(٢٢٥/ ٨٢/ ١) .

(٢) صحيح : م(٧٩٦/ ٥٤٨/ ١) .

(٣) صحيح : م(٧٨٠/ ٥٣٩/ ١) ، ت(٣٠٣٧/ ٢٣٢/ ٤) .

فاقرءوا القرآن يا أمة القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، كما قال ﷺ ، اقرءوا القرآن فإنه روح لكم فى السماء ، وذكر لكم فى الأرض ، قال تعالى للنبى ﷺ : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾(١) ، وقال للقوم أنفسهم : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢) ،

اقرءوا القرآن فإنه يهدى للتى هى أقوم ، فى كل أمر من الأمور ، وكل مسألة من المسائل ، وكل مشكلة من المشاكل ، اقرءوا القرآن فإنما ترفعون به فى الدنيا والآخرة ، كما قال النبى ﷺ : « **إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين** »(٣)

وقال ﷺ : « **يقال لصاحب القرآن اقرأ وا رق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** » (٤) .

اقرءوا القرآن فإنه عزّكم وشرفكم ، وبه يتم سؤددكم ، لقد ساد السلف الصالح الدنيا كلها حين قبلوا كتاب ربهم ، واستمسكوا به ، وجعلوه أمامهم فقادهم إلى الخير والبرّ ، والنجاح والفلاح ، فلما نبذ الخلف كتاب ربهم وراء ظهورهم تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

فاقرءوا القرآن يا أمة القرآن فلن تزالوا على الهدى ما قرأتم القرآن وتمسكتم به ، كما أخبركم بذلك نبيكم ﷺ : « **تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما ، كتاب الله وسنتى** » (٥)

---

(١) الزخرف : ٤٤ .
(٢) الأنبياء : ١٠ .
(٣) **صحيح** : م(٨١٧/٥٥٩/١) .
(٤) **حسن صحيح** : [ص . د : ١٣٠٠] ، د(١٤٥١/٣٣٨/٤) ، ت(٣٠٨١/ ٢٥٠/ ٤) .
(٥) **صحيح** : [ص. ج : ٢٩٣٤] ، كم (٩٣/١) .

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، كما قال النبى ﷺ : « **إن للـه أهلين من الناس** » . قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « **أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** »(١)

وإكرام أهل الله واحترامهم واجب ، ولذا قال ﷺ : « **إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيْبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط** » (٢) .

فيجب على المسلمين احترام أهل القرآن وإجلالهم ، وإكرامهم وتوقيرهم ، وإنزالهم منازلهم ، وتقديمهم على غيرهم فى كل شئ ، كما قال ﷺ : « **يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله** »(٣) ، ويوم أُحد كان ﷺ يدفن أكثر من رجل فى قبر ، وكان يقول : « **أيهما أكثر أخذاً للقرآن** » فإن أشير إلى أحدهما قدّمه فى اللحد(٤) ومن أجل هذا كان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً ، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما (٥) .

هذا وإن لحامل القرآن آداباً ينبغى أن يحافظ عليها وأن لا يُخل بشئ منها ، منها ما ذكره ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله :

ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٢١٦١] ، جه (٢١٥/ ٧٨/ ١) .

(٢) **حسن** : [ص . د : ٤٠٥٣] ، د(٤٨٢٢/ ١٩٢/ ١٣) .

(٣) **صحيح** : م (٦٧٣ / ٤٦٥/ ١) ، ت (٢٣٥ / ١٤٩/ ١) ، د (٥٧٨/ ٢٨٩/ ٢) ، جه(٩٨٠/ ٣١٣/ ١)

(٤) **صحيح** : خ (١٣٤٣/ ٢٠٩/ ٣) ، د (٣١٢٢/ ٤١٢/ ٨) ، ت (١٠٤١ / ٢٥٠/ ٢) ، جه(١٥١٤/ ٤٨٥/ ١) ، نس (٦٢/ ٤) .

(٥) **صحيح** : خ(٤٦٤٢/ ٣٠٤/ ٨) .

مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، ولاينبغى أن يكون جافياً ولاغافلاً ، ولا صخّاباً ولا حديدا .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لاينبغى أن يلغو مع من يلغو ، ولايسهو مع من يسهو ، ولايلهو مع من يلهو ، تعظيماً لله تعالى ، ولاينبغى أن يكون له إلى أحدٍ حاجة ، بل ينبغى أن تكون حوائج الناس إليه .[١]

هذه آداب ينبغى لحامل القرآن أن يتأدب بها فى نفسه .

وهناك آداب يستحب أن يأخذ بها نفسه عند التلاوة :

منها : السواك . والوضوء ، واستقبال القبلة ، والإخلاص لله عز وجل ، واحتساب الأجر عنده .

فإذا شرع فى القراءة استحب له أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فيقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٢] .

ثم يمدّ القراءة مدّاً ، ويقطعها آية آية ، كما كان النبى ﷺ يفعل .

وليكن همه التدبّر ومحاولة الفهم لما يقرأ ، فإن الله تعالى قال : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾[٣] ، وأنكر على الذين لايتدّبرون فقال : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾[٤] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٥١) .
(٢) النحل : ٩٨ .
(٣) ص : ٢٩ .
(٣) محمد : ٣٤ .

وعليه أن يجتهد فى تحسين صوته بالقراءة ، لقول النبى ﷺ : « **زيّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا** » (١)

وقال ﷺ : « **حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا** »(٢)

وحُسن الصوت إنما يتحقق بالخشوع والخضوع وخشية الله ، ولذا قال ﷺ :

«**إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله** »(٣)

ولذلك يستحب للقارئ أن يستجلب خشية الله التى تؤدى إلى البكاء خوفاً منه سبحانه ، فإن البكاء عند القراءة من هدى النبيين وعباد الله الصالحين ، قال تعالى فى سورة مريم بعد أن ذكر كوكبة من النبيين : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾(٥) .

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٣٥٧٥] ، كم (١/٥٧٢) .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٣١٤٠] ، مى (٣٥٠٤/٣٤٠/٢) .
(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٢١٩٨] ، جه (١٣٣٩/٤٢٥/١) .
(٤) مريم : ٥٨ .
(٥) الإسراء : ١٠٦-١٠٩ .

وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **اقرأ علىّ القرآن** » فقلت : يارسول الله ! أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « **إنى أحب أن أسمعه من غيرى** » . فقال فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾[(١)] قال : « **حسبك الآن** » ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان »[(٢)]

وعن مطرّف بن عبد الله بن الشّخير عن أبيه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يصلى وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء » .[(٣)]

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه ، قيل له فى الصلاة ، فقال : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** » فخافت عائشة على أبيها إن هو قام مقام النبى ﷺ أن يتشاءم الناس به ، فأرادت أن تصرف رسول الله ﷺ عنه ، فلم تجد عذراً تعتذر به إلا قولها : إن أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ القرآن لايملك دمعه فلا يستطيع أن يُسمع الناس من البكاء ! فقال ﷺ : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** »[(٤)] .

ويستحب للقارئ إذا مرّ بآية فيها تسبيح أن يسبح ، وإذا مرّ بآية رحمة أن يسأل الله منها ، وإذا مرّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله ، وهكذا .

وينبغى له أن يكثر من التلاوة ، وأن يتعاهد القرآن بالمراجعة ليثبت فى صدره ولايتفلّت منه ، فقد قال ﷺ : « **تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده**

---

(١) النساء : ١-٤١ .

(٢) **متفق عليه** : خ (٥٠٥٠ / ٩٤ / ٩) ، م (٨٠٠/ ٥٥١/ ١) ، ت (٥٠١٤/ ٣٠٤/ ٤) ، د(٣٦٥١/ ١٠٢/ ١٠)

(٣) **صحيح** : [ص . د:٧٩٩] ، د(٨٩٠/ ١٧٢/ ٣) ، نس(١٣/) .

(٤) **متفق عليه** : خ(٦٧٨, ٦٧٩/ ١٦٤/ ٢) ، م(٤١٨/ ٣١٣/ ١٣١٤).

لهو أشدّ تفلتا من الإبل فى عقلها » .[١]

فمن استطاع أن يختم كل ثلاث فليفعل ، ولا ينقص عن ثلاث ، وإلا ففى كل سبع ، وإلا ففى كل عشر ، وإلا ففى كل خمسة عشرة ، وإلا ففى كل شهر مرة .

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا ، اللهم ذكّرنا منه ما نُسّينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وشفّعه فينا ، واجعله حجة لنا لا علينا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار لعلك ترضى عنا . آمــــين

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٠٣٣/ ٧٩/ ٩) ، م(٧٩١/ ٥٤٥/ ١) .

الحديث الثامن والثلاثون

أول ليلة فى القبر

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضىَ اللَّهُ عَنْهُ قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُم ألآخرة » (١)

إن القلوب تلين وتقسوا ، تلين بذكر الله والعمل الصالح ، وتقسوا بالغفلة والمعاصى .

والنبى ﷺ يوصينا فى هذا الحديث أن نليّن قلوبنا كلّما قست بزيارة القبور . والقبور جمع قبر . والقبر هو الحفرة الضيّقة المظلمة الموحشة . فراشها التراب ، وجليسها الدود ، وأنيسهاالعمل ، قال ﷺ : « **يتبع الميّت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله** » (٢) .

وقال ﷺ : « **وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا** » (٣) .

ولو أعطى إنسان مايريد من المال على أن يبيت ليلة واحدة فى هذه الحفرة لقال : أدفع مثل ماتعطوننى ولاأبيت . ولكنه إذا انتهى أجله بات مكرهاً ، ولايخرج من هذه الحفرة إلا أن يُنفخ فى الصور ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾(٤) .

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٣٥٧١] ، جه(١٥٦٩/ ٥٠٠/ ١) .

(٢) **متفق عليه** : خ(٦٥١٤/ ٣٦٢/ ١١)، م(٢٩٦٠/ ٢٢٧٣/ ٤) د(٢٤٨٥/ ١٧/ ٤).

(٣) **متفق عليه** : خ(١٣٣٨/ ٢٠٥/ ٣)، م(٢٨٧٠/ ٢٢٠٠/ ٤)، د(٣٢١٥/ ٥٠/ ٩)، نس(٩٨/ ٤).

(٤) يس : ٥١ .

وعند نزوله القبر أول ساعة يضمّه القبرُ ضمّةً تختلف منها أضلاعه ، وتنقطع منهـا أوصـاله ، ولاينجـو من هذه الضـمـة أحـد ، لاملك ولاوزير ، ولاغنى ولافقير ولا عظيم ولاحقير ، ولا كبير ولا صغير ولا بار ولا فاجر ، ولا صالح ولا طالح كما قال النبي ﷺ وقد دفن سعدَ بن معاذ :

« لو نجا أحـدٌ من ضمّـة القبر لنجـا منها سـعدُ بن معـاذ ، ولقـد ضُـمّ ثم رُوخي عنـه »[1]

ودفن ﷺ صبياً فقال : **« لو نجا أحدٌ من ضمّة القبر لنجا هذا الصبي »** [2].

ثم يأتي الميّت ملكان أسـودان أزرقـان ، يُقـال لأحـدهمـا المنكر ، وللآخـر النكير[3]، سمّيا بذلك لأن خلقهما غريب عجيب لايسرّ الناظرين ، فإذا رآهما أحدٌ أنكر غرابة خلقهما .

وتخيّل أيهـا العـاقل مـدى الرعب والذعر الذي يصيب الميت وهو في قبره وحيداً فريداً ، في ظلمة أشدّ من ظلمة الليل البهيم ، وهو لايملك دفعاً ولاهربا .

فتخيّل هذا المسكين وقد اكتنفه هذان الملكان وأحاطا به ، ثم انتهراه قائليْن له : من ربك ؟ فإن كان مؤمناً قال : ربّي الله . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فـيقـولان له : ما هذا الرجل الذي بُعث فـيكم ؟ فـيقـول : هو رسـول الله . فيقـولان له وما علمك ؟ فيقـول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينتهرانه ويقـولان له : من ربّك ؟ مادينك ؟ من نبيّك ؟ قال ﷺ : « وهي آخر فتنة

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ٥١٨٢] ، طب(١٢٩٧٥/ ٢٣٢/ ١٢) .

(٢) **صحيح** : [ص . ج : ٥١٨٣] ، طب (٣٨٥٨/ ١٢١/ ٤) .

(٣) **حسـن** : [ص . ج : ٨٣٧] ، ت(١٠٧٧/ ٢٦٧/ ٢) .

تُعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(١) ، فيقول ربّى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيّ محمد ﷺ . فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى . فأفرشو له من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له فى قبره مدّ بصره ، ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجه ، حسن الثياب ، طيب الرّيح ، فيقول : أبشر بالذى يسّرك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : وأنت فبشّرك الله بخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فوالله ماعلمتك إلا كنت سريعاً فى إطاعة الله ، بطيئاً فى معصية الله ، فجزاك الله خيراً ، ثم يُفتح له بابٌ من الجنة ، وبابٌ من النار ، فيقال هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما فى الجنة قال : ربّ عجّل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى ! فيُقال له : اسكن .

وأما إن كان الميت كافراً : فإن الملكيْن ينتهرانه ويجلسانه ، ويقولان له : من ربّك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقولان : مادينك ؟ فيقول : هاه هاه لاأدرى . فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه . فيقال : محمد . فيقول : هاه هاه لاأدرى ، سمعت الناس يقولن ذاك . فيُقال : لادريت ولاتلوت . فينادى مناد من السماء : أن كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرّها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف منه أضلاعه . ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن

---

(١) إبراهيم : ٢٧ .

الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : وأنت فبشرك الله بالشرّ ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشرّ ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله ، فجزاك الله شراً ، ثم يقيّض له أعمى أصم أبكم ، فى يده مرزبةٌ لو ضُرب بها جبلٌ كان تراباً ، فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى ، فيصيح صيحة يسمعه كل شئ إلى الثقلين ، ثم يُفتح له باب من النار ، ويُمهّد من فرش النار ، فيقول : ربّ لاتقم الساعة (١) .

فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك ؟!! وانتقالك من موضعك ، إذا انتقلت من سعة إلى ضيق !! وخانك الصاحب والرفيق !! وهجرك الأخ والصديق!! وأخذت من فراشك وغطائك إلى غرر !! وغطوك من بعد لين لحافها بتراب ومدر ؟!(٢)

فبالله عليك هل ستنام ؟ أو يهدأ لك بال ؟ أو يقرّ لك قرار ؟ كيف وقد كنت فى الدنيا تؤرّق وتقلق إذا غيّرت مكان نومك داخل بيتك فضلاً عن خارجه ، فكم من قائل يقول مانمت الليلة ؟!! لأننى غيّرت مكانى ، فمجرّد تغيير المنام أرّقك وأفزعك ، مع أنك نائم على الأسرّة المفروشة بجوار أهلك ووسط عيالك، والنور موجود ، والأنس حاصل .

فقل لى بربك إذا غيّرت مكان نومك من غرفة النوم المؤنسة إلى حفرة القبر الموحشة ، كيف سيكون حالك؟ فإن كانت الدنيا قد شغلتك ، والآمال قد ألهتك

---

(١) **صحيح** : [أحكام الجنائز : ١٥٩] ، أ(٥٣/ ٧٤/ ٧) والسياق له ، د(٣١٩٦/ ٣١/ ٩) ، (٤٧٢٧/ ٨٩/ ١٣)

(٢) التذكرة للقرطبى (٩) .

فعليك بزيارة القبور ، وتأمل حال من مضى من إخوانك ، ودرج من أقرانك ، الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تُغْنِ عنهم أموالهم ، ومحا الترابُ محاسنَ وجوههم ، وافترقت فى القبور أجزاؤهم ، وترمّل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذلُ اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم ؟!

وتذكّر تردّدهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلي الصحة والشباب ، واعلم أن ميلك إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلتك عما بين يديك من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنك لابد صائرٌ إلى ما صاروا إليه (١) ، وعندئذ تذهب عنك قسوة القلب ، وجمود العين ، وطول الأمل ، فتزهد فى دنياك وتُقبل على طاعة مولاك .

عن عثمان رضى الله عنه : أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلاتبكى ، وتبكى إذا وقفت على قبر ؟! فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن القبر أوّل منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه** » (٢) . قال : وقال ﷺ : « **ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه** » .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يافلان ! لقد أُرّقت الليلة ، أتفكر فى القبر وساكنه ، فلو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه ، بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ،

---

(١) التذكرة للقرطبى (١٤) .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ١٦٨٠] ، ت(٢٤١٠/ ٣٧٩/ ٣) ، جه(٤٢٦٧/ ١٤٢٦/ ٢) .

وتخترقه الديدان ، مع تغيّر الرّيح ، وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب . ثم شهق شهقةً خرّ مغشياً عليه . (١)

وكان يزيد الرقاشي يقول : أيها المقبور فى حفرته ، والمتخلّى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبلّ عمامته ، ثم يقول : استبشر والله بأعماله الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله . (٢)

وروى عن علىّ رضى الله عنه أنه خرج إلى مقبرة ، فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور ! أخبرونا عنكم أو نخبركم ، أما خبر مَنْ قبَلَنا : فالمال قد اقْتُسِمَ ، والنساء قد تزوّجن ، والمساكن قد سكنها قوم غيركم .

ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نر زاداً خيراً من التقوى . (٣)

قف بالقبور وقُل على ساحاتها ** مـن منكم المغمـور فى ظلماتها
ومن المكرّم منكم فى قعـرها ** قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد ** لايستبين الفضل فى درجاتها
لوْجاوبوك لأخبروك بألسـن ** تصف الحقائقَ بعدُ منْ حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضـةٍ ** يفضى إلى ماشاء من دَوْحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلّـبٌ ** فى حفرة يأوى إلـى حيّاتها
وعقارب تسعى إليه فَرُوحـه ** فى شدّة التعذيب من لدغاتها (٤)

---

(١) إحياء علوم الدين (٤٨٦/٤)
(٢) التذكرة للقرطبى (٩٢).
(٣) التذكرة للقرطبى : (١١).
(٤) إحياء علوم الدين (٤٨٧/٤) .

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة ، فأنشأت أقول :

أتيتُ القبور فناديتها ** فأين المعظّم والمحتقر
وأين المذلّ بسلطانه ** وأين المزكى إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها ، أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً ، وهو يقول :

تفانَوا جميعاً فما مخبرٌ ** وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى ** فتمحو محاسن تلك الصور
فياسائلى عن أناسٍ مضوا ** أمالك فيما ترى معتبر (١)

وبعد : فهذا هومَا أُعدّ للإنسان فى قبره : ترابٌ ودُود ، ظلمة ووحشة ، صديد يسيل ، ومحاسن تبلى ، وريح يتغير ، فهل تصدّقون معى مَنْ قال :

والله لو عاش الفتى فى عمره ** ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعّماً فيها بكل لذيذة ** متلذّذا فيها يسكنى قصره
لا يعتريه الهمّ طول حياته ** كلاّ ولاترد الهموم بصدره
ما كان ذلك كلّه من أن يفى ** بمبيت أوّل ليلة فى قبره

*** هذا ، وإن لزيارة القبور آدابا ، ينبغى للزائر أن يتأدب بها :**

منها : أن ينوى الاعتبار والاتعاظ .

وأن يبدأ أهل القبور بالسلام فيقول : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية (٢) .

وأن يُحضر قلبه للتفكير فى حاله وحالهم ، وأن يعلم أنه منتقل إليهم ، وأنهم

---

(١) إحياء علوم الدين (٤٨٧/ ٤) .

(٢) **صحيح** : م(٩٧٥/ ٦٧١/ ٢)، جه(١٥٤٧/ ٤٩٤/ ١)، نس(٩٤/ ٤) .

يتمنون أن يردوا إلى الدنيا ساعة ليعملوا فيها طاعة ، فليحمد الله على ما مدّ فى عمره ، وليعزم على استغلال أوقاته وأنفاسه .

وليحذر كل الحذر من الزيادة على السلام والدعاء ، بقراءة القرآن ، أو دعاء الأموات والاستعانة بهم ، أو التبرك بهم ، والتمسح بقبورهم ، وطلب تفريج الكروب ونحو ذلك .

كما يجب عليه أن يحذر الجلوس على القبور ، والكتابة عليها ، فقد نهى ﷺ عن تجصيص القبور ، والكتابة عليها ، والجلوس عليها ، والصلاة إليها [1] ، كما يحرم على الأحياء رفع القبور فوق الحاجة ، ويحرم عليهم تجصيصها ، أى دهنها بالجصّ ، وهو الأسمنت ، وهو ما يسمّى بالغفق ، فضلاً عن أن تضرب بالزَّيْت ، وتطلى بالألوان المزخرفة ، فهذا كله حرام فى شريعتنا ، وإنما هو ممن يفعلونه تقليد لغيرنا ، و « **من تشبه بقوم فهو منهم** » [2] .

والنساء كالرجال فى استحباب زيارة القبور ، فإن قوله ﷺ : « زوروا القبور » خطاب عام للأمة ، يشمل المؤمنين والمؤمنات ، وأصرح من ذلك تعليمه ﷺ عائشة رضى الله عنها ما تقول عند الزيارة ، كما فى الحديث عنها أنها قالت : كيف أقول لهم يارسول الله ؟ قال : « **قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ،ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون** »[3]

---

(١) **صحيح** : م (٩٧٠ / ٦٦٧ / ٢)، د(٣٢٠٩و٣٢١٠/ ٤٥و٤٦/ ٩) ، ت(١٠٥٥و١٠٥٨/ ٢٥٧و٢٥٨/ ٢) ،نس(٨٦/ ٤)، جه(١٥٦٢و١٥٦٣و١٥٦٤/ ٤٩٨/ ١) .

(٢) **حسن صحيح** : [ص. د : ٣٤٠١] ، د(٤٠١٢/ ٧٦/ ١١) .

(٣) **صحيح** : م(٩٧٤/ ٦٦٩/ ٢) ، نس(٩١/ ٤) .

فلما علمها ما تقول دلّ على أن زيارتها للقبور جائزة ، إذ لو لم تكن جائزة ما علّمها ، ولقال لها : إنه لايشرع لك زيارة القبور ، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز .

ولكن زيارتهنّ مقيّدة بشروط :

الأول : الحجاب ، وهذاشرط فى حقها كلما أرادت الخروج من بيتها .

الثانى : أن لاتفعل عند القبر محرّماً ، مثل النياحة واللطم ونحو ذلك .

الثالث : أن لاتكثر من الزيارة ، فقد « **لعن رسول الله ﷺ زوّارات القبور** »[1] أى المكثرات من الزيارة ، فلها أن تزور فى السنة مرتين أو ثلاثة مثلا ، ولاتكثر حتى يقال عنها زوّارة .

الرابع : أن لاتخصص للزيارة وقتاً أو يوماً .

الخامس : أن لاتركب أو تسافر بقصد الزيارة ، كأن تخرج من بلد إلى بلد بقصد زيارة قبور أهلها مثلا ، فقد قال ﷺ : « **لاتشدّ الرحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى** »[2] .

وهذان الشرطان الآخران متعلقان أيضاً بالرجال . والله تعالى أعلم .

---

(١) **حسن** : [ص . جه : ١٢٨١] ، جه(١٥٧٦/ ٢/٥٠٢/ ١) ، ت(١٠٦١/ ٢٥٩/ ٢) .

(٢) **متفق عليه** : خ(١١٨٩/ ٦٣/ ٣) ، م(١٣٩٧/ ١٠١٤/ ٢) ، د(٢٠١٧/ ١٥/ ٦) ، نس(٣٧/ ٢)

الحديث التاسع والثلاثون

الحث على التوبة والإستغفار

عن الأغَرِّ بن يَسَار الُمزَنِيِّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قال : قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : « يا أَيُّها النَّاسُ تُوبُوا إلى اللَّهِ واسْتَغفِرُوه ، فَإِنِّي أَتُوبُ في اليَوْمِ مائَةَ مَرْة » (١)

أمر الله تعالى نبية ﷺ بالاستغفار في أكثر من آية ، منها قوله تعالى :
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (٢) ،

وقوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾(٣) ،

وقوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .(٤)

فاستجاب ﷺ لأمر ربه أحسن الاستجابة ، وقام به خير قيام ، فكان لسانه دائماً مشغولاً بالاستغفار ، آناء الليل وأطراف النهار :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« ما أصبحت غداةً قط إلا استغفرتُ الله تعالى فيها مائة مرة »(٥) .

---

(١) **صحيح** : [س . ص : ١٤٥٢] ، أ(٣/ ٣٣٤/ ١٩) ،

(٢) محمد : ١٩ . (٣) غافر : ٥٥ . (٤) سورة النصر .

(٥) **صحيح** : [ص . ج : ٥٤١٠]، رواه العقيلي في "الضعفاء" ص (٤١١) وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (١/ ٦٠) من طريق الطبراني بسند صحيح . كذا في "الصحيحة" (١٦٠٠).

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : إن كنا لنعدّ لرسول الله ﷺ فى المجـــلـــس يقول : « **ربّ اغفرلى وتُبْ علىّ ، إنك أنت التّواب الرحيم** » ، مائة مرّة . [١]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة** » [٢] .

وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة استفتحها بالاستغفار ، ثم يستغفر إذا ركع ، وإذا سجد ، وإذا قعد بين السجدتين ، وإذا انصر ف من الصلاة استغفر أيضا :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قـال : كـان رسـول الله ﷺ إذا كبّر فى الصلاة سكت هُنَيَّة قبل أن يقرأ ، فقلت يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، أرأيت سكوتَك فى التكبير والقراءة ، ماتقول ؟ قال : « **أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقّنى مـن الخطايا كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد** »[٣] .

وعن عـائشـة رضى الله عنها قـالت : كـان رسـول الله ﷺ يكثـر أن يقـول فى ركوعه وسجوده : « **سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفرلى** » يتأول القرآن[٤]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يقـول فى ســجوده :

« **اللهم اغفرلى ذنبى كلّه ، دقّه وجلّه ، وأوله وآخره ، وسرّه وعلانيته** »[٥] .

---

(١) **صحيح** : [ص . جه : ٣٠٧٥] د (١٥٠٢/ ٣٧٩/ ٤) جه (٣٨١٤/ ٢٥٣/ ٢)

(٢) **صحيح** : : خ (٦٣٠٧/ ١٠١/ ١١)

(٣) **متفق عليه**: خ(٧٤٤/ ٢٢٧/ ٢)، م(٥٩٨/ ٤١٩/ ١) ، د(٧٦٦/ ٤٨٥/ ٢) ، جه (٨٠٥/ ٢٦٤/ ١)

(٤) **متفق عليه** : خ (٨١٧/ ٢٩٩/ ٢) ، م (٤٨٤/ ٣٥٠/ ١) ، د (٨٦٣/ ١٣٠/ ٣) ، نس(٢١٩/ ٢) ، جه(٨٨٩/ ٢٨٧/ ١) .

(٥) **صحيح** : م (٤٨٣/ ٣٥٠/ ١) ، د(٨٦٤/ ١٣١/ ١) .

وعن حذيفة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ كان يقول بين السجدتين : **« ربّ اغفرلى ، ربّ اغفر لى »**(١) .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً .(٢)

وهكذا كان ﷺ يكثر من الاستغفار والتوبة ، مع أنه معصوم من الخطايا ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وماتأخر من الخطأ ، فغيره من الناس أولى بذلك ، ولذلك كان ﷺ يوصى بكثرة الاستغفار والتوبة ، فقال للناس كما حكى الله عنه : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** ﴾ .(٣)

وعن الأغرّ بن يسار المزنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة »**(٤) .

والاستغفار تارةً يُقرن بالتوبة كما فى هذه الآية والحديث ، وتارة يُفرد عنها ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿٤٦﴾ ﴾(٥) ،

وقوله : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾(٦)

---

(١) **صحيح** :[ص . جه : ٧٣١] ، جه (٨٩٧/ ٢٨٩/ ١) .

(٢) **صحيح** : م(٥٩١/ ٤١٤/ ١) ، ت(٢٩٩/ ١٨٤/ ١) ، نس(٦٨/ ٣) ، د(١٤٩٩/ ٣٧٧/ ٤) ، جه (٩٢٨/ ٣٠٠/ ١) .

(٣) هود : ٣ .

(٤) سبق أول هذا الحديث .

(٥) النمل : ٤٦ .

(٦) الأنفال : ٣٣ .

والاستغفار المفرد كالتوبة ، بل هو التوبة بعينها ، وأما عنداقتران إحدى اللفظتين بالأخرى : فالاستغفار طلب وقاية شرّ مامضى ، والتوبة طلب وقاية شرّ ما يخافه فى المستقبل من سيئات أعماله .

والتوبة من جميع الذنوب واجبة على الفور ، لأن الله تعالى أمَرَ بها أمْرَ إيجاب فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾[1] ،

وعلق الفلاح عليها ، فقال : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)** ﴾[2]

وجعل الناس جميعاً قسمين اثنين لاثالث لهما : تائب وظالم ، فقال : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)** ﴾ [3] الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب الخطايا وعدم التوبة منها ، فعرضوها بذلك للعقاب والعذاب .

والتوبة لغة : الرجوع .

وشـــرعا : شعور بالندم على مامضى ، وتوجّه إلى الله فيما بقى ، وكفّ عن الذنب ، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل كما يحققها بالترك ، فهى إذن طهارة وزكاة ، وتوجّه وصلاح .[4]

وهى مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول أقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين .[5]

---

(١) التحريم : ٨

(٢) النور : ٣١

(٣) الحجرات : ١١ .

(٤) فى ظلال القرآن (٣١٨ / ٤)

(٥) إحياء علوم الدين (٢ / ٤) .

وحاجة العبد إلى التوبة فوق كل حاجة ، وضرورته إليها فوق كل ضرورة ، إذْ **أن للذنوب والخطايا آثاراً فى القلب** إذا اجتمعت على العبد أهلكته .(١)

* **ومنها : حرمان العلم** ، فإن العلم نور يقذفه الله فى القلب ، والمعصية تطفئ ذلك النور ، ولذلك لما جلس الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته ، وتوقّد ذكائه ، وكمال فهمه ، فقال له : إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً ، فلا تطفئه بظلمة المعصية .

وقال الشافعى رحمه الله :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشـدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلـــم نـــور ونـــور الله لايُهدى لعاصى

* **ومنها : حرمان الرزق** ، فإن ماعند الله لايُنال بمعصيته ، وإذا كانت التقوى مجلبة للرزق ، فإن المعصية مجلبة للفقر . ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله وبينه وبين الناس ولا تزال هذه الوحشة تقوى حتى تستحكم فتكون بينه وبين امرأته وبينه وبين أقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشاً دائماً .

* **ومنها ظلمة يجدها فى قلبه حقيقة** ، يحسّ بها كما يحسّ بظلمة الليل البهيم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسيّة لبصره ، وكلّما قويت الظلمة ازدادت الحيْرة ، حتى يقع فى البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لايشعر ، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر فى العين ، ثم تقوى حتى تعلو الوجه ، وتصير سواداً يراه كل أحد ، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما :

إن للحسنة ضياء فى الوجه، ونوراً فى القلب ، وسعة فى الرزق ، وقوّة فى

---

(١) الجواب الكافى لابن القيم (٣٤ وما بعدها)

البدن ، ومحبةً فى قلوب الخلق . وإن للسيئة سواداً فى الوجه ، وظلمة فى القلب ، ووهناً فى البدن ، ونقصاً فى الرزق ، وبغضاً فى قلوب الخلق .

* ومنها : سوادٌ فى القلب ، كما قال النبى ﷺ : « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ فى قلبه نُكتةٌ سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه ، وهو الران الذى ذكر الله تعالى** : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ ﴾»(١) .

وقوله ﷺ « **نكتت فى قلبه نكتة سوداء** » أى على الحقيقة ، يدل على ذلك الواقع المشاهد على الحجر الأسود بالكعبة ، فإن هذا السواد ليس طبيعته ، وإنما هو سواد عرض له بسبب خطايا بنى آدم ، وكان قبل ذلك ناصع البياض : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « **نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضاً من اللّبن ، فسوّدته خطايا بنى آدم** »(٢) وأبقاه الله عبرة لمن له بصيرة .

وحينئذ تحق عليه كلمة العذاب ، ويأخذه الله بذنبه كما أخذ من قبله ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ⑥ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ㊳ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ

---

(١) **حسن** : [ص. ج:١٦٦٦] ، ت(٣٣٩٠/ ١٠٥/٥) ، جه(٤٢٤٤/١٤١٨/٢) .
(٢) **صحيح** : [ص. ج:٦٦٣٢] ، ت(٨٧٨/ ١٨٢/٢) .
(٣) الأنعام : ٦ .

جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

ولذلك كان العبد محتاجاً إلى التوبة حتى يقيه الله شرّ الذنوب والخطايا ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[2]

وقد اختلفت عبارات العلماء فى التوبة النصوح ، ويجمعها قول محمد بن كعب القرظى [3] : الإقلاع بالأبدان ، وإضمار وترك العَوْد بالجنان ، ومهاجرة سيء الخلاّن ، والاستغفار باللسان .

فلابد للتوبة من الإقلاع من الذنب والتحوّل عنه ، وإلا فكيف يتوب من هو متلبّس بالذنب مرتكب له .

ولابد من عزم القلب عزماً أكيداً أن لايعود إلى هذا الذنب أبدا .

ثم لابد من مهاجرة سيئ الخلاّن ، ومرافقة صالحيهم ، فإن تمسك التائب برفاق السوء وشركاء الذنب سبب انتكاسه وردّته ، إذ أنهم لاينفكون يستهزئون

---

(١) العنكبوت : ٣٨-٤٠ .

(٢) التحريم : ٨ .

(٣) تفسير القرطبى (١٨/١٩٨) .

به ، ويسخرون منه ، وإذا قام إلى الصلاة ضحكوا عليه ، وهكذا يكونون عوناً للشيطان عليه ، حتى يردّوه عن توبته .

ولذلك كانت نصيحة العالم لقاتل المائة أن يغيّر البيئة والصحبة : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبىّ الله ﷺ قال : « كان فيمن قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلّ على راهب ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أُناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولاترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى ، فجعلوه بينهم - أى حكما - فقال : قيسوا مابين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة »(١) .

ثم بعد ذلك لابد من الاستغفار باللسان ، فإن الاستغفار كالاعتذار عما كان ، فكأن العبد ندم على ما كان منه ، وسأل ربه أن يقيه شرّ ما صنع .

ويشترط فى التوبة أن تقع قبل اليأس من الحياة ، ، فلا يجوز أن يهمل المذنب حتى إذا بلغت الحلقوم قال تبت إلى الله ، فيقال له : وأنّى أوان التوبة :

---

(١) **متفق عليه** : خ(٣٤٧٠/ ٥١٢/٦) ، م(٢٧٦٦/ ٢١١٨/ ٤) .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾(١) « **إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يُغرغر** »(٢)

كما يشترط أن تقع قبل طلوع الشمس من مغربها :

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨ ﴾(٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حتى لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا** »(٤) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** »(٥)

هذه شروط التوبة فيما بين العبد وربه ، فإن كان الذنب متعلقاً بحقوق الآدميين لزم مع هذه الشروط ردّ المظالم إلى أهلها إن استطاع ، أو يستحلّهم إن

---

(١) النساء : ١٧و١٨ .

(٢) **حسن** : [ص . ج : ١٨٩٩] ، ت(٣٦٠٣/٢٠٦/٥) ، جه(٤٢٥٣/١٤٢٠/٢) .

(٣) الأنعام : ١٥٨ .

(٤) **متفق عليه** : خ (٦٥٠٦/٣٥٢/١١) ، م (١٥٧/١٣٧/١) ، د (٤٢٩٠/٤٣٥/١١) ، جه(٤٠٦٨/١٣٥٢/٢) .

(٥) **صحيح** : م (٢٧٠٣/٢٠٧٦/٤) .

طمع فى عفوهم وأمن الفتنة ، وإلا أكثر من الدعاء والاستغفار لهم .

ولقبول التوبة علامات :

منها : أن يكون بعد التوبة خيراً منه قبلها .

ومنها : أن لايزال خائفاً من مؤاخذة ربّه وأن يتقطع قلبه حسرات على ماكان منه ، وكلما تذكر ذنبه أحدث له توبة .

ومنها : أن يكثر من العمل الصالح ، وأن يستقيم على صراط الله ، كما قال تعالى : **﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾**(١)

وقال تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٢)

وقال تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾(٣) .

فَوَصَفَ التائبين بما بعدهم ، فأفاد أن حقيقة التوبة إقامة دين الله ، وأن الدين كلّه داخل فى مسمّى التوبة ، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾(٤)

كما استحق التائب أن يفرح اللَّهُ بتوبته ، كما فى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لله أشدّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه،**

---

(١) طه : ٨٢ .
(٢) الفرقان : ٧٠ .
(٣) التوبة : ١١٢ .
(٤) البقرة : ٢٢٢ .

فأيسَ منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلّها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدّة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربّك ، أخطأ من شدّة الفرح » . (١)

وإنما يفرح الله تعالى بتوبة عبده وهو الغنى عنه لأنه بالتوبة قد جدّد العهد مع الله أن يعبده لايشرك به شيئا ، فاستحق أن يغفر الله له ويُدخله الجنة .

ولذلك كان « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربّى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شرّ ما صنعتُ ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » (٢) .

فعلينا جميعا أن نتوب إلى الله ، فقد أمرنا بالتوبة ورغّبنا فيها ، فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾(٥)

---

(١) **صحيح** : م(٢٧٤٧/ ٢١٠٤/ ٤)

(٢) **صحيح** : خ(٦٣٠٦/ ٩٧/ ١١) ، ت(٣٤٥٣/ ١٣٥/ ٥) ، نس(٢٧٩/ ٨) .

(٣) الزمر : ٥٣ .

(٤) النساء : ١١٠ .

(٥) الأنعام : ٥٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾[١] .

وأعظم من ذلك فضلاً قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) ﴾[٢] .

ولذلك قال النبى ﷺ : « **ليتمنّين أقوام لو أكثروا من السيئات ، الذين بدّل الله عزّوجل سيئاتهم حسنات** »[٣]

وعن أبى ذرّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « **يا عبادى ! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم** » .[٤]

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : ياابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولاأبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، ياابن آدم لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** »[٥]

---

(١) آل عمران : ١٣٥و١٣٦ .

(٢) الفرقان : ٧٠ .

(٣) حسن : [ص . ج : ٥٢٣٥] ، كم(٤/٢٥٢) .

(٤) صحيح : م(٢٥٧٧/ ١٩٩٤/ ٤)

(٥) حسن : [ص . ج : ٤٢١٤] ، ت(٣٦٠٨/٢٠٨/ ٥)

ولقد حذّر الله تعالى من التأخير والتسويف ، فقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

وقال : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ .[4]

---

(١) الحجرات : ١١ .

(٢) الزمر : ٥٤-٥٩ .

(٣) الأعراف : ٢٣ .

(٤) إبراهيم : ٤٠و٤١



الحديث الأربعون

رؤية المؤمنين ربهم في الجنة

عَنْ جَرير بن عَبْد اللهُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ رَسُول الله ﷺ فَنَظَرَ إلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْر فَقَالَ : « إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاتُضَامُّونَ فى رُؤيته ، فَإن اسْتَطَعْتُمْ أنْ لاتُغْلَبُوا عَلَى صَلاة قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْس وَقَبْلَ غُروبهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرأَ :
﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ »[1] .

مسألة رؤية الله عزّوجلّ فى الآخرة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها ، وهى الغاية التى شمّر إليها المشمّرون ، وتنافس من أجلها المتنافسون ، وحُرمها الذين هم عن ربّهم محجوبون ، وعن بابه مردودون[2] ، وقد قال بثبوتها الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام المعروفون .

وهى لاتتم لأهل الإيمان إلا بعد دخولهم دار السلام ، كما فى الحديث عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ! إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقّل موازيننا ، ويبيّض وجوهنا ، ويُدخلنا الجنة ، وينجّنا من النار ؟ قال : فيُكشف

---

(١) متفق عليه: خ(٥٥٤/ ٣٣/ ٢)، م(٦٣٣/ ٤٣٩/ ١)، د(٤٧٠٣/ ٥١/ ١٣) ، ت(٢٦٧٥/ ٩٢/ ٤) ، جه (١٧٧/ ٦٣/ ١) . والآية رقم ٣٩ ق .

(٢) شرح الطحاوية (٢٠٤) .

الحجاب ، فينظرون إلى وجه الله ، فمــا أُعطــوا شيئــاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهـم ، ثم تـلا : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] ، يعنى أن الحسنى هى الجنة ، والرُّؤية هى الزيادة .

واذ الأمر كذلك فلنتحدث أولاً عن الجنة ونعيمها ، ثم نتبع ذلك بالحديث عن الرؤيــة .

إن الجنة هى دار المحسنين الطيبين المتقين ، قـال تعـالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ والحسنى هى الجنة ، كما ذكرنا آنفا .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[3]

وقد سمّى الله تعالى هذه الدار دار السلام ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ ﴾[4] لأنه لايسكنها إلا أهل الإسلام ، ولايسمعون فيها إلا السلام ، كما قال تعالى : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾[5] .

وهذه الدار واسعة جدا ، يظهر ذلك من قوله تعالى : ﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾[6] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[7] ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم

---

(١) **صحيح** : م(١٨١/ ١٦٣/ ١)، ت(٢٦٧٦/ ٩٢/ ٤)، جه(١٨٧/ ٦٧/ ١)، والآية رقم : ٢٦ يونس

(٢) النحل : ٣٠-٣٢.
(٣) الزمر : ٧٣.
(٤) يونس : ٢٥ .
(٥) الواقعة : ٢٥و٢٦ .
(٦) آل عمران : ١٣٣ .
(٧) الإنسان : ٢٠

آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجلٌ يخرج من النار حبواً ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول ياربّ ! وجدتها ملأى ، فيقول الله عز وجل : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، فيقول : أتسخر بى وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يُقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »[1] .

وقد بيّن النبى ﷺ موادّ بناء هذه الدار فقال :

« الجنة بناؤها لَبِنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » [2]

وبيّن عدد أبوابها فقال : **« الجنة لها ثمانية أبواب »**[3] ، كلّ باب له مصراعان متباعدان غاية البعد ، حتى قال ﷺ : **« إن مابين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة »**[4] . يعنى للراكب المجدّ لايفتر ليلاً ولانهارا .

وأبواب الجنة الآن مغلقة ، تفتح كل عام فى رمضان ، كما قال ﷺ : **« إذا جاء رمضان فُتّحت أبواب الجنة وغُلّقت أبواب النار »** [5] .

---

(١) **متفق عليه** : خ (٥٦٧١/٤١٨/١١) ، م (١٨٦/ ١٧٣/ ١) ، جـه (٤٣٣٩/ ١٤٥٢/ ٢)، ت(٢٧٢٢/ ١١٢/ ٤) ، نحوه .

(٢) **حسن** :[ص . ج :٣١١١] ، ت(٢٦٤٦/ ٧٩/ ٤) .

(٣) **صحيح** : [س . ص: ١٨١٢]: أخرجه أحمد(٤/ ١٨٥) ، وابن سعد (٧/ ٤٣٠) .

(٤) **صحيح** : [ص . ج : ٢١٨٦] ،

(٥) **صحيح** : [ص . ج :٤٨٣] ،نس(١٢٧/ ٤) .

ويوم القيامة تُغلق فلا تُفتح حتى يستفتح نبينا ﷺ ، كما في الحديث عنه أنه قال : **« آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »**[١] .

وقال ﷺ : **« أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »**[٢] .

فإذا فُتحت له ﷺ ودخلها أهلها لم تُغلق بعد ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ۝ ﴾[٣] زيادة في الإطمئنان والأمان .

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمة محمد ﷺ ، كما قال ﷺ : **« نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم »** .[٤]

يدخل أهل الجنة الجنة في أحسن صورة ، وأبهى منظر ، كما قال ﷺ :

« أول زُمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب دريّ في السماء إضاءة »[٥] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً مُرْداً مكحّلين ، أبناء ثلاثين - أو ثلاث وثلاثني - سنه »**[٦] .

---

(١) صحيح : م(١٩٧/١٨٨/١) .
(٢) صحيح : م(٢٠٠/١٩٦/١) .
(٣) ص : ٥٠ .
(٤) صحيح : م(٨٥٥ / ٥٨٤ / ٦)
(٥) متفق عليه : خ(٣٢٤٦/٣١٨/٦)،م(٢٨٣٤/ ٢١٧٩/ ٤) ، جه(٤٣٣٣/١٤٤٩/ ٢) .
(٦) صحيح : [ص . ج :٧٩٢٨] ، ت(٢٦٦٩/٨٨/ ٤) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا** »[١]

ولهم بمنازلهم فى الجنة أعرف بها من منازلهم فى الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ ﴾[٢] ، وقال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده : إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدلّ منه بمسكنه كان فى الدنيا** » [٣] .

فإذا دخلوها أكرموا بطعام عاجل هو أول ما يأكلون فى الجنة :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ : أن حبراً من أحبار اليهود أتى النبىّ ﷺ فسأله عن أول الناس إجازة يوم القيامة ؟ قال : « **فقراء المهاجرين** » . قال فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « **زيادة كبد النون** » . قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : « **يذبح لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها** » . قال : فما شرابهم ؟ قال : « **من عين فيها تسمّى سلسبيلا** » . قال : صدقت . [٤]

ثم « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادى مناد : يا أهل الجنة ! فيشرئبون ينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلّهم قد رآه . ثم ينادى مناد : يا أهل النار ! فيشرئبون ينظرون ، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه . فيُذبح بين الجنة والنار ، ثم يقول ياأهل الجنة خُلود فلا موت ، ويا أهل النار خُلود فلا موت »[٥]

---

(١) **متفق عليه** : خ (٣٣٢٦/ ٣٦٢/ ٦) ، م (٢٨٤١/ ٢١٨٣/ ٤) .

(٢) محمد : ٦ .

(٣) **صحيح** : خ (٢٤٤٠/ ٩٦/ ٥)

(٤) **صحيح** : م(٣١٥/ ٢٥٢/ ١) .

(٥) **متفق عليه** : خ(٤٧٣٠/ ٤٢٨/ ٨)،م(٢٨٤٩/ ٢١٨٨/ ٤)،ت(٢٦٨٣/ ١٦/ ٤) .

ثم ينادى مناد على أهل الجنة فيقول : « إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا » . (١)

و « الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلا الجنة وأوسطها ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تتفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » (٢)

وفى الجنة غُرف شفّافة ، يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنُها من ظاهرها ، كما قال ﷺ (٣) ،

وقال ربُّنا سبحانه : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾(٤)،

بين ربُّنا سبحانه أنواعها ، فقال : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (٥) .

قال ﷺ : « **إن أهل الجنة يتراءون أهل الغُرف من فوقهم كما تتراءون الكواكب الدريّ الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم** » . قالوا : يارسول الله ! تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟ قال : « **بلى ! والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين** » . (٦)

---

(١) **صحيح** : م(٢٨٣٧/ ٢١٨٢/ ٤)،ت(٣٢٩٧/ ٥١/ ٥) .
(٢) **صحيح** : خ(٢٧٩٠/ ١١/ ٦)، ت(٢٦٥١/ ٨٢/ ٤) واللفظ له .
(٣) **حسن**: [ص. ج: ٢١١٩]،ت(٢٠٥٠/ ٢٣٨/ ٣) .
(٤) الزمر : ٢٠ .
(٥) محمد : ١٥
(٦) **متفق عليه** :خ(٢٣٥٦/ ٣٢٠/ ٦)،م(٢٨٣١/ ٢١٧٧/ ٤) .

والجنة نوعان ، كما قال ﷺ : **«جنتان من ذهب ، آنيتهما وحليتهما ومافيهما، وجنتان من فضة ، آنيتهما وحليتهما ومافيهما »**[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢] فوصفهما ، ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾[٣] ثم وصفهما ، فالأوليان للسابقين المقربين ، والأخريان للأبرار المقتصدين .

ومن أراد معرفة الفرق بينهما فليقرأ آخر سورة الرحمن وأول سورة الواقعة .

وفى الجنة من النعيم مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر .[٤]

فطعامهم أطيب الفواكه ، وأشهى الثمار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥]

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٦]

وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٧]

وقال تعالى ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

---

(١) **متفق عليه** : خ(٤٨٧٨/ ٦٢٤/ ٨)، م(١٨٠/ ١٦٣/ ١)، ت(٢٦٤٨/ ١١/ ٤)، جه(١٨٦/ ٦٦/ ١)

(٢) الرحمن : ٤٦ .

(٣) الرحمن : ٦٢ .

(٤) **متفق عليه** : خ(٧٧٩/ ٥١٥/ ٨)، م(٢٨٢٤/ ٢١٧٤/ ٤) ، ت(٣٢٤٩/ ٢٦/ ٥) .

(٥) المرسلات : ٤١-٤٣ .

(٦) الحاقة : ١٩-٢٤ .

(٧) الصافات : ٤١-٤٢

وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾[(١)] .

كذلك لهم فى الجنة أشهى أنواع اللحوم ، لحوم الطير المختلفة الأشكال والألوان ، قال تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) ﴾ .[(٢)]

وقال تعالى : ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) ﴾ .[(٣)]

وأما الشراب فمن أنهار الماء واللبن ، والخمر والعسل ، قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) ﴾[(٤)]

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) ﴾[(٥)]

وقال تعالى : ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) ﴾[(٦)]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ﴾[(٧)] .

وقال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨) ﴾[(٨)] .

---

(١) البقرة : ٢٥ .
(٢) الطور : ٢٢ .
(٣) الوقعة : ٢٠و٢١ .
(٤) الصافات : ٤٥-٤٧ .
(٥) الواقعة : ١٧-١٩ .
(٦) الطور : ٢٣ .
(٧) الإنسان : ٥و٦ .
(٨) الإنسان : ١٧و١٨

ووصف ربنا سبحانه آنية الطعام والشراب فقال :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾(٢) .

وأهل الجنة مكرمون ، كما وصفهم ربهم سبحانه ، والمكرم من يخدمه غيره ، ومعنى ذلك أن لأهل الجنة خدماً ، وأنهم لايعدون طعامهم وشرابهم بأنفسهم ، وإنما على الإنسان فى الجنة إذا أراد شيئا أن يقول : سبحانك اللهم ، فيأتيه الخادم بما أراد ، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الخدم بقوله :

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾(٥) .

وطعام الجنة وشرابها مُنزه عن الفضلات التى تبقى فى الإنسان ، وإنما أثره عرقٌ ، ريحه كريح المسك ، كما قال ﷺ : « **إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولايبولون ، ولايتغوطون ، ولا يتمخّطون** » . قالوا : فما بال الطعام؟ قال : « **جشاء ورشح كرشح المسك** »(٦)

---

(١) الزخرف : ٧١ .

(٢) الإنسان : ١٥و١٦ .

(٣) الواقعة : ١٧ .

(٤) الطور : ٢٤ .

(٥) الإنسان : ١٩ .

(٦) صحيح : م(٢٨٣٥/ ٢١٨٠/ ٤) .

وأما لباسهم فالسندس والإستبرق، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾(٣) .

وأما الحليّ ، فقد قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾(٤)

وقال تعالى : ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾(٥) .

وبيّن ﷺ موضع الزينة فقال : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »(٦)

وهذا الحليّ وذاك اللباس عام للرجال والنساء ، وإن كانا في الدنيا محرّمين على الرجال ، بل قال الحسن : الحليّ في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء .

وأما الأسّرة ، فقد قال تعالى :

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾(٧) .

وقال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾(٨) .

وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٩) .

---

(١) الدخان : ٥١-٥٣ .
(٢) الكهف : ٣٠و٣١
(٣) الإنسان : ٢١ .
(٤) الحج : ٢٣ .
(٥) الإنسان : ٢١
(٦) **صحيح** : م(٢٥٠/٢١٩/١)، نس(٩٣/١) .
(٧) الواقعة : ١٥و١٦ .
(٨) الطور : ٢٠ .
(٩) الغاشية : ١٣ .

وأما الفرش فقال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾(١) ، ومعلوم أن باطن الفرش أدنى رتبة وأقل درجة من ظاهره ، فإذا كان الباطن من إستبرق فما بالك بالظاهر .

وقال تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) ﴾ (٢) أى عالية ، وهى كناية عن النساء فوق الأسرة لأنه قال بعد ذلك : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) ﴾(٣)

والعَربَه من النساء هى التى تتحبب إلى زوجها ، وتتودّد إليه ، وتطلب رضاه، وتحرص على قرّة عينيه ، ومعنى « أترابا » أى فى سنّ واحدة ، لاتفاوت بينهن .

ونساء الجنة فى غاية الحسن والجمال ، قال تعالى :

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٧) .

وقال تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) ﴾(٨) .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) ﴾(٩) .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .

(٢و٣) الواقعة : ٣٤-٣٧ .

(٤) البقرة : ٢٥ .

(٥) الدخان : ٥٤ .

(٦) الواقعة : ٢٢و٢٣ .

(٧) الصافات : ٤٨و٤٩ .

(٨) الرحمن :٥٨ . (٩) الرحمن : ٧٠ .

وقال النبى ﷺ : « **لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لأضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحها ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** »[١]

وقال ﷺ : « **إن أول زُمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوأ كوكب درّى فى السماء ، ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب** »[٢]

وليس المراد بقوله ﷺ : « **لكل امرئ منهم زوجتان** » الحصر والقصر ، بل إن لهم أكثر من ذلك ، كما قال ﷺ : « **إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة ، عرضها - أو طولها - ستون ميلا ، فى كل زاوية منها أهل ، مايرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن** »[٣] .

ولذا قال ﷺ : « **يُعطى المؤمن فى الجنة قُوةَ كذا وكذا من الجماع** » قيل يارسول الله ! أو يطيق ذلك ؟ قال : « **يُعطى قُوّة مائة** »[٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٥]

قال العلماء : مشغولون بفض الأبكار ، على ضفاف الأنهار ، تحت ظلال الأشجار .

---

(١) **صحيح** : م(٢٨٣٤/٢١٧٨/٤)

(٢) **صحيح** : خ(٦٥٦٨/٤١٨/١١)،ت(١٦٩٩/١٠٠/٣).

(٣) **متفق عليه** : خ(٤٨٧٩/٦٢٤/٨)، م(٢٨٣٨/٢١٨٢/٤) ، ت(٢٦٤٨/٨١/٤) .

(٤) **صحيح** : [ص . ج: ٧٩٦٢]، ت(٢٦٥٩/٨٤/٤) .

(٥)يس : ٥٥و٥٦

تُغنيهم النساء بأحسن صوت وأعذبه ، كما قال ﷺ :

« إن أزواج أهل الجنة ليُغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، وإن مما يُغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرن بقرّة أعيان . وإن مما يُغنين به : نحن الخالدات فلا يمتنه ، نحن الآمنات فلا يخفنه ، نحن المقيمات فلا يطعنه »(١) .

وقال ﷺ : **« إن الحور العين ليغنين فى الجنة ، يُقلن : نحن الحور الحسان ، خُبِئنا لأزواج كرام »** (٢)

ومن الجدير بالذكر أن كل امرأة من الحور العين تعرف زوجها من أهل الدنيا وتشتاق إلى لقائه ، كما قال ﷺ : **« لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لاتُؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك ، يوشك أن يُفارقك إلينا »** (٣)

يجمع الله تعالى فى الجنة بين الرجل وآبائه وأبنائه ، ولو كانوا أقلّ عملاً منه ، ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ (٤) ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝ ﴾(٦)

---

(١) **صحيح** : [ص . ج : ١٥٥٧] .
(٢) **صحيح** : [ص . ج : ١٥٩٨] .
(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٧٠٦٩] ، ت(١١٨٤/ ٣٢٠/ ٢) .
(٤) الحجرات : ٨ . (٥) الطور : ٢١ . (٦) الرعد : ٢٣و٢٤ .

وبين أهل الجنة جميعا زيارات متبادلة ، يزور فيها الرجل من أحب ، فيلتقون ويتذاكرون الدنيا وأحوالها ، كما قال تعالى بعد أن وصف نعيم أهل الجنة : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) ﴾[1] .

ويوم الجمعة لهم سوق يجتمعون فيه كما كانوا فى الدنيا يجتمعون :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثوا فى وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهليهم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً »**[2] .

وبينما أهل اجنة مشغولون فى هذا النعيم إذ **« نادى مناد : يا أهل الجنة ! إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقّل موازيننا ، ويبيّض وجوهنا ، ويُدخلنا الجنة ، وينجّنا من النار ؟ قال : فيُكشف الحجاب ، فينظرون إلى وجه الله ، فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم ، ثم تلا :** ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[3] .

---

(١) الصافات : ٥٠-٦٠ . (٢) **صحيح** : م(٢٨٣٣/ ٢١٧٨/ ٤) .
(٣) **صحيح** : [ص . ج : ٥٣٥] ، أ(٥١٨/ ٢١٠/ ٢٤) . (٤) القيامة : ٢٢و٢٣ .

فنعيم الرؤية فوق نعيم الجنة ، والرؤية ثابتة بالكتاب والسنة : قال تعالى :
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(١) .

« وإضافة النظر إلى الوجه ، الذى هو محله ، وتعديته بأداة « إلى » الصريحة فى نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ، حقيقة موضوعة صريحة فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى الربّ جل جلاله »(٢)

وقال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٣) وقد فسر النبى ﷺ الزيادة بالرؤية .

وقال تعالى فى حق المكذبين بيوم الدين :
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(٤) .

استدل الإمامان مالك والشافعى رضى الله عنهما بهذه الآية على ثبوت الرؤية للمؤمنين ، فقالا : لما حجب أعداءه فى السخط ، كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضى .

وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يبالغ فى إثبات الرؤية فيقول : لو لم يؤمن محمد بن إدرس أنه يرى ربه فى الآخرة ما عبده(٥) .

وكأن الرؤية عنده رضى الله عنه أمنية أغلى من الجنة ، وهى كذلك ، كما قال

---

(١) شرح الطحاوية (٢٠٥)
(٢) ق : ٣٥ .
(٣) يونس : ٢٦ .
(٤) المطففين : ١٥ .
(٥) معارج القبول (٢٤٦-٢٤٨/ ١) .

ﷺ : « **فيكشف الحجاب ، فينظرون إلى الله ، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم** »(١) .

وقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ فى ثبوت الرؤية للمؤمنين فى الآخرة ، وآمن بذلك أهل السنة والجماعة ، ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾(٢) .

وقوله ﷺ : « **فإذا استطعتم أن لاتُغْلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » يعنى حافظوا على صلاة الفجر وصلاة العصر حتى تدخلوا الجنة ، فإذا دخلتموها رأيتم ربكم ،

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى البردين دخل الجنة** »(٣) ، والبردان صلاة الصبح وصلاة العصر ، سميّا كذلك لأنهما يكونان فى وقت البرد حتى فى الضيف ، أما الصبح فظاهر ، وأما العصر فإنه فى الصيف تكون الشمس قد مالت للغرب ، وقلّ وهجها ، وانكسر حرّها .

وإنما كانت صلاة الصبح والعصر بهذه المنزلة لأن الله تعالى خصهما بمزيد من عناية ، فقال فى الصبح : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .(٤)

وقال فى العصر : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (٥)

قال النبى ﷺ : « **الصلاة الوسطى صلاة العصر** » (٦) .

---

(١) سبق قريبا .
(٢) الفتح : ٢٦ .
(٣) **متفق عليه** : خ(٥٧٤/ ٥٢/ ٢)،م(٦٣٥/ ٤٤٠/ ١) .
(٤) الإسراء : ٧٨ .
(٥) البقرة : ٢٣٨ .
(٦) **صحيح** : [ص. ج : ٣٧٢٩] ، ت(١٨٢/ ١١٦/ ١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - هو أعلم بهم - كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون »** (١)

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى .

اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

عبد العظيم بن بدوى الخلفى

---

(١) **متفق عليه** : خ(٥٥٥/ ٣٣/ ٢)، م(٦٣٢/ ٤٣٩/ ١)، نس(٢٤٠/ ١) .

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع | رقم الصفحة

الموضـــوع رقم الصفحة

***

***

الموضـــوع رقم الصفحة

الموضـــوع رقم الصفحة

الموضـــوع رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع رقم الصفحة

﴿ الرموز المستخدمة فى التخريج ﴾

خ . . صحيح البخارى (فتح البارى) .

م . . صحيح الإمام مسلم .

ت . . سنن الترمذى .

نس . . سنن النسائى .

جه . . سنن ابن ماجه .

د . . سنن أبو داود (عون المعبود) .

ما . . موطأ الإمام مالك .

فع . . الشافعى (الأم) .

أ . . أحمد (الفتح الربانى) .

هق . . البيهقى .

قط . . الدارقطنى .

حب . . صحيح ابن خزيمة .

كم . . مستدرك الحاكم .

مى . . سنن الدارمى .

طب . . الطبرانى فى الكبير .

ش . . مصنف ابن أبى شيبة .

بز . . مسند البزار .

*****

رقم الإيداع : ١٥٥٢٨ / ٩٨